



# الانحراف في الأمة

أسبابه، آثاره، سبل مواجهته

تأليف

د. عبد العزيز بن أحمد البداح

رَفِعَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَنْوَيِّ  
أُسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَزُورُ كَسَّ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفْعُ

جَبَلُ الرَّمَحَنِ (الْجَنَّى)  
أُلْسَنُهُ لِلَّهِ (الْفَرْوَانُ)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## الانحراف في الأمة

أسبابه، آثاره،

سبل مواجهته

رَفْعٌ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَنْجَوِيِّ  
الْسَّلَكُ لِلَّهِ الْفَرْدَوْسُ  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

مَحْفُوظَةٌ  
بِمَبْعَثِ الْحَقْوَقِ

الطبعة الأولى

ـ ١٤٣٣ هـ

الطبعة الثانية

ـ ١٤٣٣ هـ

مزيدة ومنقحة

رَفِعَ  
عَيْنُ الرَّحْمَنِ لِلْجَنَّيِ  
أُسْكَنَ لِلَّهِ لِلْفَرْوَانِ  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# الانحراف في الأمة

## أسبابه، آثاره، سبل مواجهته

تأليف

عبدالعزيز بن أحمد البداح

«يجب أن تورخ الفضائل والرذائل لينفر سامعها  
عن القبيح المأثور عن غيره، ويرغب في الحسن  
المنقول عن من تقدمه، ويتعظ بما سلف»

الأخلاق والسير، لابن حزم، ص (١٥٢)

«بيان من غلط في رأي رأه في أمر الدين من  
المسائل العلمية والعملية، فهذا إذا تكلم فيه  
الإنسان بعلم وعدل وقصد النصيحة، فالله تعالى  
يبيه على ذلك، لا سيما إذا كان المتكلم فيه داعياً  
إلى بدعة، فهذا يجب بيان أمره للناس، فإن دفع  
شره عنهم أعظم من دفع شر قاطع الطريق»

منهج السنة، لابن تيمية، (٥/١٤٦)

## مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب، أقدمها بزيادات وإضافات مهمة بعد  
نفاد الطبعة الأولى في فترة وجيزة والله الحمد والمنة.

والله أسأل أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم مقرباً لديه في جنات  
النعيم.

وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه.

وكتبه:

عبد العزيز بن أحمد البداح

al.bedah@hotmail.com

١٤٣٣/٨/١

رَفِعُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ  
أَسْلَمَ اللَّهُ الْفَرْوَارِ  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## المقدمة

الحمد لله وحده، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل وهو علیم  
بذات الصدور، يضل من يشاء ویبتلي عدلا، ویهدي من يشاء ویعافي فضلا، لا  
معقب لحكمه، ولا راد لأمره، والصلوة والسلام على من لا نبی بعده، نبینا محمد  
وآلہ وصحبہ،

أَمَا بَعْدَ:

فإن الله تعالى خلق الخلق **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكِرُ كَافِرًا﴾** وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ يُعْلَمُ  
عَمَلُونَ بَصِيرًا **﴿[النَّعْمَانُ: ٢]﴾**، فطاقة ت العمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبين  
النار إلا ذراع فتعمل بعمل أهل الجنة فتدخلها، وطاقة ت العمل بعمل أهل الجنة  
حتى ما يكون بينها وبين الجنة إلا ذراع فتعمل بعمل أهل النار فتدخلها.

وأسباب اهلاك والضلال كثيرة ضلّ بسببها من ضلّ، ومن يضلّ الله فلها  
له من هاد.

ويتأكد الحديث عن أسباب الزيف في هذا الزمن الذي كثر فيه المتساقطون في الفتنة، وقويت فيه دواعي الانحراف، وأعلن فيه المنحرفون بانحرافهم، وتداعى أهل الضلال للدعوة إلى باطلهم.

فلما رأيت هذه الحال كتبت هذا الكتاب في بيان أسباب الانحراف في الأمة وأثاره وسبل مواجهته.

ولاني أرى أن هذه البلاد - حرسها الله بالإسلام - تواجه في هذه المرحلة من تاريخها غزواً فكريًا وعديًا سافرًا ومكشوفًا تواطأت فيه فرق وتمالأت عليه طوائف تمثلها: الرافضة والصوفية والمنافقون بموازرة جملة من المغفلين.. ترمي إلى هدم الأصول، وفك وثاق الدعوة والدولة، ورفع الغطاء الشرعي، ومحو الخصوصية الدينية.

فهذا الكتاب يكشف دعوات مشبوهة ويخذر من توجهات منحرفة ويعالج واقعًا قائماً ويؤرخ لمرحلة زمنية سقطت فيها الأقنعة وانتشى فيها أهل الزيف.

والمراد بالانحراف هنا: معارضه السلف الصالح في الاعتقاد أو منهجمهم في الاستدلال ويدخل في ذلك الفرق والمذاهب والاتجاهات المنحرفة في القديم والحديث.

ولا بد من التوكيد هنا على أن الانحراف قد يكون توجهاً يكشف ملامحه مجموعة من المقالات.. أصحابها متبينون ببعضهم لديه انحراف في المعتقد أو منهج الاستدلال، والآخر قد يكون مجتهداً لكن وافق المنحرفين في اجتهاده، وعلى ذلك فليس كل مقالة منحرفة يكون صاحبها منحرفاً.. وهذا منهج أهل السنة والجماعة في الحكم على المقالات كما هو مقرر في موضعه، وهذا لا يعني عدم التنبيه على ذلك الخطأ أو تلك الزلة.

قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨هـ): (فعلم بخبره الصدق أنه في أمته قوم

متمسكون بهديه، الذي هو دين الإسلام محضاً، وقوم منحرفون... وإن كان الرجل لا يكفر بكل انحراف، بل وقد لا يفسق أيضاً، بل قد يكون الانحراف كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأ<sup>(١)</sup>.

والتصريح بالأسماء في هذا الكتاب جاء للتحذير من مناهج أصحابها وموافقهم وهو مسلك معروف عند أهل السنة اتباعه في كتب الردود والفرق والتاريخ ولم يعرف له منكر.

وبعض الناس قد يحمله الورع البارد أو التعصب للأشخاص والتحزب للتجمعات على إنكار الرد على تلك الأسماء والشخصيات بحجج أنهم مسلمون أو دعاة..!!<sup>(٢)</sup> وهذا يتعارض مع ما هو متقرر عند أهل السنة من لزوم الرد على المخالفين مما تجده مفصلاً في كتاب الشيخ العلامة: بكر أبو زيد: الرد على المخالف من أصول الإسلام.

وقد اضطررت لبيان هذا لما رأيت بعض الناس يفهم بعض الكتابات على نحو خاطئ لم يرده المؤلف أصلاً، إما بسبب قراءته المجتزأة، أو فهمه القاصر، أو قصده المدخول.

ومنهجي في هذا الكتاب يقوم على الآتي:

- الإشارة إلى الشواهد من غير دعوى الاستقصاء لتعذرها.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٨٢).

(٢) قال العلامة المعلمي: (من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، ومن أفسى أسلحته أن يرمي الغالي كل من يحاول ردّه إلى الحق ببعض أولئك الأفاضل و معاداتهم). التنكيل (١/٦).

- الميل إلى الاختصار لتسهيل المطالعة وتخفف القراءة ولأن الرسالة موجهة إلى العموم.
- تجنبت الشواهد التاريخية المشهورة وحرصت على المعمور منها طليباً للإضافة، وإفاده القارئ بالجديد.
- يعالج الكتاب واقعاً قائماً بعد رصد وتتبع واستقراء لأحوال المنحرفين.
- ربطُ أسباب الانحراف ومظاهره مع منهج السلف: أقوالاً وموافق.
- حرصت على تدوين الواقع والأحداث، لتكون تاريخاً لا ينسى.
- ما كان من نهادج وشواهد في كتاباتي السابقة أشرت إليه من غير إعادة ذكره ليلأ أقع في التكرار، والشواهد المذكورة في هذا الكتاب جديدة لم يسبق لي تدوينها.
- أسباب الانحراف كثيرة لكنني اقتصرت على ما له شواهد من واقع المسلمين اليوم.

وقد جاء هذا الكتاب في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وهي:

التمهيد: وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف.

الفصل الأول: أسباب الانحراف في الأمة.

الفصل الثاني: آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة.

الفصل الثالث: سبل مواجهة الانحراف.

وهذه الدراسة تقوم: على استقراء الواقع، ورصد الأحداث، وتدوين الواقع، وجرد دواين الإسلام، وضم النظير إلى نظيره.

وحمل عليها النصيحة للناشئة، وفضح المنحرفين، والغيرة على التوحيد والسنّة. وأملاها الواجب الشرعي، والنصيحة الإسلامية، وفرض البيان.  
والله أَسْأَلُ التوفيق في القول والعمل، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وكتبه:

عبدالعزيز بن أحمد البداح  
al.bedah@hotmail.com  
١٤٣٢/١٢/٢٩

رَفِعُ

جَمِيعُ الْأَرْجُونِ الْجَنْوِيِّ  
الْأَسْنَنُ لِلَّهِ الْفَرِودُ كَسَّ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## التمهيد

### وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف

أمر الله عباده بالاستقامة على أمره، فقال سبحانه: **﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْبَثَنَا مُّلَكُّزُ يُوحَى إِلَيْنَا إِنَّمَا إِلَّا هُكْمُ اللَّهِ وَإِنْدُ فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَقْفِرُوهُ ﴾** الآية [فصلت: ٦].

وأمر رسوله بذلك، فقال: **﴿ فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا نَطْعُونَ إِنَّمَا يَعْمَلُونَ بِصَرِّ ﴾** [هود: ١١٢].

ووعد المستقيمين بالوعد العظيم في الدنيا والآخرة: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْقَمُوا فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَمُونَ ﴾** **﴿ ١٢﴾** **أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ حَلَّدِينَ فِيهَا جَزَاءُمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [الأحقاف: ١٤-١٣].

والاستقامة: هي سلوك الطريق المستقيم، وهو الدين القائم من غير تعریج عنه يمنة ولا يسرا، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك **﴾١﴾**.

والعباد معرضون للوقوع في الانحراف من تأثير الشبهات والشهوات خاصة في زمن الفتنة وغلبة الأهواء وذهاب العلماء...

**﴾١﴾** جامع العلوم والحكم، ص (٤٦).

وكان الصالحون والأئمة المهديون يخافون الانحراف وينحشون الزيف، قال تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِبْنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨]، أي: لا تُمْلِها عن المهدى بعد إذ أقمتها عليه<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة ﷺ، قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدعو: [يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك] قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تدعوا بهذا الدعاء. فقال: [ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، أما تسمعين قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِبْنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾]<sup>(٢)</sup>.

قال ابن أبي مليكة (ت: ١١٧هـ): "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه"<sup>(٣)</sup>.

وقال الحسن البصري (ت: ) : "لا يخافه - يعني النفاق - إلا مؤمن، ولا يأمنه إلا منافق"<sup>(٤)</sup>.

وفي زماننا كثرت أسباب الزيف وتعددت سبل الانحراف، ووقع في غوايئها من لم تدركهم رحمة ربهم نسأل الله السلامة.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٧/٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩).

(٤) ذكره البخاري تعليقاً، في كتاب الإيمان بباب خوف المؤمن من أن يحيط عمله وهو لا يشعر، عن الحسن البصري، وقال ابن رجب رحمه الله: فهذا مشهور عن الحسن، صحيح عنه (فتح الباري ١/١٨٠).

وفي آخر الزمان يكثر الزائغون، في الحديث: [بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويسمى كافراً، ويسمى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا]<sup>(١)</sup>.

فحربي بكل مسلم يسعى لنجاة نفسه سواء أكان عالماً أم متعلمً داعيةً أم مدعواً أن يحرص على تفقد نفسه ومحاسبة أقواله وأفعاله محسبة مستمرة لثلا يقع في حبائل الذين في قلوبهم مرض من أهل الزيف والابحraf ويلجأ إلى الله ويدعوه ويسأله الثبات على الحق حتى الموت فإن هذا هو سبيل الأنبياء والصالحين كما هو ظاهر في آيات القرآن والستة وسir سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

رَفِعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْأَسْمَاءُ الْمُبَارَكَاتُ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رُفْعَةٌ

جَبَرُ الْأَرْجُونُ الْجَنْوَيُّ  
الْمُكَبَّرُ لِلَّهِ الْفَرَوْكَسِ  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## الفصل الأول

# أسباب الانحراف في الأمة

رَفِعُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ  
أَسْلَمَ اللَّهُ الْفَرْوَارِ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## أولاً

### الاعراض عن الوحي

أنزل الله الكتاب نوراً وهدى للناس، كما قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَنْفُسِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِلَيْمَنِ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ تُورًا هُدَى يُوَهِّي مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾** [الشورى: ٥٢]. وقال سبحانه: **﴿وَلَقَدْ حَتَّنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: ٥٢].

ولما أعرض فئام من الناس عن الوحي وقعوا في الحيرة والاضطراب وأصحابهم الشك والارتياج.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (جماع الفرقان بين الحق والباطل، والمهدى والضلال، والرشاد والغنى، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك): أن يجعل ما بعث الله به رسلاه، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والمهدى، والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل...<sup>(١)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١٣٥/١٣).

قال محمد بن مسلم الزهري (ت: ١٣٤ هـ): (الاعتصام بالسنة نجاة) <sup>(١)</sup>.

وقال عبدالرحمن بن شريح (ت: ١٦٧ هـ): (أقلوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تقيّي القلب وتورث العداوة) <sup>(٢)</sup>.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) معلقاً: (قلت: صدق والله، فما الظن إذا كانت مسائل الأصول ولوازم الكلام في معارضة النص، فكيف إذا كانت من تشكيكات المنطق، وقواعد الحكم، ودين الأوائل؟ فكيف إذا كانت من حقائق الاتحادية، وزندقة السبعينية، ومرroc الباطنية؟) <sup>(٣)</sup>.

وأصل الضلال الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى، كما فهمه الصحابة والتابعون ومعارضة ما دلّ عليه بما ينافقه وهذا من أعظم المحادّة لله ولرسوله <sup>(٤)</sup>.

وعمامة من ضلّ أو عجز عن معرفة الحق فإنها هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول، وترك النظر والاستدلال الموصى إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا <sup>(٥)</sup>.

ولهذا فالمحرفون من رؤوس الضلال والبدع في القديم والحديث من أجهل الناس بالكتاب والسنة.

(١) سير أعلام النبلاء (٥/٣٣٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/١٨٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/١٨٣).

(٤) درء التعارض (٥/٣٨٣).

(٥) درء التعارض (١/٥٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (ومن المعلوم أن المغتفين للفلسفة والكلام المعتقدين بمضمونها هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء، هذا الأمر محسوس، بل إذا اكتشفت أحواهم وجدهم من أجهل الناس بأقواله وأحواله وأحواله، وبواطن أموره وظواهرها، حتى تجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه... بل غالب هؤلاء لا يعلمون معاني القرآن، فضلاً عن الحديث، بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلاً... حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية، فقال: لا نسلم صحة الحديث! وربما قال: لقوله عليه السلام كذا، وتكون آية من كتاب الله. وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر.

وحدثني ثقة أنه تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين رجل يسمى شمس الدين الأصبهاني شيخ الأئمكى، فأعطوه جزءاً من الربعة فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم المص) حتى قيل له: ألف لام ميم صاد<sup>(١)</sup>. وكان جهم بن صفوان (ت: ١٢٨هـ) فصيح اللسان، لكن لم يكن له علم ولا مجالسة للعلماء<sup>(٢)</sup>.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (كان الإمام - يعني الجويني (ت: ٤٧٨هـ) - مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب لا يدرى الحديث كما يليق به

(١) بجموع الفتاوى (٤/٩٥-٩٦).

(٢) الإبانة (١/٣٩٠).

لا متنأ ولا إسنادا...<sup>(١)</sup>.

وكان محمد بن كرّام - رأس الكرّامية - (ت: ٢٥٥ هـ) قليل العلم<sup>(٢)</sup>.  
وكان أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي (ت: ٣٢١ هـ) من رؤوس  
المعتزلة من الجهلة بآثار النبوة برع في الفلسفة والكلام وما شمّ رائحة  
الإسلام<sup>(٣)</sup>.

وذكر أبو حامد الغزالى (ت: ٥٥٠ هـ) في كتابه: (الإحياء) من الأحاديث  
الموضوعة وما لا يصح غير قليل وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل<sup>(٤)</sup>. وكان يقول:  
أنا مُرجى البضاعة في الحديث<sup>(٥)</sup>.

وأبوالحسين البصري وأمثاله من المعتزلة، وكذلك الغزالى والرازى  
وأمثالها، هم أقل الناس علمًا بالأحاديث النبوية وأقوال السلف في أصول الدين،  
وفي معانى القرآن، وفيما بلغوه من الحديث، حتى إن كثيراً منهم لا يظن أن  
السلف تكلموا في هذه الأبواب<sup>(٦)</sup>.

وكان أبوالوفا بن عقيل (ت: ٥١٣ هـ) بارعاً في الكلام، ولم يكن تام الخبرة  
بالحديث والآثار<sup>(٧)</sup>.

(١) السير (٤٧١ / ١٨).

(٢) السير (٥٢٤ / ١١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٩ / ١٨).

(٤) المتنظم، لابن الجوزي (١٢٦ / ١٧).

(٥) البداية والنهاية (٢١٤ / ١٦).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٣١ / ٧).

(٧) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (٤٨٧ / ٢).

ويذكر عن حماد بن مسلم الرحبي الدباس الصوفي (ت: ٥٢٥ هـ) أحوال ومكاشفات وأطلاع على مغيبات وكان عرياناً من العلوم الشرعية<sup>(١)</sup>.

والشهريستاني (ت: ٤٤٨ هـ) لم يكن له خبرة بالحديث وأثار الصحابة والتابعين<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فأهل البدع لا يذكرون الحديث، بل ولا القرآن، في أصولهم إلا للاعتماد للاعتماد<sup>(٣)</sup>.

ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبر بقلبه: وجد فيه من الفهم والخلاوة والهدى وشفاء القلوب، والبركة والمنفعة، ما لا يجده في شيء من الكلام: لا منظومه ولا منثوره<sup>(٤)</sup>.

ولو تأملت حديث المنحرفين في السنوات الأخيرة من يكتبون في الصحف والمنتديات تجده خالياً عن العلوم الشرعية لأن حفظ نصوص الوحيين والتفقه فيها يحتاج إلى تطلب وجهاد، فاتجهوا إلى الفلسفة فأخذوا بطرف منها، فتحدثوا بما يجهله الناس مع تزويق الكلام وتحسينه بألفاظ غريبة ومفردات حوشية فاغترروا بهم وظنوا أنهم على شيء وهم جهله بالمنقول والمعقول.

وهذا شأن أهل الأهواء في القديم أيضاً، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت

(١) المستظم (١٧/٢٦٦).

(٢) منهاج السنة النبوية (٦/٣١٩).

(٣) منهاج السنة (٧/٣٧).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٤).

منهم فلم يعواها فقالوا بالرأي<sup>(١)</sup>.

ومن آتاه الله علمًا وإيماناً، علم أنه لا يكون عند المتأخرین من التحقيق إلا ما هو دون مستوى تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل<sup>(٢)</sup>.

وهم بالحديث في الفلسفة وذكر أسماء الفلاسفة يجذبون من يبهره الجديـد فـينخدـع بهـم وـيعظـمـهـم، وـهـذـا شـأنـ الـمـبـدـعـةـ فـيـ الـقـدـيمـ أـيـضاـ، فـعـنـ عـبـدـالـوـاـحـدـ بـنـ زـيـدـ قـالـ: (قـالـ لـيـ أـيـوـبـ: قـلـ لـلـثـورـيـ لـاـ تـصـحـ بـعـدـ عـمـرـ وـبـنـ عـبـيـدـ). قـالـ: فـقـلـتـ ذـلـكـ لـهـ، قـالـ: إـنـ أـجـدـ عـنـهـ أـشـيـاءـ لـاـ أـجـدـهـاـ عـنـدـ غـيرـهـ، فـقـلـتـ ذـلـكـ لـأـيـوـبـ، فـقـالـ لـيـ أـيـوـبـ: مـنـ تـلـكـ الـأـشـيـاءـ أـخـافـ عـلـيـهـ)<sup>(٣)</sup>.

ومن صور الإعراض عن الوحي تقديم العقل على النقل، وهذا أول ضلال وقع في الخلق، قال الشهريـسـتـانـيـ: (إـنـ أـوـلـ شـبـهـةـ وـقـعـتـ فـيـ الـخـلـيـقـةـ: شـبـهـ إـبـلـيـسـ وـمـصـدـرـهـ اـسـتـبـادـهـ بـالـرـأـيـ فـيـ مـقـابـلـةـ النـصـ، وـاـخـتـيـارـهـ الـهـوـيـ فـيـ مـعـارـضـةـ الـأـمـرـ...)<sup>(٤)</sup>.

وكل من قال برأيه وذوقه و سياسـتـهـ معـ وجودـ النـصـ، أوـ عـارـضـ النـصـ بالـمـعـقـولـ فقدـ ضـاهـىـ إـبـلـيـسـ حيثـ لمـ يـسـلـمـ لـأـمـرـ رـيـهـ حيثـ قالـ: (أـنـ أـخـيـرـ مـنـ خـلـقـيـ)<sup>(٥)</sup>.

(١) آخر جهـ ابنـ بـطـةـ فـيـ الإـبـانـةـ الصـغـرـيـ، صـ (١٢١).

(٢) مـجـمـوعـ الفـتاـوىـ (٤٣٦/٧).

(٣) حلـيةـ الـأـوـلـيـاءـ (٣٣/٧).

(٤) المـلـلـ وـالـنـحـلـ (١٦/١).

(٥) شـرـحـ الطـحاـوـيـ صـ (١٦٩).

ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات.. ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم..<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (من عارض آيات الله بمعقوله، فإنه لا علم عنده، إذ ذلك المعارض، وإن سماه معقولاً، فإنه جهل وضلال، فليس بعلم ولا عقل ولا هدى..).

وربما ظن البعض أن عند هؤلاء المنحرفين من موافقة العقل ما ليس عند المعظمين للنصوص، وهذا ظن فاسد، إذ اتباع النص موافق للعقل (ومن كان إلى السنة أقرب كان قوله إلى العقل أقرب)<sup>(٢)</sup>.

ووقع أناس في السرّه والبحث عن كل جديد ولو كان ضاراً أو لا فائدة فيه فأقبلوا على كتب المنحرفين المعاصرين ككتب الجابري ومحمد أركون ومحمد صادق العظم وسيد القمني وعزيز العظمة وعبدالله العروي وحسن حنفي وبرهان غليون من هؤلئه من شأن النص الشرعي وسموه تراثاً وعملوا على نقده ومعارضته بالعقل<sup>(٣)</sup>.

(١) درء التعارض (٥/٤٤).

(٢) منهاج السنة (٢/٤٣).

(٣) ينظر:

-تراث والحداثة، محمد الجابري، ص (٦٠-٦١).

-قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص (٢٨-٥٩).

-نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، ص (١٢-١٦).

-الأسطورة والتراث، سيد القمني، ص (٢٠٢).

والحديث عن التهويين من النص ومعارضته بالعقل ليس حديثاً عن الماضي، وإنما حديث عن الواقع، حيث هو أحد وجوه الرندقة التي ظهرت في المجتمع أخيراً... ولن أطيل عليك في ذكر الأمثلة والشواهد على هذا، ولكنني سأكتفي بمثال واحد:

تقول كاتبة: (لأننا جبلنا على الإيمان بالازدواجية وبممارسات لا عقلانية تقرن بين الأمر ونقضيه في الآن ذاته بدون نقاش... لكن الأمر أكثر نكرأة من مجرد الازدواجية بين المفاهيم والتصرفات، هو وجود مفارقة بين حديثين متناقضان (كذا)، فالعقل هنا لا بد أن يتساءل: وأين الصحيح من العليل؟ فمقابلة حديث [الجنة تحت أقدام الأمهات] بحديث [أكثر أهل النار النساء، يقع في ازدواجية معايرية وإنسانية...!!!]).<sup>(١)</sup>

وهذا لا يعني تعطيل العقل وعدم الاستفادة منه، بل كمال العقل نعمة من نعم الله على العبد، يتقي به مواضع الزلل، ويوازن بين الأمور، ويحيط بـ ما فيه عطبه وهلاكه<sup>(٢)</sup>.

ـ دنيا الدين، عزيز العظمة، ص (١٨-٢٣).

ـ السنة والإصلاح، عبدالله العروي، ص (٣٨) وما بعدها.

ـ من النقل إلى العقل، حسن حنفي (٢٥/٢).

ـ التراث والتجديد، حسن حنفي، ص (١٧٩).

ـ اغتيال العقل، برهان غليون، ص (١٢٧) وما بعدها.

(١) مقال بعنوان: (يمر من تحت قدميها للجنة... ويعقها)، صحيفة الرياض، حصة آل الشيخ، العدد (١٥٨٣٧)، التاريخ (٧/١٤٣٢ هـ).

(٢) عن موقف أهل السنة من العقل، ينظر:

ولهذا أثني على كثير من السلف لكمال عقولهم ورجحان فهومهم.

قال الوثيق بن يوسف: ما رأيت رجلاً قط أعقل من عبيد الله بن الحسن بن الحسين العنيري (ت: ١٦٨هـ)<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً من مالك (ت: ١٧٩هـ)).<sup>(٢)</sup>

وقال إبراهيم بن شماس: (لو تنبت كنت أثمني عقل ابن المبارك (ت: ١٨١هـ)).<sup>(٣)</sup>

وسئل عبدالله بن المبارك (ت: ١٨١هـ): ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: (غريزة عقل).<sup>(٤)</sup>

وقال الإمام أحمد بن حنبل في وصف الإمام المحدث محمد بن شعيب (ت: ١٩٩هـ): (كان رجلاً عاقلاً).<sup>(٥)</sup>

وقال آدم بن أبي إيواس: ما رأيت أحداً أعقل لما يخرج من رأسه من ضمرة

- مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، أحمد القاضي، ص (٤٥٦).

- منهج المدرسة العقلية الحدبية في التفسير، فهد الرومي، ص (٢٩).

- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان حسن (١٥٥/١).

(١) تاريخ مدينة السلام (١٢/٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/٣٨٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/١٥١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/٣٩٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/٣٧٧).

بن ربيعة (ت: ١٧٩ هـ)<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عبيد: (ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ))<sup>(٢)</sup>.

وقال الذهبي عن سحنون (ت: ٢٤٠ هـ): (كان موصوفاً بالعقل والديانة التامة والورع)<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الشافعي: (ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ))<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: (ما رأيت بمصر أعقل من أبي موسى يونس بن عبد الأعلى المصري (ت: ٢٦٤ هـ))<sup>(٥)</sup>.

وقال إبراهيم الحربي: (لو قُسِّمَ عقل بشر بن الحارث - العالم المحدث - (ت: ٢٢٧ هـ) على أهل بغداد صاروا عقلاً)<sup>(٦)</sup>.

وهو لاء المعرضون عن الوحي تلاوةً وتعظيمًا وتدبرًا وتحاكماً أظلمت قلوبهم فاستوحشت من الحق وأهله، وألفت الباطل وأهله.

فإن القلب إذا استنار أقبلت وفود الخيرات عليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان، فما شئت من بدعة وضلاله واتباع هوى واجتناب هدى وإعراض عن أسباب السعادة واشتغال

(١) سير أعلام النبلاء (٣٢٧/٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٥/١٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦٤/١٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩٥/١١).

(٥) مرآة الجنان (٢/١٣١).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢٧٦/١٣).

بأسباب الشقاوة فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حنادس الظلام <sup>(١)</sup>.

---

(١) الجواب الكافي، ص (١٢٦).

## ثانياً

### التوّلي عن سبيل المؤمنين

أمر الله تعالى بسلوك صراطه المستقيم **(وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهُوا أَشْبُلَ فَنَفَرَّ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)** [الأنعام: ١٥٣].

وأمر عباده أن يسألوه الهدایة لسلوكه ذلك الصراط في سورة الفاتحة: **(آتَنَا الْقِرْطَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).**

وهذا الصراط: هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون من أهل القرون المفضلة<sup>(١)</sup>.

فما أجمع عليه أهل ذلك العصر فهو الإجماع الذي ينضبط، إذ بعدهم كثروا الاختلاف وانتشرت الأمة . والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين<sup>(٢)</sup>، وهذا متفق عليه بين عامة المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وتوعد الله تعالى المعرضين عن سبيل المؤمنين فقال: **(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**

(١) مجموع الفتاوى (١٥٧/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٧/٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٣١/١١).

مَنْ يَعْدُ مَا لَبَيْنَ لَهُ الْهَدَىٰ وَيَتَّسِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهُ مَا تَوَلَّ وَتُضْلِلُهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» [النساء: ١١٥]. ففي هذه الآية توعّد الله أتباع غير سبيل المؤمنين، مما يدل على أن اتباع سبيلهم واجب، ومخالفتهم حرام<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في وصف هذه الأمة: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ كَعَنِ الْمُنْكَرِ» الآية [آل عمران: ١١٠].

ففي هذه الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة واجب، لأن الله أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة حرام أو إسقاط واجب أو تحريم ضلال أو إخبار عن الله أو خلقه باطل، لكانوا متصفين بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ليس من الكلم الطيب والعمل الصالح<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأمة لا نبي بعد نبائها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن لأحد منهم أن يدّل شيئاً من الدين إلا أقام الله من بين خطأه فيها بدله، فلا تجتمع الأمة على ضلال<sup>(٣)</sup>.

وهذه الأمة أجمعـت على مسائل الاعتقاد في أبواب الإيمان بالله وتوحيدـه في أسمائه وصفاته وعبادـته والإيمـان بملائكتـه وكتـبه ورسـله واليـوم الآخر والقدر خـيرـه وشرـه، وعـرفة فـضل الصـحابة وـتعديلـهم.

وـمخالفـتها في هـذه المسـائل الكـبار فـرق المـبـدـعة من الجـهـمـية والـمرـجـة

(١) الفقيه والتفقه، للخطيب (٤٠٠/١).

(٢) الاستقامة، لابن تيمية (٢٠٦-٢٠٧).

(٣) منهاجـ السنـة، لـابـنـ تـيمـية (٦/٤٦٧).

والخوارج والرافضة.

وهوئاء المنحرفون وقعوا في الانحراف والزيف لما فارقوا سبيل المؤمنين وخالفوا إجماع الأمة.

وفي زماننا خرج من يعارض إجماع الأمة في باب الإيمان، فظهر من يقول برأي الخوارج: تكفيراً لل المسلمين بغير حق. وقابلتهم جماعات ذهبت إلى الإرجاء بأنواعه من إخراج العمل عن مسمى الإيمان، والقول بأنه لا كفر إلا بالاستحلال القلبي، وعدم تكبير اليهود والنصارى تورعاً زعموا!! وخرجت مقالات في الطعن في سلف هذه الأمة من الصحابة رضي الله عنهم... إلخ<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر: التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه، فتاوى لجنة الإفتاء بالمملكة، ص (٧).

## ثالثاً

## الأخذ بالفلسفة وتعظيم الفلسفة

دين الإسلام مصدر الوحي (الكتاب والسنّة) بفهم الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم وفي هذا المدى والفالح في الدنيا والآخرة، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون بعد ذلك ديناً، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ و قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيٍ﴾ وقال جل وعلا: ﴿كَتَبْنَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدِّرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذَرَ بِهِ وَذَكْرَنَا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ أَتَيْمُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَبَعُوا مِنْ دُونِنِهِ أَقْرِبَيَّةً قَلِيلًا مَا تَدَّكَرُونَ ﴿٢﴾﴾ فمن لم يتبع المدى الذي جاء به الوحي فقد ظل السبيل. ولذا لما ابتغى طوائف من الناس المدى من غير طريق الوحي حذّرهم سلف الأمة، ومن ذلك تحذيرهم رحهم الله من الدخول في الفلسفة والمنطق والتلقي عن أهل الكلام، وكلامهم في هذا كثير يصعب استقصاؤه بل أفردوا في ذلك مصنفات عديدة كذم الكلام وأهله للهروي، وصون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام للسيوطني وغيرها..

وقد اتفق السلف والأئمة على ذمه وذم أصحابه وتجهيلهم <sup>(١)</sup>.

قال القاضي أبو يوسف (ت: ١٨٢ هـ): (العلم بالخصوصة والكلام جهل، والجهل بالخصوصة والكلام علم) <sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: (من طلب الدين بالكلام تزندق...) <sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨ هـ): (من طلب الكلام فآخر أمره الزندقة) <sup>(٤)</sup>.

وقال الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ): (ما ارتدى أحد الكلام فأفلح) <sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام عبدالله بن داود الخريبي (ت: ٢١٣ هـ): (ليس الدين بالكلام وإنما الدين بالأئم) <sup>(٦)</sup>.

وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١ هـ): (لا يفلح صاحب الكلام أبداً) <sup>(٧)</sup>.

وصحب المحدث أبو بكر محمد بن عمر بن محمد الجعابي (ت: ٣٥٥ هـ) قوماً من المتكلمين فسقط عند كثير من أصحاب الحديث <sup>(٨)</sup>.

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/١٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/٥٣٩).

(٣) تذكرة الحفاظ (٤/١٢٦٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/١٩٩).

(٥) الإبانة (٢/٥٣٥).

(٦) تذكرة الحفاظ (١/٣٣٨).

(٧) الصواعق المرسلة (٤/١٢٦٩).

(٨) السير (٦/٩١).

قال ابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ): (الفلسفة أُس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيف والزنقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، من تلبّس بها، قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم...) <sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (إياك والنظر في كتب أهل الفلسفة الذين يزعمون فيها أنه كلما قوى نور الحق وبرهانه في القلوب خفي عن المعرفة كما يبهر ضوء الشمس عيون الخفافيش بالنهار، فاحذر مثل هؤلاء وعليك بصحبة أتباع الرسل المؤيدين بنور الهدى وبراهين الإيمان أصحاب البصائر في الشبهات والشهوات الفارقين بين الواردات الرحمانية والشيطانية العالمين العاملين، هم أوزلوك حزب الله لا إِنَّ حزبَ اللَّهِ هُمُ الْمُقْلِبُونَ) [المجادلة: ٢٢] <sup>(٢)</sup>.

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (لأن يعيش المسلم أخرس أبكم خير له من أن يمتلئ باطنه كلاماً وفلسفة) <sup>(٣)</sup>.

فالواجب على الإنسان أن يتحرز من الفتنة ولا سيما مطالعة الكتب المحرفة فكرياً أو خلقياً، لأن بعض الناس يقرأ الكتاب ويقول: أنظر ما عنده فإذا به يعصف به في الهاوية. ولهذا نحذر طالب العلم أن يقرأ كتب أهل البدع أو كتب أهل الضلال حتى يتعرّع ويعرف من العلم ما يدفع به شبهات هؤلاء <sup>(٤)</sup>.

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٦٩٧).

(٣) السير (٢١/٣٦).

(٤) التعليق على صحيح مسلم، لابن عثيمين (٤٦٨/١).

ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلاً، ثم يرد الصحيح عليلاً، فامسکوا عنه ونهوا عن الخوض فيه<sup>(١)</sup>.

وقل من أمعن النظر في علم الكلام إلا وأدأه اجتهاده إلى القول بما يخالف محض السنة، وهذا ذم علماء السلف النظر في علم الأوائل، فإن علم الكلام مولد من علم الحكمة الدهرية، فمن رام الجمع بين علم الأنبياء عليهم السلام وبين علم الفلسفة بذكائه لا بد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء<sup>(٢)</sup>.

وكان أئمة السلف، لا يرون الدخول في الكلام، ولا الجدال، بل يستفرغون وسعهم في الكتاب والسنة، والتference فيها، ويتبعون، ولا ينتطعون<sup>(٣)</sup>.

وهوئاء المنحرفون الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيذان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، وأن طريقة الخلف استخراج معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات<sup>(٤)</sup>.

والدخول في كلام المتكلمين أو الفلاسفة شر محض، وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ بعض أوضارهم<sup>(٥)</sup>.

(١) تلبيس أبليس، ص (٨٠).

(٢) الميزان، الذهبي (١٤٤/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٢٠).

(٤) الحموية، ص (٢٠٤).

(٥) فضل علم السلف على الخلف، ص (٣٢).

والفلسفة والمنطق ليس على معاصوماً، بل لو كان على صحيحًا كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله أضعف حقه، وفساده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه توجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره؟! وهذا الشافعي وأحمد وسائر أئمة الإسلام وتصانيفهم، وأئمة العربية وتصانيفهم، وأئمة التفسير وتصانيفهم، لمن نظر فيها؛ هل رأعوا حدود المنطق وأوضاعه؟ وهل صح لهم علمهم بدونه أم لا؟! بل هم كانوا أجل قدرًا وأعظم عقولًا من أن يشغلوا أفكارهم بهذيان المنطقيين. وما دخل المنطق على علم إلا أفسده، وغير أوضاعه، وشوش قواعده<sup>(١)</sup>.

ومن ضل في القديم من رؤوس البدع وأصحاب المقالات فإنها بسبب الأخذ عن الفلاسفة.

فتلقى (غيلان الدمشقي) (ت: ١٠٥هـ) رأس القدرية مذهبه في القدر عن سوسن أو سنسوئه النصراني.

وأخذ (الجعد بن درهم) (ت: ١١٨هـ) عن الصابئة الفلاسفة فكان رأساً في الضلال وإماماً فيه.

وأخذ (الجهم بن صفوان) (ت: ١٢٨هـ) فلسفته عن بعض فلاسفة الهند - وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسنيات - فكان إمام الجهمية في ضلالهم.

وعني (الخليفة العباسي المأمون) (ت: ٢١٨هـ) بالفلسفة وعلوم

(١) مفتاح دار السعادة (٤٤٥-٤٤٩).

الأوائل ومَهَرَ فيها، فجره ذلك إلى القول الباطل بل الكفر وهو القول بخلق القرآن<sup>(١)</sup>.

ودخل (أبو نصر الفارابي) (ت: ٣٣٩هـ) حرّان وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته.

وارتحل (أبو العلاء المعري) (ت: ٤٤٩هـ) إلى اللاذقية ونزل دُيرًا به راهب متفلسف، فدخل كلامه في مسامع أبي العلاء، وحصلت له شكوك لم يكن له نور يدفعها، فحصل له نوع انحلال دلّ عليه ما ينظمه ويلهجه به<sup>(٢)</sup>.

وعُني (ابن حزم) (ت: ٤٥٦هـ) بعلم المنطق وبرع فيه ثم أعرض عنه وما أعرض عنه حتى زرع في باطنه أموراً وانحرافاً عن السنة<sup>(٣)</sup>. ووقع في نفي الصفات مع تعظيمه للحديث والسنة بسبب أنه أخذ أشياء من أقوال فلاسفة والمعتزلة عن بعض شيوخه ولم يتفق له من يبين له خطأهم<sup>(٤)</sup>.

وتلقى (أبو حامد الغزالى) (ت: ٥٠٥هـ) عن الفلاسفة، فدخل في أجوافهم ولم يخرج منها<sup>(٥)</sup>.

ومال (محمد بن عبد الكريم الشهريستاني) (ت: ٥٤٩هـ) إلى الإلحاد وتحجّط في الاعتقاد لإعراضه عن علم الشرع واشتغاله بظلمات الفلسفة<sup>(٦)</sup>.

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص (٤١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/٢٦). البداية والنهاية (١٥/٧٤٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/١٨٨).

(٤) منهاج السنة النبوية (٢/٥٨٤).

(٥) البداية والنهاية (٦١/٣٦١).

(٦) السير (٢٠/٢٨٨).

واطلع (صدقة بن الحسين بن الحسن الحداد) (ت: ٥٧٣ هـ) على كتاب الشفاء لابن سينا فتغير فكان يرمي إلى إنكار بعث الأجسام ويميل إلى مذهب الفلاسفة وتارة يعترض على القضاة والقدر<sup>(١)</sup>.

وأقبل العلامة الفيلسوف (أبوالوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي) (ت: ٥٩٥ هـ) على علوم الأوائل وبلايهم حتى صار يضرب به المثل في ذلك حتى نسبت إليه أقوال رديئة<sup>(٢)</sup>.

وقرأ الأصولي الفيلسوف (فخر الدين إسماعيل بن علي بن الحسين المأموني الحنبلي) (ت: ٦١٠ هـ) المنطق والفلسفة على (ابن مرقش النصراوي) فكان يتعدد على البيعة لأجل ذلك. وصنف كتاب: (نوميس الأنبياء) يذكر فيه أنهم كانوا حكماء كهرمس وأرسسطو، وكان متسامحاً في دينه، ويقع في رواة الحديث، ويقول: هم جهال لا يعرفون العلوم العقلية، ولا معاني الحديث الحقيقة، بل هم مع اللفظ الظاهر<sup>(٣)</sup>.

وتفنن العلامة المتكلم (سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الأدمي) (ت: ٦٣١ هـ) في حكمة الأوائل فرث دينه وأظلم<sup>(٤)</sup>.

وكان من أسباب ضلال العلامة الأصولي الفيلسوف قاضي القضاة أبو حامد عبدالعزيز بن عبدالواحد الجيلي الشافعي (٦٤٢ هـ) أن أمعن في علم

(١) المتنظم (١٨/٢٤٣).

(٢) السير (٢١/٣٠٨).

(٣) السير (٢٢/٢٩).

(٤) السير (٢٢/٣٦٤).

الأوائل فأظلم قلبه و قالبه <sup>(١)</sup>.

وكان (الفخر بن البديع البندي) (ت: ٦٥٧هـ) يتعاطى الفلسفة والنظر في علم الأوائل، فأفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين <sup>(٢)</sup>.

واشتري (محب الدين النووي) (ت: ٦٧٦هـ) كتاب القانون (لابن سينا)، قال: فأظلم علي قلبي، وبقيت أياماً لا أشتغل بشيء فتفكرت، فإذا هو القانون فبعثته في الحال <sup>(٣)</sup>.

وبعد هذا:

تأمل ما جرّ المنطق على أهله، من البلایا والمحن، وما أوقعهم فيه من التعطيل، والريب، والفتن، فكيف يستجيز من له أدنى عقل، أو دین، أن يقرأ كتب المنطق وعلوم اليونان؟ ويدع الاشتغال بعلوم السنة والقرآن؟! وهل هذا إلا زين في القلوب، ومثل هذا لا يوفق لطلب العلم، من كتاب الله وفهمه <sup>(٤)</sup>.

ومن كان عليهما بهذه الأمور: تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه، وذمّوا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعده <sup>(٥)</sup>.

ويتّبع علم الفلسفة في إفساد العقائد وتحريم الاطّلاع عليها كثير من

(١) السير (٢٣/١٠٩).

(٢) الذيل على الروضتين (١/١٣٥).

(٣) مرآن الجنان، اليافعي (٤/١٣٨).

(٤) الدرر السنّية (٢/٣٤٢).

(٥) الحمويّة، ص (٥٥٣).

العلوم.. فالعلم الذي يحرم تعلمه ونشره علم الأوائل وإلهيات الفلسفه وبعض رياضتهم، بل أكثره، وعلم السحر، والسيمياء، والكيمياء<sup>(١)</sup>، والشعبدة، والخيل، ونشر الأحاديث الموضوعة، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة، وسيرة البطالين المختلفة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصفا، وشعر يعرض فيه إلى الجناب النبوى، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً فلتحذر، ومن ابتلي فيها بالنظر للفرجة والمعرفة من الأذكياء، فليقلل من ذلك، وليطالعه وحده، وليستغفر الله تعالى، وليلتجئ إلى التوحيد، والدعاء بالعافية في الدين..<sup>(٢)</sup>.

إياك - أيها الموفق - وكتب الفلسفه والمناظره والباطنية وأهل الكلام فإنها داء عضال، وجَرَبَ مُرِّدٌ وسم قتال، فالحذر الخدر من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، ولبيتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام وأن يُتوقّ على إيمان الصحابة، وسادة التابعين<sup>(٣)</sup>.

وعليك أخي بتدبر كتاب الله، وإدمان النظر في الصحيحين وسنن النسائي ورياض التواوي وأذكاره تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلسفه، ووظائف أهل الرياضيات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنفية السمححة<sup>(٤)</sup>.

(١) المراد به نوع من السحر وليس العلم المعروف في عصرنا.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٦٠٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٤٠).

ومن أعرض عن القرآن والسنة وعلومها وأكب على كتب المنحرفين من الفلاسفة وغيرهم يوشك أن يهلك ويزيف، واقرأ قوله تعالى: **﴿فَمَنَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾** [الصف:٥]، وقوله: **﴿ثُمَّ أَنْصَرَهُمْ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ﴾** [التوبه:١٢٧]. فإن فيها أعظم رادع عن ذلك.

وفي زماننا ثقلت النصوص على طائفة، وأعياهم حفظها، وزهد أقوام في العلوم الشرعية، فراجت مقالة ضالة تدعو إلى قراءة الفلسفة وتعلمتها<sup>(١)</sup> وتدريسها في الجامعات الشرعية<sup>(٢)</sup>، فأقبل بعض الناشئة على كتب الفلاسفة<sup>(٣)</sup>، وأصبحوا يتزئنون بها في مقالاتهم ومطارحاتهم، وهذا مورد هلاك وفتنة.

وما لاحظته أن صحيفة (الرياض) على وجه الخصوص تسعى إلى نشر الفكر الفلسفي من خلال عرض كتب الفلاسفة والكتابة عنها، ففي السنوات الأخيرة كُتب الكثير من ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) عرضت قناة الإخبارية في يوم الخميس الموافق (٢/٤/١٤٢٨هـ) في برنامج (آفاق ثقافية) حلقة بعنوان: (الفلسفة والفكر الديني ومانعة الفكر الديني للفلسفة).

(٢) طالب (علي الشدوي) في محاضرة له في نادي حائل الأدبي بتدرис الفلسفة في التعليم العالي. صحيفة الرياض العدد (١٤٩٢٥)، التاريخ (٣/١٠/١٤٣٠هـ).

(٣) تعدد حلقة (فلسفية) أسبوعية في نادي الرياض الأدبي.

(٤) ينظر مثلاً:

- مقال بعنوان: (الاغتراب في حياة ابن باجه)، العدد (١٥٠٢٥)، التاريخ (٨/٢٢/١٤٣٠هـ).

- مقال بعنوان: (التأسيس الفلسفي للأخلاق)، العدد (١٥٠٠٤)، التاريخ (٨/٢١/١٤٣٠هـ).

ويدعو بعض (الأكاديميين) طلابهم إلى قراءة الفلسفة والنظر فيها، وهم بهذا عُشُّوهم ولم ينصحوا لهم.  
وأصدق وصف للفلسفة أنها طعام فسد وتغير وأنتن، يؤدي بمن أكله إلى السقم أو الهالك.

وإذا كان السلف قرروا تحريم النظر في كتب أهل الكلام<sup>(١)</sup>، فإنه ينسحب على سائر كتب الضلال.

وإن المسلم ليشتد ألمه عندما يرى الناشئة تقبل على كتب المنحرفين والضلال، ويعجب من ينشد المعرفة في كتب: محمد الجابري وأركون ونصر أبو زيد وعلي حرب وجمال البناء وغيرهم من رؤوس الضلال والانحراف.  
فما يكتبه هؤلاء المنحرفون لا يستحق أن يقرأ فضلاً عن أن يعظم أو يفاد منه، إذ يقوم على أصلين:

الأصل الأول: عدم اعتبار الوحي أصلاً للمعرفة.

الأصل الثاني: رفض الوحي مهيمناً على الحياة.

وقرأت طائفة في زماننا في كتب الفلاسفة فضلت عن سوء السبيل، فقرأ (منصور النقيدان) كتب الجابري كما ذكر عن نفسه<sup>(٢)</sup> وقرأ أيضاً في

- عرض لكتاب (محاورة ديكارت)، العدد (١٤٧٥٢)، التاريخ (١٥/١١/١٤٢٩هـ).

(١) ينظر: تحريم النظر في كتب الكلام، لابن قدامة، ص (٤١).

(٢) صحيفة الرياض، التاريخ (٢٤/٧/٢٠٠٣م)، مقال بعنوان: (الكتاب حينما يكون عاملاً في صياغة التفكير).

كتب الفلسفة وتاريخ الفلاسفة<sup>(١)</sup>. واطلع (منصور المجلة) على الفلسفة وكتب مقالات فيها<sup>(٢)</sup>، وقرأ (نوفال القديمي) فيها أيضاً<sup>(٣)</sup>. واطلع (إبراهيم البليهي) على كتبهم<sup>(٤)</sup>. وهؤلاء وغيرهم لم يخرجوا من الفلسفة والقراءة فيها إلا بشكوك وأوهام زادتهم تيهًا وضلالاً.

فمن رزقه الله بصيرة أبصر الحق والباطل عياناً بقلبه، كما يرى الليل والنهار، وعلم أن ما عداه من كتب الناس وأرائهم ومعقولاتهم: بين علوم لا ثقة بها، وإنما هي آراء وتقليد، وبين ظنون كاذبة لا تغنى من الحق شيئاً، وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها، وبين علوم صحيحة قد وغروا الطريق لتحصيلها وأطالوا الكلام في إثباتها مع قلة نفعها<sup>(٥)</sup>.

(١) مقابلة مع (منصور النقيدان) على قناة العربية في برنامج إضاءات، التاريخ ١٥/٩/٢٠٠٤م.

(٢) ينظر مثلاً: مقال بعنوان: (قراءة في كتاب إصلاح العقل في الفلسفة العربية من واقعية أرسطو...)، صحيفة الرياض، التاريخ ١٣٢٧/٩/١٣، العدد ٩٨٢.

كما شارك بورقة في ندوة في نادي حائل الأدبي بتاريخ ١٤٢٨/٣/٢٢، بعنوان: (الفلسفة وعلاقتها بالدين).

(٣) المحافظون والإصلاحيون، نوفال القديمي، ص ٢٥١.

(٤) البليهي في حوارات الفكر والثقافة، عبد الله المطيري، ص ٧.

(٥) إغاثة اللهفان (١/٧٠-٧١).

## رابعاً

### ترك الصبر المأمور به

من قرأ التاريخ، وتدبر السير، وتأمل أحوال الناس وجد أن من أسباب الضلال: ترك الصبر المأمور به فيقع الإنسان في الفتنة. والفتن تأخذ صوراً مختلفة، وهي تعظم في آخر الزمان، وتشتد على أهل الإيمان.

فمن تعريض الإنسان نفسه للفتنة إنكار المنكر وهو غير قادر على تحمل ما يصبه من الأذى. إذ الأصل أن الأمر والنهي واجب في حق القادر مع أمن الفتنة، أما مع الفتنة فإن السلامة لا يعدها شيء.

سئل الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): متى يحب على الأمر؟ قال: إذا لم تخف سوطاً ولا عصاً<sup>(١)</sup>.

وسئل أيضاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلم؟ قال: نعم، قال: فإن خشى؟ قال: هو واجب عليه حتى يناف، فإذا خشى على نفسه

(١) مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم، رقم (١٩٤٩).

فلا يفعل<sup>(١)</sup>.

وتكون الفتنة أعظم عند الإنكار على الولاة والسلطانين خاصة إذا كان الإنكار علانية وبتهييج العامة عليهم.

قيل: للإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ): متى يجب الأمر والنهي؟

قال: ليس هذا زمان نهي، إذا غيرت بسانك، فإن لم تستطع فقبلبك، فهو أضعف الإيمان، وقال لي: لا تتعرض للسلطان، فإن سيفه مسلول وعصاه<sup>(٢)</sup>.

وقال وكيع بن الجراح في الأمر والنهي: مروا بها من لا يخاف سيفه ولا سوطه<sup>(٣)</sup>.

ومن ترك الصبر المأمور به الخروج على ولاة الجور بالسيف عند فشو المنكر أو الاستئثار بالمال، مما يخالف المقرر عند أهل السنة والجماعة.

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتنة الكبار والصغر، رأها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر فتولّد منه ما هو أكبر منه<sup>(٤)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (لا تقع الفتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فهو سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر)<sup>(٥)</sup>.

(١) كتاب الأمر بالمعروف، الخلال، ص(٢٥).

(٢) مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم، رقم (١٩٥٦).

(٣) كتاب الأمر بالمعروف، للخلال، ص(٢٩).

(٤) إعلام الموقعين (٣/٦).

(٥) الاستقامة (١/٣٩).

يقول ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ): (ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء، فإن كثيراً من المتأولين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعهم والمشتبهون بهم من الغوغاء والدھماء، ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون في تلك السبل مأذورين غير مأجورين لأن الله لم يكتب عليهم ذلك) <sup>(١)</sup>.

وقد خرج أقوام في التاريخ على ولادة الجور فأحدثوا فتناً عظيمة أضرت بهم وبال العامة، وبعض هؤلاء ندم وأسف على ذلك.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان؛ إلا وكان خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته) <sup>(٢)</sup>. فلا أقاموا ديناً ولا أبقوه دنياً <sup>(٣)</sup>.

ففي سنة (٦٣هـ) كانت وقعة (الحرّة)، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا (يزيد بن معاوية)، فأرسل لهم (مسلم بن عقبة) فنزل شرقي المدينة في (الحرّة)، فاقتتل القرىقان قتالاً شديداً فهزم أهل المدينة إليها، ثم أباحها (مسلم بن عقبة) ثلاثة أيام، وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض، وقتل سبعينائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار،

(١) مقدمة ابن خلدون، ص (٢٨٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/٣٩١).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤/٥٢٨).

وعشرةآلاف من لا يعرف من حر وعبد.

وقد وقع في هذه الأيام الثلاثة من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يجد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

وكان (عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث) (ت:٨٤هـ) أميراً على (سجستان)، بعثه (الحجاج)، فثار هناك، وأقبل في جمع كبير وقام معه علماء وصلحاء لما رأوا على (الحجاج) من إمامية الصلاة، فقاتلته (الحجاج) ودامـت الحرب أشهرأ، وقتل خلق من الفريقين، ثم انهزم (ابن الأشعث) ومن معه، وقتل (الحجاج) منهم خلقاً كثيراً من القراء وغيرهم من خيار الناس، وغرق كثير منهم، ولما جاء (الحجاج) إلى معسركـهم قـتلـهمـ نحوـاًـ منـ أـربـعـةـ آـلـافـ،ـ ثمـ تـبـعـهـمـ،ـ حـتـىـ قـيـلـ:ـ إـنـهـ قـتـلـ مـنـهـ بـيـنـ يـدـيـهـ صـبـراًـ مـائـةـ وـثـلـاثـينـ أـلـفــ كـانـ آـخـرـهـمـ التـابـعـيـ الجـلـيلـ (سعـيدـ بنـ جـبـيرـ)،ـ ثـمـ لـاذـ (ابـنـ الأـشـعـثـ)ـ إـلـىـ رـتـبـيلـ أـمـيرـ التـرـكـ وـكـانـ كـافـرـاًـ،ـ فـسـلـمـهـ (رـتـبـيلـ)ـ إـلـىـ (الـحـجـاجـ)،ـ فـلـمـ قـرـبـ (ابـنـ الأـشـعـثـ)ـ مـنـ (الـعـرـاقـ)ـ أـلـقـىـ نـفـسـهـ مـنـ قـصـرـ خـرـابـ أـنـزـلـوـهـ فـيـ فـهـلـكـ<sup>(٢)</sup>.

قال أـيـوبـ:ـ (لـأـعـلـمـ أـحـدـاـ قـتـلـ)ـ يـعـنـيـ مـعـ اـبـنـ الأـشـعـثــ إـلـاـ وـقـدـ رـغـبـ لـهـ مـصـرـعـهـ،ـ وـلـأـنـجـاـ إـلـاـ قـدـ نـدـمـ عـلـىـ مـاـ كـانـ مـنـهـ<sup>(٣)</sup>.

وخرج (يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة) (ت:١٠٢هـ) على (يزيد بن عبد الملك)، وغلـبـ عـلـىـ (الـبـصـرـةـ)،ـ فـاتـبعـهـ الرـاعـعـ،ـ فـسـارـ لـحـرـبـهـ (مسـلـمـةـ بنـ

(١) البداية والنهاية (١١/٦١٤-٦٢٧).

(٢) السير (٤/١٨٣). البداية والنهاية (١٢/٣٠٩).

(٣) أـخـرـجـهـ اـبـنـ سـعـدـ (٧/١٨٨).

عبدالملك)، فقاتل (يزيد) قتالاً عظيماً وتكللت جموعه، فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمة، حتى ذاق حمامه، نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية<sup>(١)</sup>.

وتواتر (محمد بن فروخ الفارسي المالكي) (ت: ١٧٥ هـ) مع قوم للخروج على الأمير، فذهب (ابن فروخ) لمكان الموعد وتخلعوا، فلم يواقه منهم إلا رجالان فرجع. وكان (ابن فروخ) يرى الخروج على أئمة الجور، إذا اجتمع من يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدة أهل بدر، فلما خرج إلى (مصر) وشيعه الناس التفت إلى من شيعه، فقال: أشهدوا أني رجعت بما كنت أقول به من الخروج على أئمة الجور، وتأبى إلى الله منه<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة (٤٠٢ هـ) هاج أهل (رَبَضَ قرطبة) على (الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي) (ت: ٤٠٦ هـ) أمير (الأندلس)، وقد اختلفت الروايات في سبب قيام الناس وهيجهم، فمنهم من يقول: إن ذلك الهيج كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ثم ضرورة من إجحاف في مال، ولا انتهاك لحرمه، ولا تعسف في ملكه، والحال تدل على صحة ذلك: فإنه لم يكن على الناس وظائف، ولا مغارم، ولا سُخَرَ، ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشرأً وبطراً، وملالاً للعافية، وطبعاً جافياً، وعقلاً غبياً، وسعيأً في هلاك أنفسهم، أعادنا الله من الصلال والخذلان، وأسباب البوار والخسران.

(١) السير (٤/٥٠٦).

(٢) ترتيب المدارك، القاضي عياض (١/١٩٨).

ولما هاجوا وقاوموا السلطان، ناصبهم (الحكم بن هشام) القتال، وواضعهم الحرب، فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وتبعهم في الأزقة والطرق يقتلهم، ونجا منهم من تأخر أجله ففر فلم يلو على أهلٍ ولا ولد، وأخذ منهم ثلاثة رجال، فصلبوا، وكان منهم علماء ومحدثون<sup>(١)</sup>.

وخرجت الجماعة الإسلامية سنة (١٤٠٢هـ) وقتلت (السادات) رئيس مصر فجاء (حسني مبارك)، فكان نقمَّةً وعداً عليهم، فأعدم مائة منهم بأحكام استثنائية، وألقي منهم أعدموا بطريقة غير قانونية، وهذا كلام الدكتور (ناجح إبراهيم) من رموز الجماعة الإسلامية الذي أكد أن قتل السادات كان خطأً ولم يكن صواباً وأنه أضر بالدعوة الإسلامية، وقد كانت تعيش حرية قبل قتله<sup>(٢)</sup>.

وكثر من خرج على ولاة الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استشارهم عليه، ولم يصبروا على الاستشارة. ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى، فيبقى بعده لاستشاره يعظم تلك السيئات، ويبقى المُقاتل له ظاناً أنه يقاتله لثلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حركه عليه طلب غرضه: إما ولادة، وإما مال<sup>(٣)</sup>.

(١) البيان المغرب (٢/٧٥-٧٧). نفح الطيب (١/٣٣٩). (٢/٦٣٩).

(٢) مقابلة مع الدكتور (ناجح إبراهيم) في برنامج (صفحة جديدة) على قناة (لайف المصرية) يوم الثلاثاء الموافق (٢٧/١١/١٤٣٢هـ).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤/٥٤٠).

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا<sup>(١)</sup>.

ومن استقرأً أحوال الفتنة التي تجري بين المسلمين، تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، وهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به<sup>(٢)</sup>.

وإذا التبس الحق بالباطل، ولم يتبين الحق والصواب، وما جلت الفتنة بأهلها فأقبل على نفسك، والزم جادة الراغبين في السلامة: عزله وصمته.

قال حذيفة رضي الله عنه: (إياكم والفتنة فلا يشخص إليها أحد، فو الله ما يشخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة متصلة حتى يقول الجاهل هذه سنة، وتتبين مدبرة، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم وكسروا سيفكم وقطعوا أوتاركم)<sup>(٣)</sup>.

وذلك أن الفتنة تمنع معرفة الحق أو قصده أو القدرة عليه، فيكون فيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس أو أكثرهم، ويكون فيها من الأهواء والشهوات ما يمنع قصد الحق وإرادته، ويكون فيها من ظهور قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير.

ولهذا يُنكر الإنسان قلبه عند الفتنة، فَيَرِدُ على القلوب ما يمنعها من معرفة الحق وقصده. ولهذا يقال: فتنة عمياء صماء. ويقال: فتن كقطع

(١) منهاج السنة النبوية (١٥٢/٥).

(٢) منهاج السنة (٤/٤١٠).

(٣) الإبانة (٢/٥٩٤).

الليل المظلم، ونحو ذلك من الألفاظ التي تبين ظهور الجهل فيها، وخفاء العلم<sup>(١)</sup>.

والفتن على وجوه كثيرة وضرورب شتى قد مضى منها في صدر هذه الأمة فتن عظيمة نجا منها خلق كثير عصمهم الله بالتقى.

وجميع الفتنة المضلة المهلكة المضرة بالدين والدنيا فقد حلّت بأهل عصرنا واجتمع عليهم مع الفتنة التي هم فيها التي أضرموا نارها وتقلدوا عارها الفتنة الماضية والسابقة في القرون السالفة فقد هلك أكثر من ترى بفتنة سالفة وفتنة آنفة اتبعوا فيها الهوى آثروا فيها الدنيا فعلامه من أراد الله به خيراً وكان من سبقت له من مولاه الكريم عناء أن يفتح له باب الدعاء باللجاج والافتقار إلى الله عزوجل بالسلامة والنجاء ويهب له الصمت إلا بما لله فيه رضى ولدينه فيه صلاح وأن يكون حافظاً للسانه عارفاً بأهل زمانه مقبلاً على شأنه قد ترك الخوض والكلام فيما لا يعنيه والمسألة والكلام والإخبار بما لعله أن يكون فيه هلاكه، لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله، فإن هذه الفتنة والأهواء قد فضحت خلقاً كثيراً وكشفت أستارهم عن أحوال قبيحة فإن أصون الناس لنفسه أحفظهم للسانه وأشغلهما بددينه وأتركهم لما لا يعنيه<sup>(٢)</sup>.

والفتنة إذا وقعت عجز العقلاة فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكفّ أهلها وهذا شأن الفتنة كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] وإذا وقعت الفتنة لم يسلم

(١) منهاج السنة (٤/٥٤٨).

(٢) الإبانة (٢/٥٩٦).

من التلؤث بها إلا من عصمه الله<sup>(١)</sup>.

وذلك أن الفتنة إنها يعرف ما فيها من الشر إذا أدرست، فأما إذا أقبلت فإنها تُزَيِّن، ويُظَن أن فيها خيرا، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشر والمرارة والبلاء، صار ذلك مبيناً لهم مضرتها، وواعظاً لهم أن يعودوا في مثلها، كما أنسد بعضهم:

الحرب أول ما تكون فتيةٌ  
تسعى بزینتها لكل جهول  
حتى إذا اشتعلت وشب ضرائمها  
ولت عجوزاً غير ذات حليل<sup>(٢)</sup>

والاستشراف للفتن يكون باللسان ويكون باليد... واستشرافها باللسان أشد وقعاً وأعظم أثرا. قال صلى الله عليه وسلم: « تكون فتن تستنطف العرب، اللسان فيها أشد من وقع السيف »<sup>(٣)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: « ستكون قتنة عمياء صماء من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقع السيف »<sup>(٤)</sup>.

وكم قيل:

يصاب الفتى من عشرة بسانه وليس يصاب المرء من عشرة الرجل  
فعشرته في القول تذهب رأسه وعشرته في الرجل تtra على مهل

(١) منهاج السنة (٤/٣٤٣).

(٢) منهاج السنة (٤/٤٠٩) وهو في البخاري في كتاب الفتنة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٦٥). والترمذى (٢٢٦٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٦٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأً أو معاذاً فليعذبه»<sup>(١)</sup>.

وأسعد الناس مَنْ جُنِّبَ الفتنة، قال صلى الله عليه وسلم: «إن السعيد مَنْ جنب الفتنة، إن السعيد مَنْ جنب الفتنة، إن السعيد مَنْ جنب الفتنة»<sup>(٢)</sup>.

ومن أسباب الوقوع في الفتنة تصدر الصغار، وإذا رأيت جملة من فتنوا بأنواع الفتنة في زماننا وجدت أنهم من استعجلوا التصدر للتدرس أو الإفتاء أو الكلام في الشأن العام وهم بَعْدُ أحداث صغار.

وما رأاه الإنسان وبلغ به العجب غايتها ما قام به (حمود بن نافع العنزي) من إنشاء سفر إلى ليبيا ليخطب في الناس هناك يدعوهم إلى طاعة القذافي متضمناً كلامه كثيراً من التلبيس والكذب والتضليل خاتماً خطبته بالدعاء للقائد القذافي بال توفيق<sup>(٣)</sup>، وهذا القذافي صدر قرار من علماء العالم الإسلامي منذ ثلاثين عاماً بتكفيره لإنكاره السنة وكلامه في القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>.

وإذا عرّض الإنسان نفسه للبلاء لم يؤمن الفتنة، خاصة إذا عَلِمَ رسوخ القدم: علىَّ وعبادةً ونيةً صالحةً.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٦٣).

(٣) خطبة أذيعت على الفضائية الليبية في شهر شعبان ١٤٣٢هـ أكثر من مرة.

(٤) الرد الشافي على مفتريات القذافي، رابطة العالم الإسلامي، ص (١١).

ولذا فكثير من عرّضوا أنفسهم للبلاء والفتنة ولم يوفقا للصبر المأمور به نكصوا على أعقابهم مدبرين وأصبحوا دعاة لما كانوا ينكرونه.

فأحدهم يقول: لقد سقطت نصف قناعاتي يوم أغلق السجان بباب السجن علي.

وآخر عزل من القضاء وسجن فتحول إلى بلاء وسوء فتنة، ففي برنامج (إضاءات) على قناة العربية هاجم الدعوة التجديدية الإصلاحية في هذه الجزيرة واعتبرها دعوة غالبة، وقرر أن المصدر الشرعي القضائي شحيح وبخيل، وأن قاعدة (سد الذرائع) كبتت الناس وحجرت عليهم !!

ومثله من خرج في برنامج (إضاءات) على قناة (العربية) فاستذكر تقرير أهل العلم لقاعدة (سد الذرائع) ووصفهم بأنهم الفقهاء ووصمهم بضعف المعرفة، ودعا إلى إعادة قراءة كتاب (قاسم أمين)، وسخر من كتاب: (حراسة الفضيلة)، وقرر أن (ابن تيمية) ساهم في تغذية الإرهاب.

ورابع: عزل من القضاء فسلّم لسانه على أهل العلم تنقصاً وتجريحاً وصار رداءً للمنافقين في حربهم على أهل العلم والإيمان. وهؤلاء إنما أتوا من جهة جزعهم وعدم صبرهم، فلو لم يدخلوا في الفتنة لكان خيراً لهم.

فهذا شأن المفتونين من تعرضوا للفتنة فلم يصبروا، أما العلماء الصادقون والأئمة المهديون فهؤلاء إن فتنوا صبروا، ودونك سير التابعين والأئمة الأربعية وغيرهم شاهدة على هذا.

ولعلك تذكر أن الشيخ التقى (عبدالله بن حسن بن قعود) (ت: ١٤٢٦هـ)

عُزل من وظيفته سنة (١٤٠٦هـ)<sup>(١)</sup> فلم يزده ذلك إلا صبراً وثباتاً ولم ينقطع عن إفادة الناس تدريساً وإفقاءً، ولم يخرج رحمه الله رحمة واسعة في الصحف والمجلات والإذاعات ليصبح ويولوّل كما هو شأن المفتونين.

ولا تنس الشيخ الورع (عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين) (ت: ١٤٣٠هـ) الذي عُزل من وظيفته سنة (١٤١٦هـ) فلم يزد أن اشتغل بالتدريس وإفادة الناس.

هذه مواقف الصادقين ومقامات الصالحين.. أتعلم لماذا؟ لأنهم قوم صفت نياتهم وخلصت مقاصدهم نحسبهم كذلك والله حسيبهم.

(١) مقابلة مع أبناء الشيخ (عبد الله بن قعود) في مجلة (منارات)، العدد (١٣)، التاريخ (شوال ١٤٢٦هـ).

## خامساً الاغترار بالمنحرفين والانبهار بالجديد

يؤتى بعض الناس من القدرة والمكانة فتنّةً واختباراً لهم .. ما يغرس بهم الناس فيتبعوهم.

فأحياناً يكون لديهم بلاغة وفصاحة وقدرة على الكلام وانطلاقه فيه، وأحياناً يكون لديهم ذكاء وفطنة، وأحياناً يكون عندهم عبادة وتنسّك ..

وقد تبعت ترجم طائفة من المنحرفين في القديم فوجدت أن فيهم بلغاء فصحاء وفيهم أذكياء وفيهم عباد متنسّكون ..

أما الفصاحة والبيان فما اطلعت على ترجمة رأس من رؤوس البدعة والانحراف إلا رأيت أنه موصوف بشيء من ذلك.

يصف الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) (واصل بن عطاء المعتزلي) (ت: ١٣١هـ) فيقول: **البليل الأفوه**<sup>(١)</sup>.

وقال أبو العيناء: (كان ابن أبي دواد - الداعية إلى القول بخلق القرآن -

(١) سير أعلام النبلاء (٤٦٤/٥).

(ت: ٢٤٠ هـ) شاعرًا مجيدًا فصيحةً بلغًا، ما رأيت أفصح منه) <sup>(١)</sup>.

ولقب عبد الله بن سعيد - رأس المتكلمين في زمانه - كلاماً لأنَّه كان يحرِّك الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاعته <sup>(٢)</sup>.

وكان أبو الفتوح السهوردي الصوفي المقتول لزندقته (ت: ٥٨٧ هـ) فصيحة العباره <sup>(٣)</sup>.

ولهذا قال عمر بن الخطاب: «حدَّرنا رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ منافقٍ عليِّمٍ لِّلسان» <sup>(٤)</sup>.

أما الذكاء والفطنة فندر أن تجد منحرفاً أو مبتدعاً وهو رأس إلا وله نصيب وافر منها.

فالجهم بن صفوان رأس الجهمية كان صاحب ذكاء <sup>(٥)</sup>.

وكان عبد الله بن المتفع - أحد الزنادقة - (ت: ١٤٥ هـ) يتميز بفرط الذكاء <sup>(٦)</sup>.

وكان بشر بن المعتمر (ت: ٢١٠ هـ) شيخ المعتزلة ذكياً فطناً <sup>(٧)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء (١١/١٦٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/١٧٥).

(٣) وفيات الأعيان (٣/٣٣٥).

(٤) أخرجه أحمد (١٤٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٦/٢٦).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦/٢٠٩).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٠/٢٠٣).

ووصف أبو الهنيل العلاف (ت: ٢٢٦هـ) بأنه صاحب الذكاء البارع<sup>(١)</sup>.  
وكان الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) مفرط الذكاء فدخله سيلان ذهنه في مضائق  
الكلام ومزال الأقدام<sup>(٢)</sup>.

وكان حسن بن عدي بن أبي البركات بن مسافر شيخ الأكراد المتصوف  
المنحرف (ت: ٦٤٤هـ) من رجال العالم دهاء<sup>(٣)</sup>.

وكذا سائر المبتدعة من أهل الكلام والفلسفة.. فأبو بكر الباقياني الأشعري  
(ت: ٤٠٣هـ)<sup>(٤)</sup> وأبو عبد الله الحليمي الأشعري (ت: ٤٠٣هـ)<sup>(٥)</sup> وأبو الحسين  
البصري المعتزلي (ت: ٤٣٦هـ)<sup>(٦)</sup> وأبو جعفر السمناني الأشعري (ت: ٤٤٤هـ)<sup>(٧)</sup>  
وأبو الفتوح السهوردي الصوفي الزنديق (ت: ٥٨٧هـ)<sup>(٨)</sup> وسيف الدين  
الآمدي (ت: ٦٣١هـ) وابن عربي الصوفي (ت: ٦٣٨هـ)<sup>(٩)</sup> وغيرهم وصفوا بأنهم  
أذكياء ودهاء بل يضرب المثل بذكائهم، بل منهم من كان من أذكياء العالم.

وساق الذهبي أسماء عدٍ من رؤوس المعتزلة فقال: وأشباههم من كان

(١) سير أعلام النبلاء (١١/١٧٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٣/٢٢٣).

(٤) السير (١٧/١٩٠).

(٥) السير (١٧/٢٣٢).

(٦) السير (١٧/٥٨٧).

(٧) السير (٢٢/٣٦٤).

(٨) وفيات الأعيان (٣/٣٣٥).

(٩) السير (٢٣/٤٨).

ذكاؤهم وبالاً عليهم، ثم بينهم من الاختلاف والخبط أمر لا يخفى على أهل التقوى، فلا عقولهم اجتمعوا، ولا اعتنوا بالآثار النبوية، كما اعتنى أئمة المهدى، **﴿فَأَئُلُّ النَّفِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾** [الأنعام: ٨١] <sup>(١)</sup>.

وقد أخبر الله في غير موضع من كتابه بالضلال وال العذاب لمن ترك اتباع ما أنزله، وإن كان له نظر وجدل واجتهد في عقليات وأمور غير ذلك، وجعل سبحانه ذلك من نعوت الكافرين، قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَعْيُدَةً فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذَا كَانُوا يَجْهَدُونَ كِتَابَنَا أَنَّا يَأْتِيَنَا اللَّهُ وَحَمَقُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ﴾** [الأحقاف: ٢٦].

وكمأقيل:

هتف الذكاء وقال لست بنافع      إلا ب توفيق من الوهاب <sup>(٢)</sup>

أما الزهد والتقصيف فبعض رؤوس البدعة والانحراف عبر التاريخ كانوا كذلك.

كان أبو الفضل جعفر بن حرب المعتزلي (ت: ٢٣٦هـ) عابداً ومن نسّاك <sup>(٣)</sup> **القوم**.

وجاء في وصف محمد بن كرّام السجستاني - شيخ الكرّامية - (ت: ٢٥٥هـ) الزاهد العابد، لكنه خذل حتى التقط من المذاهب أرداها <sup>(٤)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٥٦).

(٢) السير (١٨/٥٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٣).

ووصف أبو مخالد أحمد بن الحسين المتكلم المعزلي (ت: ٢٦٨هـ) بأنه ذو زهد وورع<sup>(١)</sup>.

وكان الحافظ أبو سعد إسحاق بن علي السهان المعزلي (ت: ٣٤٠هـ) زاهداً ورعاً<sup>(٢)</sup>.

وُوُصف أبو عبدالله الحسين بن عبدالله الغضائري (ت: ٤١١هـ) بالزهد والورع، وكان رافضياً<sup>(٣)</sup>.

وقدم محمد بن أحمد بن موسى الشيرازي الوعاظ (ت: ٤٣٩هـ) على بغداد وأقام بها مدة يتكلّم على الناس بلسان الوعاظ، ويلبس المرقعة، ويظهر عزوف النفس عن طلب الدنيا، فافتتن الناس به لما رأوا من حسن طريقة، وكان يحضر مجلس وعظه خلق لا يحصون، ثم إنّه قبل ما كان يعطى بعد امتناع شديد كان يظهره من قبل، وحصل ببغداد مالاً كثيراً، ونزع المرقعة من الثياب ولبس الثياب الناعمة الفاخرة، وجرت له أقاصيص، وصار له تبع وأصحاب، ثم أظهر أنه يريد الغزو، فحشد الناس وصار معه من أتباعه عسّكر كبير، ونزل بظاهر البلد من أعلىه وكان يضرب له بالطبل في أوقات الصلوات<sup>(٤)</sup>.

وكذا أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعربي (ت: ٤٤٩هـ) كان يتزهّد

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٥٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/٥٧).

(٣) السير (١٧/٣٢٨).

(٤) تاريخ مدينة السلام (٢/٢٢٧).

ولا يأكل اللحم ويلبس خشن الثياب على أنه رُمي بالإلحاد والزندقة<sup>(١)</sup>.

ودخل صدقة بن وزير الواسطي (ت: ٥٥٧هـ) ببغداد ولازم التكشف زائداً في الحد ووعظ فأخذ قلوب العوام بالتفشف الخارج وكان فيه ترفس<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فالاغترار بعبادة المنحرفين دسيسة شيطانية، فابن عربي وابن سبعين وابن الفارض لهم عبادات وصدقات ونوع تكشف وتزهّد، وهم من أكفر أهل الأرض<sup>(٣)</sup>.

إذن: فالذكاء والبلاغة والزهادة والعلوم الدنيوية منها بلغت ليست معياراً لاستقامة الرجل أو صلاح حاله فضلاً أن يكون حقيقةً بالاتباع. قال الله تعالى عن المعارضين للرسل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُّهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِجُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

وبتتبع الاغترار بالمنحرفين: الانبهار بالجديد الذي يهز القناعة ويضعف اليقين.

وهذا الجديد يتمثل في: شخصيات يجعلها أئمة له، أو كتب يطلع عليها، أو بلدان يسافر إليها يراها المرء الضعيف فتهز يقينياته وتكون سبباً في انحرافه.

فالانبهار بالشخصيات لقدرها على الحديث والبيان، أو لتمكنها من علوم الآلة كالأصول والنحو أو المنطق والفلسفة، أو لسعة محفوظها وكثرة مقوئها... أما الكتب فقد صدر كثير منها في السنوات الأخيرة في ظل الانفتاح غير

(١) الأنساب (١/ ٣٥١).

(٢) المتنظم، لابن الجوزي (١٨/ ١٥٤).

(٣) مجموع الرسائل والمسائل النجدية، عبداللطيف بن عبد الرحمن (٣/ ٦٧).

المنضبط<sup>(١)</sup> وكان لها أثرها وتأثيرها في نشر الانحراف... .

فقد صدر كتاب: (محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبيا) للمبتدع الخبيث: حسن المالكي، وتلقفه بعض الأغرار وأخذوا ما فيه من غثاثة وأصبحوا يرددونها في مجالسهم ومنتدياتهم وقاعات الدرس أمام طلابهم، ولقد تبعت سيرة بعض هؤلاء المتحرفين فوجدت أنهم على ذلك، فمن كلاماتهم: (دعوة بن محمد بن عبد الوهاب دعوة بدوى!! محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبيا!! استقلت الدعوة النجدية بأفكار جديدة!! الدعوة الوهابية دعوة أعراب أجلال!!...).

وراج بين بعضهم كتاب عنوانه: (القول التهام بإثبات أن التفويض مذهب<sup>(٢)</sup> للسلف الكرام)، من اقتناه منهم ظن أنه حاز صيداً ثميناً، فاعتقد ما فيه من الباطل وتحريف مذهب السلف.

وهذا الكتاب خلط فيه مؤلفه خلطًا عجيباً ووقع في جهالات فاضحة يختصرها طالب العلم المبتدئ في سطور ثلاثة:

أوها: عدم فهم المؤلف لمذهب السلف في الصفات - هذا مع حسن الظن - .

(١) عن الانفتاح الفكري المذموم، ينظر: الانفتاح الفكري، عبد الرحيم السلمي، ص (٨١).

(٢) ينظر للرد على هذا الكتاب:

- عثار القول التهام، عبد العزيز آل عبد الطيف.

- انتقاد القول التهام، إبراهيم الحماد.

- القول التهام.. عرض ونقد، الدرر السنّية.

ثانيها: عدم التفريق بين تفويض الكيفية و تفويض المعنى. وهذا الخلط وقع فيه الدكتور يوسف القرضاوي في تقادمه للكتاب !!

ثالثها: خطأ في نسبة مذهب السلف في الصفات إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته فحسب <sup>(١)</sup>.

ونشطت دور النشر المشبوهة في إعادة نشر كتب المحدث: (عبد الله القصيمي) التي هي تعبير عن شخصية شرّاكا ناقمة متحيرة.. فتلقيّفها الشباب وظنوا فيها جديداً مفيداً !! وهل الإلحاد جديد؟!

ولهذا يمنع من لا يكون عنده نقد وتميز من النظر في الكتب التي يكثر فيها الكذب في الرواية والضلال في الآراء ككتب أهل البدع <sup>(٢)</sup>.

ومن نوافذ الانبهار عند ضعفاء اليقين وال بصيرة: السفر إلى الخارج، يشاهد هناك أحوالاً وطرائق وعادات تختلف ما نشأ عليه وعرفه من الدين الحق فيشك فيه ويستنكره ويرجع بغير الوجه الذي ذهب به، ويصل به الحال إلى أن يتهم العلماء بأنهم غيّرو عن الواقع أو كانوا مغرقين في المحلية، ولم ينفتحوا على الأفوال والأحوال الأخرى.

ولعلك تذكر أن أحدهم أصدر فتوى يهون فيها من شأن تغطية الوجه

(١) قال شيخ الإسلام: (ومعلوم أن أئمة الجهمية النفاوة والمعزلة وأمثالهم، من أبعد الناس عن العلم بمعنى القرآن والأخبار وأقوال السلف، وتجد أئمته من أبعد الناس عن الاستدلال بالكتاب والسنّة، وإنها عمدتهم في الشريعات على ما يظنونه إجماعاً، مع كثرة خطأهم فيما يظنونه إجماعاً وليس بإجماع..). درء التعارض (٧/٢٩).

(٢) منهاج السنة (٢/٤٦٨).

للمرأة بحجة أن تسعين بالمائة من نساء العالم الإسلامي لا يغطين وجوههن !!<sup>(١)</sup>

وهل الحكم الشرعي يبني على عدم التزم به أو تركه !!?

ويصور لك الأمر مقالة أحدهم التي جاء فيها: (لقد وجدت الصحوة نفسها في قلب عالم مليء بالمتغيرات والمتناقضات فبينما كانت مسارات التلقّي في الماضي تحصر ما بين شريط كاسيت مدعوم، وكتيبات موزعة توزيعاً مدروساً وأخر عشوائياً، وفتاوي محصورة بشخصيات علمية وأخرى دعوية، إذ بالأبواب تفتح وتفاجأ الصحوة بمثل ما فوجئت به عند حديثي لأحد الأصدقاء عندما رأيت ثوبه طويلاً، فقلت له بهدوء عبارة الفاروق: ارفع ثوبك... فضغط على زر في جهازه الصغير، وفتح لي ملفاً مليئاً بأقوال الفقهاء الأقدمين والمعاصرين عن الخلاف في هذه المسألة، مخرج الأحاديث، محقق الأقوال !! وهنا مربط الفرس كما يقال)<sup>(٢)</sup>.

وبئر عن بوادر التمرد على الطرائق النمطية في الدعوة، أو الانصياع لفتوى مقننة<sup>(٣)</sup>.

بل إن أحد المفتونين بالجديد، سألني ذات مرة؟ هل سافرت؟ ولم لم تغير؟ والجواب أن السفر زادني يقيناً بالحق الذي هديت إليه والحمد لله على نعمته وأسئلة الثبات حتى الممات فإنه لا هادي ولا عاصم إلا هو سبحانه.

رأيت الجهل والخرافة والشرك الذي وضع العقل تحت الأقدام فحمدت

(١) صحفة الوطن، العدد (١٣٠٩)، التاريخ (٢٦/٢/١٤٢٥-٤/٤/٢٠٠٤م).

(٢) رؤية تطويرية للصحوة السعودية، علي العمري، ص(٩).

(٣) المصدر السابق، ص(١١).

الله على نعمة التوحيد والسنة.

ورأيت آثار الاختلاط بين الجنسين في أماكن العمل والتعليم فتأكد عندي  
ضرره وبيان أثره.

ورأيت كيف جعل التبرج والسفور من المرأة سلعةً رخيصةً محلًا للملعون  
الحرام ففيقنت بوجوب الستر وصيانته للمرأة من الابتذال.

ورأيت كيف دخل على العلم الشرعي دخلاء لا علم ولا عمل فَحَمِدْتُ  
حال علمائنا الراسخين الذين هم على جادة السلف الصالح: عقيدةً وعبادةً  
وسلوكيًّا.

## سادسًا

### ظهور الشعارات وتعدد الرأيات

في كل فترة من الزمن ترتفع رأيات وتظهر شعارات لكل رأية منهج وكل شعار سبيل.

وهنا لابد للعبد أن يزن الأمور بميزان الشرع، وينظر في أساساتها ومآلاتها، والداعين إليها: أحواًًا وسيرة، وليستفد من عقله في تقويمها والبصري في حسناتها وسبيئاتها.

قال بعض الحكماء: المؤمن الكيس شديد الخدر على نفسه، يخاف على عقله من الآفات من الغضب والهوى والشهوة والحرص والكبر والغفلة، وذلك أن العقل إذا كان هو القاهر الغالب ملك هذه الأخلاق الرديئة، وإذا غالب على العقل واحدة من هذه الأخلاق أو رثته المهالك، وأحالت به النقمة وَعَدِمَ من الله حسن المعرفة<sup>(١)</sup>.

ففي القديم ظهر من يدعي الألوهية أو النبوة أو المهدية أو الإصلاح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو يدعوا إلى دعوة مخلطة لا معنى لها، فتبعهم

(١) تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي (٥٩/٢).

الهمج والرعام، وأحياناً تزل أقدام بعض أهل العلم فيغترون بهم.

فقد خرج (محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب) (ت: ١٤٥ هـ) على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وكانت ثورته في (المدينة)، فسُجِنَ متولّهاً وصار له شأن، ثم قُضي عليه<sup>(١)</sup>. ونهض معه الإمام المحدث العلامة (أبو محمد عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن المخرمي) (ت: ١٧٠ هـ) وظّنه المهدي، ثم إنّه ندم فيما بعد، وقال: لا غرّني أحد بعده<sup>(٢)</sup>.

وذكر أن (سهل بن سلامة المطوعي) (ت: ٢٠٢ هـ) كان مقيماً ببغداد، يدعو إلى العمل بالكتاب والسنّة، فلم يزل كذلك حتى اجتمع إليه عامة أهل بغداد ونزلوا عنده، وصار ومن معه يأمرُون بالمعروف وينهون عن المنكر ولكنهم جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان، ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنّة، وصار باب داره كأنه باب سلطان عليه السلاح والرجال وغير ذلك من أجهزة الملك، فقاتله الجندي فكسروا أصحابه، فألقى السلاح وصار بين النساء، ثم اختفى في بعض الدروب، فأخذ وجئ به إلى إبراهيم بن المهدي فسجنه<sup>(٣)</sup>.

ودخل رجل صالح على الإمام أحمد، فقال: إن أمي رأت لك مناماً، هو كذلك وكذا، وذكرت الجنة، فقال: يا أخي، إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا وخرج إلى سفك الدماء. وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ الطبرى (٤/٤٢٢) الكامل (٣/٥٦٣).

(٢) السير (٧/٣٢٩).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/١٤٣). تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٠١-٢١٠)، البداية والنهاية (١٤/١٢٣).

(٤) السير (١١/٢٢٦).

وفي سنة (٢٢٧هـ) خرج أبو حرب اليهاني المبرقع بفلسطين وادعى أنه السفياني، فكان الناس يترددون عليه في الجبل فيذكرونهم ويحرضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدرك السلطان ويعيه، فكثر أتباعه حتى بلغوا مائة ألف، فأرسل إليه الخليفة العباسى (المعتصم) جيشاً، فأسر وحبس فمات في حبسه<sup>(١)</sup>.

وفي سنة (٢٥٥هـ) ظهر رجل في البصرة يدعى (علي بن محمد بن عبد الرحيم)، وهو من من الشياطين الدهاء، كان طرقياً أو مؤدياً، له نظر في الشعر والأخبار، ويظهر من حاله الزندقة والمرroc، ادعى أنه علوى، ودعا إلى نفسه، وشخص إلى (هجر) فاتبعه جماعة من أهلها وقاتلوا دونه، ثم خرج منها إلى الباذية ثم إلى (البصرة) فالتف عليه قطاع الطريق، والعبيد السود من غلمان أهل (البصرة)، حتى صار في عدة، وتحيّلوا وحصلوا سيفاً وعصياً، ثم ثاروا على أطراف البلد، فبدعوا وقتلوا وقوروا، وانضم إليهم كل مجرم، واستفحّل الشر بهم، فسار جيش من العراق لحرفهم، فكسروا الجيش، وأخذوا (البصرة) واستباحوها، واشتد الخطب، وصار قائدهم في جيش وأبهة، ودام البلاء بهذا الخبيث المارق ثلاث عشرة سنة، إلى أن قتل. وعرفت فتنته هذه بفتنة الزنج<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة (٣٢٢هـ) ظهر بمدينة (باسند) رجل ادعى النبوة، فقصده فوج بعد فوج، واتبعه خلق كثير، وحارب من خالقه، فقتل خلقاً كثيراً من كذبه، وكثير أتباعه. وأرسل السلطان إليه جيشاً فقتل وقتل من معه، وكان يدعى أنه

(١) تاريخ الطبرى (٥/٢٦٩).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/٤٤١-٤٥٧).

متى مات عاد إلى الدنيا فبقي بتلك الناحية جماعة كثيرة على ما دعاهم إليه مدة طويلة ثم أضمحلوا وفروا<sup>(١)</sup>.

وادعى التناسخ وحلول الإلهية فيه (أبو جعفر الشلمغاني) (ت: ٣٢٢هـ) وتبعد خلق واعتقدوا فيه، فقبض عليه، وأفتى الفقهاء بحل دمه، فصلب وأحرق بالنار<sup>(٢)</sup>.

وفي العصر الحديث صارت الأمور أشد تعقيداً، والأحوال أكثر التباساً.. فكثرت الرأيات وتعدد الشعارات، فانخدع بها المغفلون، وانطلت على السذج، وسار خلفها الدهماء فأوردتهم المهالك ومواطن الفتنة فجعوا على أنفسهم وعلى أديانهم أعظم جنابة.

فالمؤمن لا يكون مغفلًا ساذجًا فتسهل خديعته أو جرّه إلى ما فيه عطبه وهلاكه في الدنيا والآخرة. والمؤمن يغلب عليه عقله فلا يسبق إلى ما يملئه عليه غضبه أو شهوته الخفية أو هواه فيقع فيما يأسف عليه. والمؤمن العاقل كلماهه معدودة، وموافقه محسوبه، سنته التؤدة، وتحكمه لأنّة، وبيصر العوّاقب والمالات.

قال الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): (العاقل من عَقْلَهُ عَقْلُهُ عن كل مذموم)<sup>(٣)</sup>.

وانظر إلى الرأيات والشعارات التي رفعت في الثلائين سنة الأخيرة وكيف سار خلفها فثام كثيرة ثم تبين ضلال تلك الرأيات وانحراف أصحابها.

(١) الكامل (٥/١٦٤).

(٢) الكامل (٥/١٦٥).

(٣) مناقب الشافعي، البيهقي (٢/١٨٧).

ففي سنة (١٤٠٠هـ) خرج (جهيمان) ومن معه وادعوا أن معهم المهدى فتبعهم الدهماء وضعيفو النظر والإدراك فأصابوا المنكر ووقعوا في الضلال واستحلوا ما حرم الله.

بل من عجيب ما قرأت أن الكاتب (عبدالله بن بجاد) كان يعتقد أن المهدى ما زال حياً وأنه يعيش في اليمن أو رفع إلى السماء، وهذا المفتون انحرف فيما بعد، وأصبح داعية سوء وضلال<sup>(١)</sup>.

و جاء قوم إلى أحد الدعاة وادعوا أن معهم المهدى فناظرهم فلم يرجعوا ثم قبض عليهم فيما بعد ذلك وسجنا<sup>(٢)</sup>.

وشاغب أحد المتسبيين للدعوة سنة (١٤١١هـ) وما بعدها، وعمل على تهسيج العامة، وإثارة الصغار، وواجه الولاة في زمان كانت السنة فيه ظاهرة والبدعة مقومة والغلبة لأهل الحق، ثم انتكس، فتحول أعداء الأمس أصدقاء اليوم، ومنكر البارحة معروفاً في صبيحتها.

وفي سنة (١٤١٦هـ) خرج (سعد الفقيه) وادعى أنه داعية إصلاح<sup>(٣)</sup> وأقام بين ظهراني الكفار وتعاون مع الأعداء وألّب الناس فتبعه من لا بصيرة

(١) مقال بعنوان: إرهاب أكاديمي.

(٢) مقال بعنوان: إرهاب أكاديمي.

(٣) قال شيخ الإسلام: (وما ينبغي أن يعلم أن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الناس على غاية ما يمكن من الصلاح، لا لرفع الفساد بالكلية، فإن هذا ممتنع في الطبيعة الإنسانية، إذ لا بد فيها من فساد. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ جَاءُكُمْ فِي الْأَرْضِ خَلِفَةُ الْأَوَّلِيَّاً أَتَحْكُمُ فِيهَا مَنْ يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفُكُ الْأَرْمَاءَ وَخَنْجُونُ سُبْحَانَ رَحْمَنِكَ وَنُفَدَّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. وهذا لم تكن أمة من الأمم إلا وفيها شر وفساد). منهاج السنة (٦/١٤٩).

عنه فلم يجئ شيئاً.

وفي السينين المتأخرة ظهر التغريبيون وقويت شوكتهم وكانت لهم قنوات وصحف ومجلات فأغروا من يحب الظهور ويعشق البروز فلتحق بهم من أدركته الغواية فكان أداة من أدواتهم يكتب ما يريدون: سبّاً للدين، وتعريضاً لأحكامه، وتنقيضاً من حمله.

وألف شخص مشبوه يقيم في الأردن يدعى (أبو محمد المقدسي) كتاباً في التكفير وجهها لأبناء هذه البلاد، فتلقها الأغرار، وقرؤوها وانخدعوا بها وبعضهم سافر للقاءه والأخذ عنه، وتورط مجموعة منهم في تفجير مبني سكني بالرياض سنة (١٤١٦هـ) فقبض عليهم وقتلوا.

وتكتل مجموعة المتكتسين وسموا أنفسهم بالتنويريين وهم في الحقيقة ظلاميون؛ لأن من يعرض عن الوحي فهو في ظلام (وَمَنْ لَا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ ثُورَكَافَاللَّهُمْنُورِ) [النور: ٤٠] وهؤلاء يدورون حول قضيaya معينة: دعوةً والتزاماً، هي: التحامل على العلماء بوصفهم تقليديين جامدين، البراءة من التيار السلفي، الحديث عن قضيaya المرأة بضعف وانهزامية، ملايينة أهل البدع، الانفتاح على المنافقين، رفع شعارات: (الحرية، احترام الرأي الآخر، الحوار...).

وهؤلاء الظلاميون امتداد لمدارس عصرية في جوانب عديدة تجدها واضحة في كتاباتهم ومقالياتهم و مقابلاتهم.

وفي ظني أن هؤلاء خطر على الدعوة والناشئة لأنهم يهدمون الدين من الداخل ويقوضون أركانه.

وفي سنة (١٤٣٢هـ) ظهر دعوة الاحتساب المدني، والمقصود به دعوة

الأمة إلى الاحتساب على حكامها، لأنهم لم يقنعوا بإصلاح يقوده علماء مسلمون، أو دعاة محمليون، أو متفائلون بإصلاحات أخلاقية واجتماعية، لا يرون في نصائحهم سوى الكلمة الباهتة التي لا لون فيها ولا رائحة، لذا فهم يتطلعون لرؤيه الشباب وهو يقفون أمام حكام الجحور والاستبداد والفساد والظلم، وإقامة العدل والحقوق والنهضة بكل الوسائل السلمية، يتطلعون ليروا شهيداً يرتلون أمام جهنمه آيات البطولة.. ويشرون فوق رحى روحه الطاهرة قصائد الشرفاء تدوين في كل أرجاء الوطن وتسمع الثكالى والمقهورين أناشيد النصر والتمكين<sup>(١)</sup>.

والذي يتأمل تلك الحركات التي قامت في القديم والحديث يجد أن الدافع في كثير منها هو تحصيل شيء من الدنيا كمال أو جاه أو زعامة أو سلطة وإنما جعلت المذهب أو العقيدة ستاراً لها.

فقد قام الداعي الخبيث (الحسين بن أحمد بن محمد الصناعي) (ت: ٢٩٨هـ) بالدعوة العبيدية، واستجواب له خلق من البربر، وحارب أمير المغرب (ابن الأغلب)، وهزمه غير مرّة، ولما جاء عبيد الله المهدي وتسليم الملك، لم يجعل لهذا الداعي ولا لأخيه كبير ولاية، فغضباً، وأفسدا عليه القلوب وحارباه، وجرت أمور، إلى أن ظفر بهما المهدي فقتلها<sup>(٢)</sup>.

ولما قدم (صلاح الدين الأيوبي) إلى (مصر) مدحه الشیخ (عمارۃ الیمنی) (ت: ٥٦٩هـ) بقصائد، لكنه لم يجد ما أمله في (صلاح الدين) من المكانة، فسعى

(١) الاحتساب المدنس، محمد العبدالكريم، ص (٣٤).

(٢) السیر (١٤/٥٨).

للخروج عليه مع طائفة من المبتدةة وإعادة دولة العبيدين المعروفة، فكشفهم صلاح الدين وقتلهم وصلبهم<sup>(١)</sup>.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) أن أذكياء الفرق الباطنية يعلمون كذب رؤوس الدولة العبيدية وجهلهم، ولكن بسبب خدمتهم يحصل لهم من الرياسة والمال والشهوات ما لا يحصل بدون ذلك، فهم يعاونونهم كما يعاون أمثالهم من أهل الكذب والظلم لتنال بهم الأغراض<sup>(٢)</sup>.

فأياك أن تخدع بما يرفع من رايات، والزرم الجماعة، واتبع أهل العلم الراسخين فيه، فإنه لا يتورط مع أصحاب تلك الرايات إلا الهمج والرعاع، قال البربهاري (ت: ٣٢٩هـ): (واعلم أنه لن تجئ زندقة قط إلا من الهمج والرعاع وأتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له)<sup>(٣)</sup>.

ورؤوس الضلال ودعاة الانحراف يرفعون شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فتارة يسمون أنفسهم بدعاة الحقوق، وتارة أخرى بدعاة الإصلاح، وأخريات بحملة التنوير أو دعاة الوسطية... وهذا شأن المفسدين في الأرض من القديم، وأكثراهم كَذَبَةٌ في ذلك، وإنما غرضهم التقرب إلى العوام والجهال، واستباعهم لهم، واستجلابهم إلى دعوتهم.

وما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروراً بالظن، ونوع من الهوى الخفي، فيحصل

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب (٥٣٢/٢).

(٢) منهاج السنة (٤٨٢/٣).

(٣) شرح السنة، ص (٤٤).

بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨هـ): (ما أكثر ما تفعل النفوس ما هواه ظانةً أنها تفعله طاعة لله)<sup>(٢)</sup>.

وإذا ظهرت الرأيات تعصّب الغوغاء لأصحابها وغلوا في تعظيمها حتى يخدوها صنّهاً يوالون ويعادون عليها<sup>(٣)</sup>.

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك الله وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا يتصرّ لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين<sup>(٤)</sup>.

وتحزب طائفة بالتعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عنمن لم يدخل حزبهم بالحق والباطل، من التفرق الذي ذمّه الله تعالى ورسوله<sup>(٥)</sup>.

ولذا فالMuslim لا ينضوي تحت جماعة ولا يسير خلف راية إلا جماعة

(١) منهاج السنة (٤/٥٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٧).

(٣) قال الوزير ابن هبيرة (ت: ٥٥٦هـ): (من مكاييد الشيطان أن يقيم أوثاناً تعبد من دون الله، مثل أن يبين له الحق، فبقول: ليس هذا مذهبنا، تقليداً للمعظم عندك، قد قدمه على الحق). الدليل على الطبقات (٢/١٥٦).

(٤) منهاج السنة النبوية (٥/٢٦١-٢٦٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/٦٩).

المسلمين وإمامهم، ويتبعون الانتساب للجماعات والأحزاب التي تجعل نفسها محوراً للولاء والبراء وقاعدةً للانطلاق وقبلةً للقصد والتوجه فتضيع أصول الإسلام الكبرى في التحزب والتعصب للجماعة أو الأشخاص.

فالولاء للMuslimين جيئاً بقدر إيمانهم، والتعصب للإسلام ورسوله وكتابه، والقصد والتوجه يكون لله والدار الآخرة.

وما نكبت الدعوة ولا انحرفت الناشئة ولا ضعف العمل الإسلامي وقللت بركته في بعض البلدان إلا بسبب هذا التحزب والتعصب لجمعيات وجماعات وعقد الولاء على شخصيات.

واني استغرب أن يكون في بلادنا التي ظهرت فيها هذه الدعوة المباركة التي تعتبر أنموذجاً في نقاوتها العقدي وصفائها الفكري وسلامة منهجها التي أقامت دولة حديثة أخذت بأسباب الرقي المادي مع محافظة على أصولها الشرعية حتى فاقت مثيلاتها من الدول العربية التي ما زالت مرتهنة لمذاهب وأفكار وتوجهات غربية وشرقية عانت من آثارها وتجزعت غصصها.. استغرب من يتبنى الدعوة إلى تجمعات ومناهج لديها انحرافات عقدية وفكرية ظاهرة.. استغرب من يتبنى دعوة الإخوان المسلمين المصرية أو دعوة التبليغ الهندية ونشرها في هذه البلاد.. ويزداد العجب عندما ترى من ينضوي تحت هذه الدعوات ويستجيب لأهلها..<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر عن حكم الانتهاء للجماعات:

- حكم الانتهاء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد.
- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال بادي.

لقد استغربت كثيراً عندما قال أحدهم في برنامج: (البيان التالي) على قناة (دليل) إنه يتمنى للإخوان المسلمين فكريياً !!

واستغربت عندما قال آخر في برنامج: (نقطة تحول) على قناة: (إم بي سي) إنه انتمى للإخوان المسلمين أربع سنوات.

وهل أرضنا مقفرة ورباعنا سبخة حتى نستجدي المناهج ونشحد المبادئ ونستورد القيم؟ أليس في كتاب الله وسنة رسوله وهدي السلف الصالح غنية وكفاية؟! وهل الاعتزاء إلى مذهب السلف أهل السنة والجماعة أشرف وأحق أم الاعتزاء إلى مناهج وطرق محدثة؟!

وإن الله لن يغفل، والتاريخ لن يرحم من كدر الصفو، وشوش الفكر، وحرّف المسار، وشتّت الجماعة.

وقد أثبتت الواقع أن التعصب للشخصيات، والاغترار بالرأيات، والانخداع بالشعارات في غير محله، إذ سقطت الرأيات وتحولت الشخصيات وتغيرت الشعارات وأصبح الأتباع وقوداً للفتن، وتكشفت الأمور عن دعوة قادها شخصيات تبعهم فيها أغرار ثم تبرأ الذين اتبعوا من الدين أتبعوا.

ولم تخجل تلك الشخصيات من عورتها، ولم تستح من سوءتها، ولم تحاسب نفسها عن تبعية الأتباع الذين ألقت بهم في غياب السجون وأتون الفتنة، فهي لا ترى في الأتباع إلا قطعاً تجراه إلى هواها وأهوائها، فخرجت بمنهج جديد تهدم الدين وتقوض أركان الشريعة وتريد من المغفلين أن يطربوا لكلامها !!

وكان الأولى بهؤلاء أن ينكفؤوا في أحلاس البيوت يعدون ذنوبهم،

ويستغرون ربهم، ولكن.. ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى [إذا لم تستح فاصنع ما شئت].

ألا يكفي ما جنته الدعوة؟

ألا يكفي ما حصل من الشتات والفرقة؟

ألا يكفي ما وقع على الأتباع من السجن والتنكيل؟

أليس للبشر قيمة عند هؤلاء؟ كيف يهنوون بنسائهم وأولادهم والأتباع محرومون منهم؟ وكيف ينعمون بقصورهم والأتباع في غياب السجون؟

إن الأغيار على الدين لن يتركوهم يعيشون كما عيشوا، فإنهم في المرة الأولى أخذوهم على غرة، والمؤمن لن يلدغ من جحر مرتين.

بل عامة الناس أدركوا حقيقتهم لأنهم لا يثقون في المتلون ولا يرکون إلى المتقلب وإن ادعوا أنهم متصالحون مع أنفسهم.

لقد تكشّفت الأوراق، وسقطت الأقنعة، وبيان الزيف، وإنهم لو ابتغوا نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فلن يصلوا إلى مبتغاهم. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

## سابعاً

### ظهور المصطلحات والألفاظ المجملة

من أسباب الانحراف في الأمة ظهور المصطلحات المجملة والألفاظ الغامضة التي تحمل معنى حقاً وباطلاً فيلبيس الحق والباطل فيفضل الناس.

ففي القديم ظهر مصطلح الجواهر والأعراض والأبعاض<sup>(١)</sup> ... فكانت سبباً في ضلال أقوام وانحرافهم في باب أسماء الله وصفاته.

قال ابن تيمية (٦٧٢٨هـ): (وأما الخوض في الأعراض والأجسام كما خاض فيه المتكلمون، كقولهم: ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك، فأول من ابتدعه في الإسلام الجهمية وأتباعهم من المعزلة)<sup>(٢)</sup>.

وفي زماننا ظهرت مصطلحات وألفاظ تحمل حقاً وباطلاً واستغلها أهل الباطل لترويج باطلهم ونشر انحرافهم.

فظهر مصطلح (التعددية الفكرية): دعوة إليها، واحتراماً لها، واعتبارها أنموذجاً يجب أن يطبق في المجتمع.

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (٢/٥٢٧).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/٥٥٨-٥٥٩).

ويقصدون بالتعددية: تعدد الأديان والمذاهب والطوائف والاتجاهات... فيجب احترامها وعدم التعرض لها ولا لأهلها ويدخل في ذلك الانحرافات الفكرية التي تكون من آحاد الناس إذ هي - بزعمهم - نوع من التعددية الفكرية. وجعلوا مقابل التعددية مصطلح (الآحادية): تنديداً به، وتشنيعاً على أهله. ويعنون به اجتماع الناس على قول أو منهج واحد في العقائد أو السلوك. ومقصودهم من هذا المصطلح: التمكّن من نشر فكرهم، وعدم الاحتساب عليهم.

وهذا المصطلح بصورةه التي يدعون إليها ويطالبون بها يتضمن تقويضًا لأصول الدين، فلا ولاء ولا براء، ولا أمر بمعرفة ولا نهي عن منكر، ولا دعوة إلى الله تعالى، مع إبطال حد الردة والتعزير للمنحرفين، والرضا بالانحراف ومنحه حق الدعوة وحماية أهله وكبت أهل الحق وعزلهم والتضييق عليهم. وشواهد هذه الآثار واضحة لمن تأمل.

وانجرف في الدعوة لهذا المصطلح بعض المتسبيّن للدعوة جهلاً أو عمداً، فالجاهل لا يدرك حقيقته ومضمونه وآثاره، والعامد يرى فيه نافذة لنشر فكره الجديد الذي يبشر به.

واجتمعت الرافضة والصوفية والتغريبيون على هذا المصطلح، فكتبوا فيه مؤلفات ومقالات<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر مثلاً:

- التعددية والحرية في الإسلام، حسن الصفار.
- الفكر الإسلامي: قراءات ومراجعات، زكي الميلاد.

ومن مصطلحات القوم: الوصاية: فلا وصاية على المرأة، ولا على المجتمع، ولا على أفراده. والمراد: رفض الأحكام والتكاليف الشرعية والأعراف المستحسنة والإلزام بها، والتحلل من ضوابط الشرع، والأداب المجتمعية.

وتتبعت ما كتبه القوم في صحفهم فوجدت ما يزيد على مائة مقال خلال سنة واحدة تحمل هذا المضمون.

والسيء أن تسلل هذا المصطلح بمفهومه المنحرف إلى كتابات بعض المتسبيين إلى الدعوة، تضليلًا للناس وتلبيسًا عليهم.

ولن أذكر ذوقك اللغوي وغيرتك الشرعية بمقالات هؤلاء وكتاباتهم، لكنني سأكتفي بمقال بعنوان: (فهل أنت مسلمون؟) كتبه أحدهم، جاء فيه: (وهذا هو السر في بدء الإسلام واهتمامه بقضية الإيمان، وتأصيلها، وتعزيز جذورها في نفس المسلم، ذلكم أن الإيمان بالشيء، والقناعة به، وحبه، هو أكبر حام له، وليس سباط الإرهاب الفكري، ولا يثنى قيود التحرير، ولا التشديد في الفتوى!)

والإنسان بطبيعته يرفض الوصاية والاضطهاد الفكري، وتزيده التحديات شكيمة وقوية، وتتفتح فيه ليرقى إلى التطلع لكسر قيده ونيل حقوقه.

ولا عجب بعد هذا إذا ظهر فينا من يدعوا إلى تيارات أجنبية عنا ، وغريبة عن ثقافتنا العربية والإسلامية، ومحاولة أسلمتها، لأن أربابها وجدوا فيها متنفساً

---

- العنف والتنمية السياسية في المملكة، حمزة الحسن وفؤاد إبراهيم.
- رهانات خطاب الاعتدال والواقع المعاصر في المملكة، علي آل طالب.

لأنفسهم بعد أن أحكمنا الخناق عليهم ، وضيقنا عليهم أرضهم وسماءهم.

فمن المهم أن تكون معالجة قضيائنا الاجتماعية والدينية وغيرها مبنية على الاقتناع التام ، والمحوار والقبول ، لا على لي الأذرع وإرهاب الفكر) (١).

فترى في هذا الكلام خلطًا واضحًا وقسرًا للكلام ليوافق أغراض الشهوانيين والتغريبيين.

وباب: رفض الوصاية من أوسع أبواب المبتدعة والشهوانيين والمنحرفين لنشر باطلهم في مأمن عن بيان علماء الشريعة واحتسابهم.

وفي هذا المصطلح: ترويجاً والتزاماً تقويض لبناء الشريعة، وتحلل من تكاليفها، وإبطال لفريضة الأمر والنهي والاحتساب..

وهل الوحي إلا وصية؟ «وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالرَّكْزَةِ مَا دَمْتُ حَيًّا» [مريم: ٣١].

وهل التقوى ومتعلقاتها إلا وصية؟ «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِنَّا كُمْ أَنَّ أَتَّقُوا اللَّهَ» [النساء: ١٣١].

وهل شرائع الرسل إلا وصية؟ «شَرَعَ لَكُم مِّنَ الَّذِينِ مَا وَصَّنِي بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ» [الشورى: ١٣].

ومن المصطلحات: مصطلح (النهاية)، ويعنون به سبل الرقي بالأمة والنهوض بها.

والنهوض عند هؤلاء بعبارات لهم مختلفة يكون: بتحمية الإسلام،

(١) صحيفة الرياض، عادل الكلباني، العدد (١٥٧٠٤)، التاريخ (٢١/٧/١٤٣٢) - (٢٤/٧/٢٠١١م).

والأخذ عن الغرب، وإحياء الفلسفات الوثنية، وتغييب الثقافة الإسلامية، وتطبيق الليبرالية<sup>(١)</sup>...

ورقي الأمة والنهوض بها في الإسلام يكون بالتزامها به عقيدةً وشريعةً ومنهج حياة .

وقد سبق هؤلاء في الدعوة إلى النهضة والرقي بالأمة: كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلماء الإسلام عبر تاريخ الأمة.

ومن المصطلحات: (الإصلاح الديني)، ويعنون به قسر الشريعة وتغيير أحكامها لتوافق الواقع وأهواء الناس ورغباتهم. ويكون الإصلاح عندهم: بتغيير الأحكام المتعلقة بالمرأة والكفار والمبتدةعة في اتجاهاتها المختلفة . تجد هذه المفاهيم المغلوطة وغيرها في كتاب: (الخداثة والنص والإصلاح الديني)<sup>(٢)</sup> . و(إصلاح الفكر الديني أولاً)<sup>(٣)</sup> ، و(تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام)<sup>(٤)</sup> .

والإصلاح مصطلح شرعي جاء في القرآن والسنة لإصلاح العقائد، وتقويم الأخلاق، وتطهير العوائد حتى تستقيم الأمور وتنضبط الأحوال.

(١) ينظر:

- حصون التخلف... موانع النهوض في حوارات ومكاشفات، إبراهيم البليهي، ص(٣٣، ٤٨، ٤٠، ٦٦، ٦٦). (١٧٩، ٢٧٦، ١٥٥-١٥١).

- الإسلاميون رجال الهوية والنهضة، نواف القديمي، ص(١٧٩، ٢٧٦، ١٥٥-١٥١).

(٢) الخداثة والنص والإصلاح الديني، عبد العزيز القاسم، ص(٤٣، ٤٠، ٥٠، ١٧٢).

(٣) إصلاح الفكر الديني أولاً، يعقوب محمد إسحاق، ص(٤٩٧، ٤٢٣-٢٠٩).

(٤) تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام، يعقوب محمد إسحاق ص(١٥٢-١٥٠، ٢٣٣، ٢٣٠).

فإلا إصلاح في الإسلام يكون بالدين، والإصلاح عند القوم يكون للدين.  
 ﴿كَبَرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

ومن المصطلحات: (الحرية)، ينادون بها ويدعون إليها، وهي تمثل عندهم: في حرية الفكر والتعبير.. وطريقها: الديمocrاطية والانتخابات ورفع سلطة الشريعة وحرية الصحافة والتعبير... في تنظيرات وتخليطات تطول. تراها في مثل هذين الكتابين: ضد الحرية أنسنة الخطاب الديني والسياسي لسعود البلوي<sup>(١)</sup>، وأشواق الحرية لنواف القديمي<sup>(٢)</sup>.

وهم في هذا يتکئون على المفاهيم الغربية والمذاهب التي استقت منها، فاللليبرالية والشيوعية والرأسمالية وغيرها من المذاهب رفعت شعار الحرية.

وهذا المصطلح غريب على الإسلام، فالإسلام لما جاء بتکريم الإنسان ورعاية الحقوق والمحافظة على الحرمات متمثلاً في حفظ الضرورات الخمس، وتعظيم الدماء والأعراض والأموال، جاء أيضاً بالتكاليف الشرعية والأوامر والنواهي، وألزم بها، وقرر الحدود والتعازير لمن وقع في موجباتها، وأوجب الاحتساب على المخالفين، وهو ما يتعارض مع الحرية بمفهومهم وطريقهم. ويلزم من المناداة بالحرية المطلقة تعطيل الحدود وخاصة حد الردة، وترك الاحتساب، والتهوين من الفرائض الشرعية.

وشاهد هذا أن (نواف القديمي) كتب مقالاً بعنوان: (هامش الحرية

(١) ص(٤١-٤٥، ٨٤، ٩٥، ١٩٣).

(٢) ص(٢٠، ٣٨، ٤٠، ٧٠).

وهو امش أخرى)<sup>(١)</sup> أثار فيه شبهات وتساؤلات تنتهي إلى إسقاط حد الردة. وأنكرت (حصة آل الشيخ) حد الزاني المحسن وسخرت من حد القذف في مقال لها بعنوان: (مناهجنا الدينية بين قضايا الأخلاق وأوهام الفضيلة)<sup>(٢)</sup>.

وصرّح بوق مأجور من أبواب الضلال وهو (رائف بدوي) - مما يوضح حقيقة ومال الحرية التي يطالبون بها - بأنه من حق الملحدين أن يقول ما يريد، من حقه أن يخرج على الناس ويصلح بصوته ويقول: أنا ملحدين، وليس من حق أي أحد أن يحاسبه<sup>(٣)</sup>.

ومن يتعمي للدعوة الإسلامية من هؤلاء فقد تأثر بفكرة رموز المدرسة المصرية المعاصرة (مدرسة العقل)، فقد صرّح الدكتور (يوسف القرضاوي) في برنامج (في الصميم) على قناة (بي بي سي) أنه مع حرية المعتقد والأديان، مصر حاً بتقدسيه للحرية، وأن الحرية مقدمة على تطبيق الشريعة.

ولما سأله المذيع: هل يعني هذا أن من حق المسلم أن ينتصّر؟ سكت الدكتور القرضاوي ولم يجب<sup>(٤)</sup> !!

وحديث القرضاوي هذا وعموم اجتهاداته منهج عام يلتزم به أصحاب مدرسة العقل.. ولذا أكد (راشد الغنوشي) في مقابلة معه على قناة دليل في شهر

(١) منشور في الصحف الإلكترونية وموقع الإنترنـت.

(٢) صحيفة الوطن، العدد (٣٤٠٣)، التاريخ (٢٨/٢/١٤٣١ هـ ٢٣-١٠/١ م).

(٣) تجد على شبكة اليوتيوب بعنوان: (رائف بدوي يطالب بحقوق الملحدين في السعودية).

(٤) تجد هذا البرنامج على اليوتيوب على شبكة الإنترنـت بعنوان: (القرضاوي في الصميم).

ذى الحجة من سنة (١٤٣٢هـ) على أن الحرية هي الدين، وأن الناس هم الذين يطلبون الدين، لا أن الدين يطلب الناس.. كما أكد مراراً بأنه لا يجوز إلزام المجتمع المسلم بشيء من الإسلام وأحكامه.. وانتقد المجتمعات الإسلامية التي يجري فيها إلزام المسلمين بشيء من الأحكام الشرعية.

ومن المصطلحات: (الإرهاب)، إذ صرفوه من مفهومه: الاعتداء على الناس بغير حق<sup>(١)</sup>، إلى اتهام: الإسلام، وشرائعه، وأحكامه... والسلفية وعلماء الإسلام ودعاته... بأنهم منبع الإرهاب ودعاته في استغلال لحوادث العنف، دفعهم ما تكّنه قلوبهم من حقد وغيظ وحقن على المجتمع وتدينه، وللأسف أن غالباً مقالات الصحافة في الحديث عن موضوع الإرهاب لم تخرج عن هذا الإطار.

وستجد هذا في كُتب اعتبرت شريعة الجihad، والثقافة الإسلامية، والتعليم الشرعي، والمنهج السلفي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأحكام القضائية، والحجاب، وتعدد الزوجات، والدعوة، وخطبة الجمعة، والقنوات الفضائية المنضبطة... إرهاباً!!!<sup>(٢)</sup>.

(١) الإرهاب: مفهومه، أشكاله، أسبابه، عبدالحليم بلال، ص (٦٩٣).

(٢) ينظر:

- الإرهاب في جزيرة العرب، إسحاق يعقوب، ص (٢٤، ٧٦، ٢٧٨).
- ثقافة التطرف، حمزة المزيني، ص (٣١، ٨٧، ١١٩).
- أيام الإرهاب في السعودية، يحيى الأمير، ص (١٥، ٦٨، ١٧٩).
- نحن والإرهاب، محمد محمود، ص (٧٧، ١٧٠، ٢٠٣، ٣٠٦).

## ثامناً ضعف التدين والتعبد

أعظم النعم على العبد: الإقبال على الله، والتعبد له، والانقطاع إليه،  
والتبليء إليه<sup>(١)</sup>.

وهذا شأن السلف من الصحابة والتابعين وتابعائهم: تعبد وتأله، وورع  
وتقوى، وعلم وعمل.

هذا شأنهم: العلم والعبادة، أما اليوم فالكثير لا علم ولا عبادة، بل تخبيط  
ولحن، وتصحيف كثير، وحفظ يسير، وإذا لم يرتكب العظائم، ولم يخل بالفرائض  
فلله دره<sup>(٢)</sup>.

فما الظن إذا كان الواعظ من عبد بطنه وشهوته، وله قلب عري من الحزن  
والخوف، فإن انصاف إلى ذلك فسوق مكين، أو انحلال من الدين، فقد خاب  
 وخسر، ولا بد أن يفضحه الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (٣/٨٤٧).

(٢) السير (١٠/١٣٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/٤١٠).

وهذا ما يمكن أن نسميه بالتدين الكاذب الذي يلتجأ إليه صاحبه رغبة في الجاه أو المال أو المنصب وهو من أكثر الناس بعداً عن التدين: التزاماً بالفرائض وبعدياً عن المحارم.

وعلامة التدين الكاذب التخلل من التزام الفرائض والأخذ بالرخص والتساهل في أخذ المال.

ولذا فطالب العلم الموفق من أدرك ثلات خصال: العلم، والدين، والورع. ويحوز الكمال إذا كان ذا مروءة تامة<sup>(١)</sup>.

وترى هذه الخصال الثلاث ظاهرة في سير العلماء الربانيين من الصحابة والتابعين.

ومن ضعف التدين والتبعيد الذي يبتلي به الإنسان: ترك الجماعة وهجر المسجد بل هو من أجل صور النفاق وضعف الإيمان<sup>(٢)</sup>.

وهذا واضح في نصوص الوحيين التي جعلت الصلاة إيماناً «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيِّعَ إِيمَانَكُمْ» [البقرة: ١٤٣] يعني صلاتكم. وجعلتها من صفات المؤمنين وخصاهم «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ» [الأنفال: ٢].

(١) قال الشافعي: (لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربعة: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة). ذم الكلام وأهله، الهرمي (٥/٧٠).

(٢) ذكر شيخ الإسلام أن من علامات المنافقين التخلف عن الجماعة، واستشهاد بقول ابن مسعود وفيه: (ولقد رأينا وما يختلف عنها إلا منافق معلوم النفاق). منهاج السنة (٧/١٥٠).

ومن خلال المنقين: ﴿ هُدَىٰ لِلشَّقِيقَيْنِ ① الَّذِينَ يُقْرِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقْرِنُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَأَيْتُمُوهُمْ يُفْقِدُونَ ②﴾ [البقرة: ٢-٣].

والتهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ③﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال ﷺ: [أُنْقَلَ الصَّلَاةَ عَلَى الْمَنَافِقِينَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ جَبَوَا] <sup>(١)</sup>.

ولذا كان السلف الصالحون والأئمة المهديون من أشد الناس محافظةً على الجماعة ورعايتها: تعظيماً للدين وتمسكاً بالسنة وإظهاراً للشعائر وقفوا للاثر ومجانبةً لسبيل النفاق.

سمع عامر بن عبد الله بن الزبير (ت: ١٢٠هـ) المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيئه فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام المغرب، فركع ركعة، ثم مات <sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام يزيد بن ربيعة: (ت: ١٢٣هـ): (ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً) <sup>(٣)</sup>.

وكان الإمام سليمان بن مهران الأعمش (ت: ١٤٧هـ) قريباً من سبعين سنة لم تفته تكبيرة الإحرام <sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٢٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/٢٤٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/٢٢٨).

وقال العلامة أبو عبدالله محمد بن سباعة (ت: ٢٣٣هـ): (مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبير الأولى إلا يوم ماتت أمي) <sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ الفقيه أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي (ت: ٣٧١هـ): (إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقدمة) <sup>(٢)</sup>.

وهكذا شأن علماء الصلاح في العصور المتأخرة فابن باز وابن غصون وابن جبرين واللحيدان وابن فوزان وغيرهم لا تراهم في الصلاة إلا خلف الإمام. وترك الجماعة وهجر المسجد وتضييع الفرائض علامة سوء ودليل فساد وباب إلى الخذلان.

إذ جرى الأمر أن من تهاون بالسنن عوقب بالحرمان من الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بالجرأة على الحدود والمحارم.

قال إبراهيم بن يزيد التيمي (ت: ٩٢هـ): (إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبير الأولى فاغسل يدك منه) <sup>(٣)</sup>.

إذا كان هذا هو الشأن فيمن يتهاون في التكبير الأولى؟ فما الشأن إذن فيمن لا يُرى في المسجد؟

وكيف يفتني أو يقضى أو يدرّس أو يدعو إلى الله من أعرض وتوّل ولم يرفع بالصلاحة رأساً، ويقّم لها وزناً.

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٦٤٧).

(٢) السير (١٦/٣٤٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٦٢).

قال البربهاري (ت: ٣٢٩هـ): (إذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى، وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة فاعلم أنه صاحب هوى)<sup>(١)</sup>.

ولقد تبعت تراث المحرفين في القديم فوجدتهم من عرفا بالتفريط في الصلاة أو التهاون بالجماعة.

فتغَيَّر المحدث الحافظ (أبو بكر محمد بن عمر بن محمد الجعابي) (ت: ٣٥٥هـ) وصَحَّبَ قوماً من المتكلمين واتَّهم بترك الصلاة<sup>(٢)</sup>.

وكان (علي بن أبي الحسن الحريري الصوفي) الموصوف بالزندقة (ت: ٦٤٥هـ) مستخفاً بأمر الصلوات<sup>(٣)</sup>.

ومثله العلامة الفيلسوف الأصولي (عز الدين حسن بن محمد الإربيلي الضرير) (ت: ٦٦٠هـ) إذ كان مخللاً بالصلوات<sup>(٤)</sup>.

وُعِرِّفَ (البدر المراغي الخلافي المعروف بالطويل) (ت: ٦٦٠هـ) بقلة الدين وترك الصلاة، مع اغتباطه بما فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين<sup>(٥)</sup>.

واعتقد بعض الناس في الشيخ (سليمان التركماني المولى) (ت: ٧١٤هـ)

(١) شرح السنة، ص(٥٢).

(٢) تاريخ بغداد (٤/٤٨).

(٣) البداية والنهاية (١٧/٤٤١).

(٤) السير (٢٣/٣٥٤).

(٥) الذيل على الروضتين (١١/٣١٢).

وزعموا أنه رجل صالح وكان لا يصلى الصلوات ولا يأتيها<sup>(١)</sup>.

وادعى (إبراهيم الموله القمياني) (ت: ٧٢٥هـ) الكشف، ولم يكن من أهل الصلاة، وقد استتابه تقي الدين ابن تيمية وضربه على ترك الصلاة<sup>(٢)</sup>.

وفي الزمان الحديث: رأينا رؤوس الانحراف لا يشهدون الجماعة ولا يقربون المسجد.

فأحدهم يسكن مكة هجر المسجد والجماعة فأصبح فيما بعد رداءً للمنافقين وسندًا للتغريبيين في الدعوة للفساد وإباحة الاختلاط بين الجنسين... وآخر يسكن في الرياض مثله في الدعوة إلى الفساد والانحراف.. تضائق جiranه بجفائه للمسجد وهجره للجماعة فانتقل عنهم.

وذكر (خالد الفراج) وهو أحد وجوه الخط الأول من تنظيم العنف والتفسير في اعتراف له بث على التلفزيون بأن عادة أتباع النظام التساهل بالصلاة والنوم عنها!!

وكثير من ظهر انحرافهم كانوا يتساهلون في شأن الصلاة ولا يقيمونها في الجماعة، وهؤلاء سيدركلهم التاريخ كما ذكر من قبلهم.

وإياك أن تظن أن ضعف التعبد ليس له علاقة بالانحراف الفكري والعقدي بل هو جزء منه أو سبيل إليه أو أحد ملامحه.

سئل عمرو بن سلم الزاهد (ت: ٢٦٤هـ) عن البدعة؟ فقال: (التعدي

(١) البداية والنهاية (١٨ / ١٤٠).

(٢) البداية والنهاية (١٨ / ٢٨٥).

في الأحكام، والتهاون بالسنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء  
والاتباع<sup>(١)</sup>.

واستطراداً هنا: فقد رأيت بنفسي حال المبتدعة مع الصلاة لما كنت في مصر إذ كان يدرس معي جملة من طلاب العلم من بلاد الشام من المتصوفة فكان بعضهم يشهد الجمعة أما الجماعة فلا يشهدونها مطلقاً، وغالبهم يؤخر الصلاة عن وقتها، بل من عجيب ما رأيت من حاهم أنهم دخلوا مجلس ذكر قبيل المغرب ولم يخرجوا منه إلا بعد متصف الليل ولم يقم واحد منهم للصلاه !!

(١) ذم الكلام وأهله (٤/٣٨١).

## تاسعاً

### فساد النية وسوء القصد

إن سوء النية وفساد القصد تحرم العبد الخير وتكون سبباً لخذلانه وسبباً لأنحرافه.

وأوجب ما تجرب في النية ويصلح فيه القصد: طلب العلم الشرعي: علم الكتاب والسنة.

(فقد كان السلف يطلبون العلم لله فقبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصلوا، ثم استفاقوا، وحسبوا أنفسهم، فجرّهم العلم إلى الأخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبيرة، ثم رزق الله النية بعد ذلك، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، فهذا أيضاً حسن. ثم نشروه بنية صالحة.

وقد طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليشتغلوا بهم، فلهم ما نووا. قال عليه السلام: «من غزا ينوي عقاولاً فله ما نوى». وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وَقَوْمٌ نَالُوا الْعِلْمَ، وَوَلُوا بِهِ الْمَنَاصِبَ، فَظَلَمُوا، وَتَرَكُوا التَّقِيَّةَ بِالْعِلْمِ،  
وَرَكِبُوا الْفَوَاحِشَ وَالْكَبَائِرَ، فَتَبَأَّلُهُمْ فِي هُؤُلَاءِ بُلْمَاءِ.

وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي عِلْمِهِ، بَلْ رَكِبَ الْحَيْلَ، وَأَفْتَى بِالرَّحْصَ، وَرَوَى  
الشَّاذَ مِنَ الْأَخْبَارِ.

وَبَعْضُهُمْ اجْتَرَأَ عَلَى اللَّهِ، وَوَضَعَ الْأَحَادِيثَ، فَهَتَّكَهُ اللَّهُ، وَذَهَبَ عِلْمُهُ،  
وَصَارَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ.

وَهُؤُلَاءِ الْأَقْسَامِ كُلُّهُمْ رَوَوْا مِنَ الْعِلْمِ شَيْئاً كَبِيرًاً، وَتَضَلُّلُهُمْ مِنْهُ فِي الْجَمْلَةِ،  
فَخَلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ بَعْدِ نَقْصِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَتَلَاهُمْ قَوْمٌ اِنْتَمُوا إِلَى  
الْعِلْمِ فِي الظَّاهِرِ، وَلَمْ يَتَقْنُوا مِنْهُ سُوَى نَزَرٍ يَسِيرٍ، أَوْ هُمْ بِهِ أَنْهَمُ عَلَمَاءَ فَضْلَاءَ، وَلَمْ  
يَدْرِ فِي أَذْهَانِهِمْ قَطْ أَنَّهُمْ يَتَقْرِبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، لَأَنَّهُمْ مَا رَأَوْا شِيَخًا يَقْتَدِي بِهِ فِي  
الْعِلْمِ، فَصَارُوا هَمْجَارَ عَاعِاً..<sup>(١)</sup>.

وَإِذَا وَجَدَ الْمُتَسَبِّبُونَ لِلْعِلْمِ مِنْ يَلْتَمِسِ الدِّينِ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ فَسَدَّتْ أَدِيَانَ  
النَّاسِ وَحُرِّفَ الْكَلْمُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَصْبَحَ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (كَيْفَ بِكُمْ إِذَا لَبِسْتُمْ فَتْنَةَ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَهْرُمُ فِيهَا  
الْكَبِيرُ وَتَخْذِلُ سَنَةً، فَإِنْ غَيَّرْتُ يَوْمًا قَيْلَ هَذَا مُنْكَرًا، وَقَالُوا: وَمَتَى ذَاكَ يَا أَبَا  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: ذَاكَ إِذَا قَلَّتْ أَمْنَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أَمْرَاؤُكُمْ، وَقَلَّ فَقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَ  
قَرَاؤُكُمْ، وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ وَالْتَّمَسَ الدِّينَ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ)<sup>(٢)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء (١٥٢/٧).

(٢) الإبابة (٥٩٤/٢).

وقد ذكر الله سبحانه ما في المتسبيين إلى أتباع الرسل، من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال في مثل قوله: ﴿يَتَأَبَّلُهَا الَّذِينَ أَمْسَوْا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَنْطِيلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْرِزُونَ إِلَّا ذَهَبَ وَالْفُضَّةَ وَلَا يُفَقُّونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبه: ٣٤].<sup>(١)</sup>

والذي يتخذ العلم الذي هو آلة الدين آلة الدنيا، يستجلبها به، ويتوسل بالعلم إليها، و يجعل البضاعة التي هي متجر الآخرة متجر الدنيا، فهذا ليس بأمين على حمله، ولا يجعله الله إماماً فيه قط، فإن الأمين هو الذي لا غرض له ولا إرادة لنفسه إلا اتباع الحق وموافقته، فلا يدعوه إلى قيام رياسته ولا دنياه. وهذا الذي اتخذ بضاعة الآخرة ومتجرها متجراً للدنيا قد خان الله وخان عباده وخان دينه..<sup>(٢)</sup>

وهو لاء القراء قوم سوء تعظم فنتهم في آخر الزمان فيكونوا دعاةً للشر أبواً للباطل، قال صلى الله عليه وسلم: «إن ما أخوّف عليكم: رجلاً قرأ القرآن، حتى إذا رأيت بهجته وكان رداء الإسلام؛ اغتره الشيطان إلى ما شاء الله، فانسلخ منه ونبذه وراء ظهره...».<sup>(٣)</sup>

وفي آخر الزمان يكثر هؤلاء القراء لا كثراً لهم الله فتقترن بهم الفتنة، قال صلى الله عليه وسلم: «سيأتي على أمتي زمان يكثر القراء، ويقل الفقهاء، ويقبض

(١) مجموع الفتاوى (٩/٤١).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٣٩٢).

(٣) قال الهيثمي: (رواه البزار وإسناده حسن). المجمع (١/١٨٧). وقال ابن كثير: (هذا إسناد جيد). تفسير القرآن (٢/٢٧٦).

العلم، ويكثر الهرج..». الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وإن بعدهم زماناً كثير خطباؤه، والعلماء فيه قليل)<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء معرضون لفتنة تصيبهم في أديانهم فيكونون عبرة تذكرها الأيام ولا ينساها التاريخ. فاللهم رحماك.

قال صلى الله عليه وسلم: «يخرج في آخر الزمان قوم يختلرون الدنيا بالدين، ويلبسون للناس مسوك الضأن من اللين، أستههم أحل من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله عز وجل: أبى يغترون؟ وعلي يجترئون؟ فيبي حلفت، لأبعش على أولئك فتنة تدع الحليم فيها حيران»<sup>(٣)</sup>.

وقد أخبر الله عن قوم أنهم أتوا علىٰ ولم ينفعهم علمهم، فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم يتتفع به. قال تعالى: «مَثُلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ...» [الجمعة:٥]. وقال سبحانه: «وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ بَأْلَى الَّذِي أَتَيْنَاهُ إِنَّنَا فَأَنَّسَلَّمَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِيْنَ» [الأعراف:١٧٥]. وقال تعالى: «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى ...» [الأعراف:١٦٩]<sup>(٤)</sup>.

وهؤلاء ليسوا من دعاة الدين، ولا من أئمة العلم، ولا من طلبه الصادقين في طلبه، ومن تعلق منهم بشيء منه فهو من المتسلقين عليه، المتشبهين

(١) أخرجه الحاكم (٤٥٧/٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم، برقم (١٠٩).

(٣) أخرجه الترمذى (٢٥٤٤).

(٤) فضل علم السلف على الخلف، ابن رجب، ص (٤).

بحملته وأهله، المدعين لوصاله، المبتوتين من حبّاله<sup>(١)</sup>.

والنفاق يكثُر في هذه الطائفة، قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قَرَأُهَا»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الصنف من الخلق تكون منهم الفتنة عن الدين، والصد عن سبيل المؤمنين، قال ابن المبارك (ت: ١٨٤هـ): (كان يقال: تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاحد، فإن فتنتها فتنـة لكل مفتون)<sup>(٣)</sup>.

وقال أَيُّوب السختياني (ت: ١٣١هـ): (لَا خَيْثَ أَخْبَثَ مِنْ قَارِئٍ فَاجِرٍ)<sup>(٤)</sup>.

وَخُذِلَ هُؤُلَاءِ فِي الْقَدِيمِ وَالْخَدِيثِ فَصَرَفُوا جَهَدَهُمْ وَوَقْتَهُمْ فِي نَسْرِ الْانْحِرَافِ وَالْضَّلَالِ.

فَلَقِنَ (أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الرَّوَانِي) (ت: ٢٤٣هـ) المنسوب إلى الزبغ والإلحاد، اليهود الاحتجاج على عدم جواز النسخ بزعمهم بنقل مفترى بأن قال لهم: قولوا أن موسى عليه السلام أمرنا أن نتمسّك بالسبت، ما دامت السموات والأرض، ولا يجوز أن يأمر الأنبياء، إلا بما هو حق<sup>(٥)</sup>.

وَصَنَّفَ (مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو الْفَضْلِ الْمَقْدِسِيِّ) (ت: ٥٠٧هـ) كتاباً

(١) مفتاح دار السعادة (٤٠١/١).

(٢) أخرجه أَحْمَد (٦٦٣٤).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٦٦٦/١).

(٤) السير (٦/١٧).

(٥) مرآة الجنان (٢/١٠٧).

في إباحة السِّمَاع، وصَنَفَ في جواز النظر إلى المرد؛ ولذا جرّه الأئمَّة ولم يحتجوا به<sup>(١)</sup>.

وكتب مظفر بن أردشير الوعاظ (ت: بعد ٥٥٣هـ) رسالة في إباحة الخمر.

قال ابن حجر: (لم أكن أظن أن أحداً من المسلمين يستجيز جمع ذلك)<sup>(٢)</sup>.

أقول: تشابهت أحوال المنحرفين، فلا يزال المنحرفون يكتبون في الدعوة إلى الانحراف.

فكتب أحدهم أربعة عشر مقالاً في صحفة سيارة في الدعوة إلى الاختلاط بين الجنسين والتشكك في تحريمها<sup>(٣)</sup>.

وآخر كتب كتاباً بعنوان: (جواز صلاة الرجل في بيته) يشرع فيه ترك الجماعة بحجج لا تقوى على معارضته أدلة الوهابيين الصرحة.

وخرج (ثالث) على قناة الرسالة في برنامج (مذكرات سائح) في شهر رمضان سنة (١٤٣٢هـ) يقول فيه بأن الألحان والأنغام من معانٍ للدين، ودعا في برنامجه المسلمين إلى الاهتمام بالتصوير والرسم وتعليمها لصغارهم. وخرج في قناة (إم بي سي) في برنامج (الجمال في الإسلام) ليقرر جواز الغناء والمعازف، وجواز غناء المرأة.

وندد (رابع) بموقف أهل العلم والغيرة من القضايا المتعلقة بالمرأة فكتب

(١) البداية والنهاية (١٦/٢٢٢-٢٢٣).

(٢) لسان الميزان، لابن حجر (٦/٥٣).

(٣) ينظر: مقال بعنوان: (انتقاد الاعتراض في مناقشة أدلة تحريم الاختلاط)، صحيفة الرياض، العدد (١٥٥٢٧)، التاريخ (١٤٣٢/٢٢-٢٨)، (١١/٢٠١٠هـ).

مقالاً في صحيفة الرياض بعنوان: (معاركنا الجانبية بين أكل لحم الجنى ورياضة المرأة)<sup>(١)</sup> ومقالاً آخر بعنوان: (فوبيا المرأة)<sup>(٢)</sup>.

وأقرأ مقالة معاذ بن جبل رضي الله عنه ستتجد فيها توصيفاً دقيقاً لزماننا والمشاغبين فيه حيث قال: (إن الله حكم قسط تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتناً يكثُر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة، والحر والعبد، والصغير والكبير، فيوشك أن الرجل يقرأ القرآن، فيقول: قد قرأت القرآن فما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، ثم يقول: ما هم بمتبوعي حتى أبتدع لهم غيره. فإذاكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلاله..)<sup>(٣)</sup>.

صور فساد النية وانحراف القصد وعلاماته:

من صور فساد النية وفساد القصد طلب العلم الشرعي لأجل الشهادة والمنصب وتبؤ الشرف والمكانة.

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من تعلم يبتغي الدنيا والمباهة، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتهاروا به السفهاء، ولا لتحتازوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»<sup>(٤)</sup>. وقال أيضاً: «من تعلم على ما يبتغي به وجه الله، لا يتعلم إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرضاً الجنة يوم القيمة»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيفة الرياض، العدد ١٥٧٢٥، التاريخ ١٤٣٢/٨/١٣، ١٢-١١/١/٢٠١١ م).

(٢) صحيفة الرياض، العدد ١٥٥٤٧، التاريخ ١٤٣٢/٢/١٣، ١٧-١١/١/٢٠١١ م).

(٣) أبو داود (٤٦١١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (٧٧)، والحاكم (١١/٨٦).

(٥) أخرجه أحمد (٨٤٥٧)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢).

ولما فسدت النيات ودخلت المقاصد وجدت السرقات والخيانات العلمية في الرسائل الجامعية، وأصبح بعض طلاب الدنيا بعمل الآخرة يسطون على جهود غيرهم وينسبونها لأنفسهم، بل بدت الصفاقة وتواري الحباء عند بعضهم لما أصبحوا يأخذون الصفحات بهوامشها وينسبونها لأنفسهم. وأخرون يضربون في الأرض يبحثون عنمن يكتب لهم<sup>(١)</sup>.

ومن علامات آخر الزمان أن يرفع العلم ويظهر الجهل بسبب فساد النيات، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل..»<sup>(٢)</sup>.

أما قلة العلم وظهور الجهل: فيسبب التفقة للدنيا<sup>(٣)</sup>. فيحرم المتفقه الفقه في الدين، وبركة العلم، وعائدة ميراث النبوة.

ومن علامات فساد النية والقصد غياب السمت والهدي الصالح وأخلاق النبوة عن هؤلاء.

فقد كان الناس يتعلمون الهدي الصالح والسمت الحسن من العالم في الرعيل الأول رضي الله عنهم. فيحضر عند الإمام أحمد خمسة آلاف، خمسة يكتبون، والباقي يستمدون من سنته وخلقته وأدبه<sup>(٤)</sup>.

فطالب العلم يكون متواضعاً متطاماً، مختباً وجلاً، يذل علمه وينشر

(١) وقفت على رسائل علمية تفتقد للإمامة العلمية !!

(٢) آخر جه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) الاعتصام (٤٣٤/٢).

(٤) السير (١١/٣١٦).

دعوته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، صاحب عبادة وتأله، ينفع الناس ويحب الخير لهم، سليم الصدر مخوم القلب، ورعاً متغفلاً. هكذا كان العلماء السابقون وهكذا يجب أن يكون التابعون لهم. بل هكذا يجب أن يكون حملة ميراث النبوة. ومن كان عريأاً من ذلك فعلمـه حـجـة عـلـيـه وـوـبـالـ في الدـنـيـا وـالـآخـرـة.

ومن أحسن ما قرأته كشفاً لحال هؤلاء القوم ما قاله الذهبي: (ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والخيلاء، تهاون، واحتـالـ، وازدرـىـ بالـنـاسـ، وأهـلـكـهـ العـجـبـ، وـمـقـتـهـ الـأـنـفـسـ) <sup>(١)</sup>.

## عاشرًا

### تقحّم المسائل بغير علم

إن تقحّم مسائل الشريعة والحديث فيها بغير علم يؤدي بصاحبها إلى الهمكة في الدنيا والآخرة، وهو من صور الكذب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (من تكلم في الدين بلا علم كان كاذبًا، وإن كان لا يعتمد الكذب) <sup>(١)</sup>.

وانظر رعاك الله إلى الذين يتصدرون للحديث في كل مسألة من غير هدى ولا أثارة من علم كيف جنوا على أنفسهم أعظم جنائية، ولو حجزوا أنفسهم بحاجز الورع وقيدوها بعقال العقل لسلموا، إذ جرى الأمر أن العبد يخذل على جرأته على أمر الله ويوكّل إلى نفسه فتراه يسترسل إن لم يوفق إلى توبة فيتقحّم مسائل الاعتقاد بعد مسائل العمل، والمسائل الكبار بعد المسائل الصغار وهكذا.. وإذا رأيت منهج السلف الصالح رأيته مبيناً حال هؤلاء المفتونين أعظم مباهنة إذ كان أولئك يتحرّون السلامة وينشدون النجاة ويقفون عند حدود ما علموا، ولم يكن أحدهم يجد غضاضة في قول: لا أعلم، ولا أدرى.

(١) مجموع الفتاوى (٤٤٩/١٠).

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): (ومن صفات علماء الآخرة أن لا يتسرعوا إلى الفتوى وأن لا يفتوا إلا بما يتيقنون صحته من غير تردد، وقد كان السلف يتدافعون الفتاوي حتى يرجع إلى الأول).

ثم آل الأمر إلى أقوام يدعون العلم يسارعون الجواب في مسائل لو عرضت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر واستشارهم<sup>(١)</sup>.

وَتَصَدَّرُ الفتيا والمسارعة إليها من صور طلب الشرف في الدنيا وهذا كره السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها<sup>(٢)</sup>.

قال عبد الرحمن بن أبي ليل (ت: ٨٢هـ): (أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة ما منهم من رجل إلا ودأن أخاه كفاه)<sup>(٣)</sup>.

ودخل رجل على ربيعة بن عبد الرحمن (ت: ١٣٦هـ) - شيخ الإمام مالك - فقال: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أدخلت عليك مصيبة؟ فقال: (لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم)<sup>(٤)</sup>.

فإذا كان ربيعة يبكي على ما حلّ بال المسلمين في زمانه من ظهور المتعالين،

(١) منهاج القاصدين (١/٧٢).

(٢) شرح حديث (ما ذيبان جائعان)، ص (٥٥).

(٣) أخرجه ابن خيثمة في كتاب العلم، برقم (٢١) و ابن سعد في الطبقات (٦/١١٠). وابن المبارك في الزهد، ص (١٩).

(٤) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (٢/٣٢٤).

فماذا نفعل في زماننا هذا؟

وقد كان السلف رحمة الله على رسوخ قدمهم في العلم لا يجدون غضاضة في قول: لا أدرى.

قال ابن مسعود (ت: ٣٢ هـ): (إذا سئل أحدكم عما لا يدرى، فليقل: لا أعلم، فإنه ثلث العلم)<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: (إن الذي يفتى الناس في كل ما يستفتونه لمجنون)<sup>(٢)</sup>.

وسائل سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ): عن شيء، فقال: لا أعلم، ثم قال: (وبل للذى يقول لما لا يعلم: إنى أعلم)<sup>(٣)</sup>.

وقال الشعبي (ت: ٤١٠ هـ): (لا أدرى نصف العلم)<sup>(٤)</sup>.

وقال القاسم بن محمد بن أبي بكر (ت: ١٠٨ هـ) الحافظ الحجة عالم المدينة في وقته: (لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم)<sup>(٥)</sup>.

وجاءه أمير من أمراء المدينة، فسأله عن شيء، فقال: (إن من إكرام المرأة نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه)<sup>(٦)</sup>.

(١) ذم الكلام وأهله، الهروي (٢٩/٣).

(٢) ذم الكلام وأهله (٣٤/٣).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٨٣٦/٢).

(٤) ذم الكلام، الهروي (٢٩/٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٥٧/٥).

(٦) المصدر السابق (٥٧/٥).

سئل عطاء بن أبي رباح شيخ الإسلام ومفتى الحرم (ت: ١١٤هـ) عن شيء، فقال: لا أدرى <sup>(١)</sup>.

وكان سفيان الثوري (ت: ٦١هـ): (إذا سئل عن المسائل؛ قال: لا أدرى، حتى يظن من رأه أنه لا يحسن من العلم شيئاً) <sup>(٢)</sup>.

وعن خالد بن خداش قال: قدمت على مالك (ت: ١٧٩هـ) بأربعين مسألة، فها أجابني منها إلا في خمس مسائل <sup>(٣)</sup>.

وقال سحنون (ت: ٢٤٠هـ): (أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علمها) <sup>(٤)</sup>.  
وقال أيضاً: (ما وجدت من باع آخرته بدنيا غيره إلا المفتى) <sup>(٥)</sup>.

وكلام السلف في هذا المعنى كثير جداً يطول ذكره واستقصاؤه، وسبب مجانية السلف للفتوى والتصدر لها أن زلة العالم فيها جنائية على نفسه وعلى العامة، فكيف إذا كانت زلات من جهله متعالمين؟

قال صلى الله عليه وسلم: «يهدم الإسلام ثلاثة: زلة عالم، وجداول منافق بالقرآن، وأئمة مضللون» <sup>(٦)</sup>.

قد يقول قائل: إن هؤلاء المفتين لهم أسوة في مالك والشافعي وغيرهما من

(١) سير أعلام النبلاء (٥/٨٦).

(٢) ذم الكلام، الهمروي (٤/١٤٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/٧٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/٦٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٢/٦٦).

(٦) أخرجه الدارمي (٢١٤).

العلماء من تصدر للإفتاء وهو صغير !!

فنتقول: وهل هؤلاء بلغوا علم مالك والشافعي؟ قال الإمام مالك: (ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك) <sup>(١)</sup>.

فمن شهد هؤلاء وزكاهم؟ بل على النقيض من ذلك، فقد ذكر الإعلامي (داود الشريان) في مقابلة معه أن أحد المتتصدرین للفتیا في زماننا كان من نوعاً منها في حیاة الشیخ ابن باز رحمة الله !!

ومن عجیب ما سمعت أن بعضهم يجد ويجهد ويبذل وسعه لكي يخرج في برامج الإفتاء !! هل هناك عاقل يبحث عما فيه عطبه وهلاكه !! وهؤلاء المتسابقون إلى الفتوى والمسارعون إليها يحرمون التوفيق، نسأل الله السلامة.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ):

(قال بعض العلماء: قل من حرص على الفتوى، وسابق إليها، وثابر عليها، إلا قل توفيقه، واضطرب في أمره. وإن كان كارهاً لذلك غير مختار له ما وجد مندوحة عنه، وقدر أن يحيل بالأمر فيه إلى غيره: كانت المعونة له من الله أكثر، والصلاح في فتاويه وجوابه أغلب) <sup>(٢)</sup>.

وشاهد هذا الكلام حال كثير من المفتين الذين صدرت منهم فتاوى إما تخالف النص الصريح - الذي ليس له معارض - أو الاجماع.

(١) حلية الأولياء (٦/٣٤٥).

(٢) بدائع الفوائد (٣/١٢٨٦).

وأنقل لك نتفاً مما وقع فيه بعض هؤلاء مما فيه مخالفة للنص الصريح الذي ليس له معارض أو الإجماع.

### الإفتاء بما يخالف النص الصريح:

فمن مخالفة النص الصريح إجازة أحدهم على قناة (إم بي سي) في شهر رمضان سنة (١٤٣٢هـ) لرسم ذوات الأرواح باليد لأنه قول بعض المالكية!!  
وقول أحدهم في برامج (قصة فتوى) على قناة دليل بأنه لا يحرم من النحت إلا ما كان ليعبد من دون الله<sup>(١)</sup>.

وقول أحدهم في خطبة له في مسجد قباء بأن الراجح أن أبي النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الفترة يمتحنون في الآخرة.

ومن مخالفة النص الصريح إجازة أحدهم في صحيفة الجزيرة بداعية الكفار بالسلام لأن الله تعالى يقول: ﴿وَقَبْلَهُو يَتَرَبَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فَأَصْصَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمْ سُوْفَ يَعْلَمُونَ<sup>(٢)</sup> [الزخرف: ٨٨-٨٩].

كان عبدالعزيز بن عبدالله الداركي الشافعي إذا جاءته مسألة تفكير طويلاً ثم أفتى فيها، فربما كانت فتواه خلاف مذهب الشافعي وأبي حنيفة، فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم، حدث فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، والأخذ بال الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة إذا خالفاه<sup>(٢)</sup>.

(١) ومن العجيب: أن حلقة (التصوير الفوتوغرافي) التي اجتمع فيها خمسة رجال هي تلخيص حرف لكتاب: (الفن المعاصر.. صوره وآثاره) لعلي العمري!!

(٢) المتنظم (١٤/٣١٤).

## الإفتاء بما يخالف الإجماع:

من مخالفة الإجماع<sup>(١)</sup> قول الدكتور (قيس المبارك): بجواز حضور أعياد الكفار<sup>(٢)</sup>.

وقول الدكتور (مسفر القحطاني) في صحيفة الوطن: بجواز تهنة الكفار بأعيادهم، حاكياً الخلاف في المسألة، ناسباً لابن تيمية القول بالجواز<sup>(٣)</sup>، في جهل واضح بالمسألة، وخلط بين المناسبات العادلة والأعياد الدينية.

وقول الدكتور (محمد النجيمي): بجواز تهنة الكفار بأعيادهم ناسباً ذلك لابن القيم!!<sup>(٤)</sup>.

وقول (علي العمري) في كتابه: (بيت الخبرة)<sup>(٥)</sup>: بجواز الإقامة في بلاد الكفار للسياحة<sup>(٦)</sup>.

وتبعه آخر في برنامج للفتوى على قناة (دليل) وقال بعدم وجود دليل يمنع من الإقامة بين ظهري الكفار لغير حاجة!!

(١) نقل ابن القيم الإجماع على تحريم تهنة الكفار بأعيادهم. (١٢٤٥/٢).

(٢) صحيفة عكاظ، العدد (٣٤٧٦)، التاريخ (١٧/١)، (١٤٣٢ هـ ٢٣-١١/٢٠١٠ م).

(٣) صحيفة الوطن، العدد (٢٦٤٨)، التاريخ (٢١/١٢)، (١٤٢٨ هـ ٣٠-١٢/٢٠٠٧ م).

(٤) النوازل الاجتماعية الناشئة خارج ديار الإسلام، ص ٢٨-٢٩.

(٥) ص (٦٩).

(٦) قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّهُمُ الْمُتَكَبِّرُونَ...﴾ [النساء: ٩٧]: (هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهري المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع). تفسير القرآن العظيم (٤٢١/١).

وقول طائفة: بإجازة الغناء والمعازف<sup>(١)</sup>.

وقول آخر يباحة التأمين التجاري<sup>(٢)</sup>.

وأفتت لجنة شرعية في قناة فضائية بجواز عمل المرأة مقدمة للبرامج

٢٣) فِيهَا

وقال الدكتور (قيس المبارك) بجواز تمثيل الصحابة بضوابط<sup>(٤)</sup>، خلافاً لما

أفت به المجامع الفقهية من تحريم ذلك<sup>(٥)</sup>.

وهؤلاء الذين يفتون على خلاف النص -السالم من المعارض- أو  
الإجماع لا يجوز تقليلهم ولا الأخذ عنهم، قال القرافي: (كل شيء أفتى فيه  
المجتهد فخررت فتواه فيه على خلاف الإجماع، أو القواعد، أو النص، أو

(١) قال شيخ الإسلام: ( فمن فعل هذه الملاهي على وجه الديانة والتقرب فلا ريب في ضلالته، وإذا كان على وجه التمتع فمذهب الأئمة الأربع أن آلات اللهو حرام كلها، لما أخبر أنه يكون في أمتة من يستحل المعازف، والمعازف: عند أهل اللغة: الملاهي. ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعا، ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو على ثلاثة أقوال...). الفتاوى العراقية (٧٤١/٢). ونقل الشيخ الموقف: ذياب بن سعد الغامدي عن واحد وثلاثين عالماً نقلوا الإجماع على تحريم الغناء والمعازف. الريح القاصف، ص (١٦٣-١٧٣).

(٢) أفت المجامع الفقهية المعاصرة بتحريم التأمين بأنواعه.

(٣) مجلة نون، العدد (٣١)، التاريخ رجب-شعبان ١٤٣٠هـ، ص (٦٧)، مقابلة مع (فهد الشميري) رئيس مجلس إدارة قناة المجد.

(٤) صحيفة عكاظ، العدد (٣٤٩٠)، التاريخ (١٤٣٢/٢/٢)، (٢٠١١هـ-٢/٢/٢٠١١م).

(٥) أفتى المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وجمعـ المـ بـحـوـثـ إـسـلـامـيـةـ فـيـ الأـزـهـرـ، وهـيـةـ كـبـارـ الـعـلـمـاءـ فـيـ السـعـوـدـيـةـ بـتـحـرـيمـ تـمـثـيلـ الصـحـابـةـ رضـ.

القياس الجلي السالم عن المعارض الراجح لا يجوز لقلده أن ينقله للناس، ولا يفتني به في دين الله<sup>(١)</sup>.

**تفحّم المسائل التي لها صلة بالسياسة الشرعية:**

ومن تفحّم المسائل التي لها صلة بالسياسة الشرعية قول أحدّهم في برنامج للفتوى على قناة (دليل) بجواز بيع العقارات على الرافضة<sup>(٢)</sup>.

ـ قول أحدّهم بصحّة ولایة الكافر النصراني على المسلمين وتحريم مقاومته !!

وقد أحصيت في السنوات الأخيرة ما يزيد على أربعين فتوى للمتصدرين لها في القنوات والمجلات تعارض النص الصحيح السالم من المعارض والإجماع، ولعلّ الله ييسر إفرادها في رسالة قياماً براجب الاحتساب.

**منشأ الخطأ عند هؤلاء:**

لا عجب أن ينبط الواحد من هؤلاء في الفتوى وينخلط، فأكثرهم لا يعرف الفتوى: فقهاً وشروعها، شاهد جهلهم: حكاية الخلاف في كل مسألة يستفيههم فيها العوام، وهل العami يفهم الخلاف أو يدرك معناه؟ وهل يستطيع الترجيح بين الأقوال حتى تعرضها عليه؟ أم ت يريد أن ينتقي منها ما يشاء؟ إن الفتوى: ذكر ما يعتقده المفتى. أما عرض الأقوال، وسرد المذاهب، فهذا في الكتب والمناظرات

(١) الفروق (٥٤٦/٢).

(٢) عن مخطط الرافضة في شراء العقارات في الخليج وعلاقة إيران بذلك، ينظر: حركة التشيع في الخليج العربي، عبد العزيز البداح، ص (٢٥٢).

والدروس لا في الفتوى لأن عقول العوام لا تحتمل ذلك.

وإذا عرض العامي نازلته على الفتى، فهو قاتل له: أخرجني عن هواي،  
دلني على اتباع الحق، فلا يمكن الحال هذه أن يقال له: في مسألتك قولهان،  
فاختر لشهوتك أيها شئت، فإن معنى هذا تحكيم الهوى دون الشرع<sup>(١)</sup>.

ومن أسباب الخطأ عند هؤلاء أيضا احتجاجهم بالخلاف، والاعتماد عليه حججًّا ودليلًا، وهذا غير سائغ (فربما وقع الإفتاء في المسألة بالمنع، فيقال: لم تمنع المسألة مختلف فيها فيجعل الخلاف حجة في الجواز لمجرد كونها مختلفا فيها، لا لدليل يدل على صحة مذهب الجواز، ولا لتقليل من هو أولى بالتقليل من القائل بالمنع، وهو عين الخطأ على الشريعة حيث جعل ما ليس بمعتمد معتمدا وما ليس بحججة حججة<sup>(٢)</sup>).

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط جرأتهم على الفتوى وتساقفهم عليها، (أو ما علموا أن الفتى مخبر عن الله تعالى، وأن من كذب على الله تعالى أو أخبر عنه مع عدم ضبط ذلك الخبر فهو عند الله تعالى بمنزلة الكاذب على الله؟ فليت الله أمرؤ في نفسه ولا يقدم على قول أو فعل فيه عطبه وهلاكه)<sup>(٣)</sup>.

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط أن جعلوا أهواءهم حاكمةً على الشريعة: استحساناً، أو مسايرةً ورضوخاً للواقع، أو تطلبًا لرضا من يرجونه. وهذا مخالف لأصل الشريعة.

(١) المواقف للشاطبي (٤/١٣٢).

(٢) المواقف (٤/١٤١).

(٣) الفروق، بتصرف يسir جدا (٢/٥٤٥-٥٤٦).

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (اعلم أن الشريعة موضوعة لإخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله) <sup>(١)</sup>.

ومن أسباب وقوع هؤلاء في الغلط دعوى أنهم مجتهدون وأن لهم النظر في الأدلة والترجح بينها ولذا وقعوا في مخالفة المتقدمين.

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (قلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا من أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غلطاً أو مغالطة) <sup>(٢)</sup>.

بل إنهم أصبحوا يطالبون في ندواتهم ومطارحاتهم بفتح باب الاجتهاد ودعوة الناشئة إلى النظر في الأدلة والترجح والاستغناء عن العلم والتفقه على أهل العلم، وتجدها واضحةً في برنامجي: قصة فتوى، والأجر والأجران. ولسان حالم يردد مقالة المنحرفين الأوائل: هم رجال ونحن رجال.

بل من عجيب ما سمعت أن أحدهم في حلقة بعنوان: (غلق باب الاجتهاد) في برنامج (قصة فتوى) على قناة دليل طالب بالاجتهاد في شروط الاجتهاد لأن بعضها يصعب تتحققه !!

وهؤلاء لا يملكون من أدوات الاجتهاد والنظر شيئاً، وإنما غاية ما يملكونه شهادات لدراستهم مسألة جزئية في باب من أبواب الشريعة الواسعة.

وهنا لا بد من القول أن الشهوة الخفية أو الدافع النفسي تقف خلف الجهر برأي يخالف السائد أو ينافق المشهور... فأخيالاً يكون نكارةً بأهل العلم، أو رغبةً في الشهرة والظهور، أو لأنه لم يجد المكانة والشرف..

(١) الاعتصام (٣٠٨/٣).

(٢) المواقفات (٣/٢٨٦-٢٨٧).

ولذا فلا تشغلك نفسك بالتقعر والبحث في مسائل الفروع والزرم ما عليه الدليل، وما تكون به براءة الذمة، ولا تسترسل مع شهوة نفسك في حب الظهور بمفارقة المشهور عند أهل العلم أو ما عليه الفتوى، فإنه درك لا يزال ينزل به المرء حتى يصل إلى التخليط ومخالفة النص والاجماع.

وعموماً فإن المفتى لا بد أن يكون عالماً دينياً ورعاً، وإلا فقر منه فرارك من الأسد.

فإن لم يكن عالماً فهو جاهل، وإن لم يكن ديناً فهو فاسق، وإن لم يكن ورعاً كان متساهلاً.

وكمما قيل:

وليس في فتواه مفت متبع      ما لم يضف للعلم والدين الورع  
وانظر إلى ذلك الرجل الذي بدأ بمخالفة المقرر في مسائل الفروع فأصبح يتبع شواد المسائل شيئاً فشيئاً حتى ألف كتاباً في: مشروعية حلق اللحية، وجوازبقاء المسلمة مع زوجها اليهودي والنصراني، وإباحة المعاذف مما هو مخالف للإجماع... وقد كان في عافية من ذلك، نسأل الله السلامة.

وهؤلاء المتساقطون امتداد للمدرسة المصرية (مدرسة العقل أو الرأي) التي تقوم على تقديم الاستحسان أو المصلحة المโทهمة أو مسايرة الواقع على النص الشرعي وتجدد معاملها واضحة في كتب وفتاوي محمد الغزالى ويوسف القرضاوى خاصة.

ومما يدل على خطورة منهج هؤلاء وأنه لا ينضبط بضوابط النص وينجح إلى مسايرة الواقع ما ذكره أحدهم في برنامج (قصة فتوى) على قناة دليل من أن شاباً

من هواة التصوير عرضت عليه قناة تويتر شراء صور منه بعشرة آلاف دولار...  
وعليه فيجب إعادة النظر في مسألة التصوير من نظرة مقاصدية!!

وهذا الكلام يدل على أن أهله غير مخولين بالفتوى وأنهم يتكلمون  
بأهوائهم وآرائهم لا بالأدلة الشرعية والقواعد العلمية المعتبرة.  
ولهذا فهم يدعون الناشئة إلى الجرأة على أحكام الشريعة، والأخذ منها بما  
يواافق الأهواء ويساير الواقع.

فسوَّد (أحدهم) كتاباً من مائة وست وعشرين صفحة عرض فيها جملة من  
المسائل الشرعية: (الاجتماع للذكر، الذكر الجماعي، كشف وجه المرأة، تخفيف  
اللحية...) عرض فيها الخلاف. وفي أول الكتاب خاطب الناشئة بقوله: (آن  
الأوان لبث الوعي، وتحريك الضمائر، وتنوير العقول، بعيداً عن التمسك بآراء  
أحادية، أو النهل من كتب محددة، أو تفنين الفتوى من جهات معينة!!<sup>(١)</sup>).

وقال آخر بلغة أكثر صراحةً ووضحاً: (فهم في وطني زرعوا في عقلي  
مذهبياً فقهياً واحداً يميل للتشدد في فتاواه، ويحيط المباح بدوائر متعددة من  
المحرمات، بناء على قاعدة سد الذرائع، حتى لا يتحول المباح إلى محرم أو يكون  
طريقة له، هكذا نشأت وتربيت لا أعرف إلا هو، ولا علماء عندي إلا علماؤنا،  
ولكن بعد العولمة وثورة الاتصال عرفنا نحن المواطنين ما كان مجھولاً، وأدركتنا  
أن لنا عقولاً، ولكن بعد فوات الأوان، فعندما اضطروا في وطني لبعض الفتاوى  
الميسرة، قال المجتمع: لا؛ لأنه تربى على الأقوال المتشددة، وهذا الخوف على

(١) قضايا دعوية، علي العمري ص(٧).

وطني، فوصية يا أولادي لا تؤجر واعقولكم لبشر...<sup>(١)</sup>.

---

(١) مقال بعنوان: (مات المواطن المهزوم)، عبد الله الجميلي، صحيفة المدينة، التاريخ (١٩ / ٤ / ٢٠١٠ هـ - ١٤٣١ م).

## حادي عشر

### حب الرئاسة والتطلع إليها

النفوس محبولة على حب الرئاسة والتطلع إليها، لأنها من الجاه الذي يميل إليه الناس بطبعهم.

قال سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ): (ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة، حامي عليها، وعادى)<sup>(١)</sup>.

وقال إسحاق بن خلف: (والله الذي لا إله هو لإزالة الجبال الرواسي أيسر من إزالة الرئاسة)<sup>(٢)</sup>.

وقال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (آخر الأشياء نزولاً من قلوب الصالحين: حب السلطة والتصدر)<sup>(٣)</sup>.

وكمما قيل:

(١) سير أعلام النبلاء (٧/٢٦٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧٢).

(٣) الاعتصام (٢/١٧٥).

حرب الرياسة داء لا دواء له      وقل ما تجد الراضين بالقسم<sup>(١)</sup>

وحب الرياسة والعلو في الأرض من أمراض القلوب، وهذا المرض مركب من مرض الشبهة والشهوة، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد، وإرادة باطلة، كالعجب والفخر والخيال والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم<sup>(٢)</sup>.

لكن طالب العلم يجاهد نفسه على قطع علاقه الأمل بها، وذلك أن الرياسات إن لم تحصل بقي القلب منشغلاً بها، فيندفع صاحبها إلى التملق والتزلف طلباً لها، وربما باع دينه لأجلها، فإن لم يتحصل عليها مات كمداً وقضى غيظاً وحنقاً، وإن حصل عليها - بعد تطلب واستشراف - لم يعن عليها ووكل إلى نفسه فكانت سيرته فيها غير مرضية نعوذ بالله من ذلك.

و شأن طالب العلم مع هذه الرياسات هو النهج النبوى المتمثل في الإعراض عنها وعدم الاستشراف لها فإن جاءته من غير مسألة ولا استشراف أعين عليها.

وهذا هو شأن السلف الصالح إذ كانوا يتبعون عن الرياسات ولا يتطلبون المناصب.

(وذلك أن للرياسة سكرة سكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقيه، فسكتتها فوق سكرة

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٣٠٥-٣٠٦).

الخمر بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه..<sup>(١)</sup>.

والفتنة بالمال هي فتنة هذه الأمة؛ فعن كعب بن عياض رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال).<sup>(٢)</sup>

فما أكثر من يقع في حبائله، فيتساهل في تحصيله وبأدني الحيل، وأحياناً يكون العرض الذي يقدمه دينه وتقواه.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (ما أقيبح بالعالم والداعي إلى الله الحرص وجمع المال).<sup>(٣)</sup>

والأصل في التحذير من طلب الشرف والرياسة قوله صلى الله عليه وسلم: «ما ذياب جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».<sup>(٤)</sup>

فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاربين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاوها ليلًا، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من إفساد الذين المذكورين

(١) بداع الفوائد (٣/٦١٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٧١)، والترمذى (٢٣٣٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) السير (١٧/٤٨٢).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٧٩٤)، والترمذى (٢٣٧٦).

والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدینه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا<sup>(١)</sup>.

وشاهد هذا: أنك ترى من أصحاب الرياسات - من حرم التوفيق والإعانة - يحرم الخير ويصرف إلى الشر، وتكون ولاته وبالاً عليه في الدنيا قبل الآخرة، وبعضهم يتصرف في ولاته تصرفات المجانين، لأن الرياسة غرّته وخدعه.

قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ): (ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغي وتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير)<sup>(٢)</sup>.

وشاهد آخر: أن صاحب الرياسة لم يصل إليها إلا بعد أن فقدها من قبله إما بموت أو عزل أو عجز ومع ذلك لا يعتبر.

فهذا الإمام الحجة عالم الجزيرة ومفتیها ميمون بن مهران (ت: ١١٧هـ) يقول نادماً على الولاية: (إني وددت أن أصبعي قطعت من هاهنا، وأني لم أـ لعمر بن عبد العزيز ولا لغيره)<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح حديث [ما ذهب صانعان] ص(٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/٧٢).

ودعا الوالي الإمام محمد بن واسع (ت: ١٢٣ هـ) فقال له: اجلس للقضاء، فأبى. فعاوده وقال: لتجلسن، أو لأجلدنك ثلاثة، قال: إن تفعل، فإنك مسلط، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: (وددت أن إحدى عيني ذهبت، وأبى لم أملّ قط)<sup>(٢)</sup>.

وامتنع منصور بن المعتمر الحافظ التابعي (ت: ١٣٣ هـ) عن القضاء وجيء بالقيد ليقيّد، فقيل للأمير: (لو نشرت لحمه لم يل القضاء فتركه)<sup>(٣)</sup>.

وحبسه الوزير ابن هبيرة شهراً على القضاء يريده عليه، فأبى، وقيل: (إنه أحضر قيداً ليقيده به، ثم خلاه)<sup>(٤)</sup>.

وعرض الخليفة الرشيد على المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي (ت: ١٨٨ هـ) قضاء المدينة وجائزة أربعة ألف دينار فامتنع، فأبى إلا أن يلزمـه ذلك، فقال: (والله يا أمير المؤمنين لئن يخنقني الشيطان أحب إلى من أن ألي القضاء، فقال الرشيد: ما بعد هذا شيء)<sup>(٥)</sup>.

وأقدم الرشيد الإمام عبدالله بن إدريس (ت: ١٩٢ هـ) ببغداد ليولـيه قضاء الكوفة فامتنع<sup>(٦)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء (٦/١٢٢).

(٢) المصدر السابق (٥/٧٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/٤٠٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/٤٠٦).

(٥) ترتيب المدارك، القاضي عياض (٢/١٨٥).

(٦) سير أعلام النبلاء (٥/٤٣).

وقال أبو جعفر المسندي: (ودعت الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧ هـ)، فقلت: أوصني قال: كن ذنباً ولا تكن رأساً) <sup>(١)</sup>.

ويشهد التاريخ أن المتعلقين بالسياسات تتغير عليهم الأحوال وتتقلب بهم الأيام وتنزل بهم الدوائر خاصة إذا كانوا غير محمودي السيرة.. معهم ظلم وسوء وفساد.

ذكر الذهبي أن العلامة شيخ الشافعية أبو المناقب محمود بن أحمد بن محمود الزنجاني عُزل عن القضاء وغيره وحُبس وعوقب وصودر على أموالٍ احتقابها من الحرام والغلول <sup>(٢)</sup>.

واتفق القاضي رفيع الدين عبدالعزيز بن عبدالواحد الجيلي (ت: ٦٤١ هـ) مع وزير دمشق على أكل أموال الناس بالباطل بعد أن أحضره إلى دمشق ووراه قضاها، فلما تبين ذلك، أشار الوزير على الملك الصالح إسماعيل بعزل القاضي لتبرأ ساحة الملك من شناعات الناس، فعزله، وأمر الوزير بنفيه خارج البلد، فأنخرج ليلاً وذهب به، فسُجن بمعمار، وقيل: أنه ألقى من شاهق، وقيل: إنه خُنق، فانظر كيف عامله الله بنقيض مقصوده، وأهلكه على يدي من كان سبب سعادته <sup>(٣)</sup>.

وهكذا فالدنيا الدنيا، قريبة الرزية، ترفع أهلها تارة، وتختفظ بهم تارة أخرى **﴿وَتَلَكَ الْأَيَّامُ نُدَأْوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾** [آل عمران: ١٤٠].

(١) سير أعلام النبلاء (٦٦٠ / ١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٤٥ / ٢٣).

(٣) البداية والنهاية (٢٥٠ / ١٧-٢٦٩).

ويدخل في حب الرئاسة والتطلع إليها حب الثناء والرغبة في المكانة والبحث عن الشهرة.

وقد صنف أبو بكر الأجري (ت: ٣٦٠هـ) مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم وصف فيه عالم السوء بأوصاف منها أنه فتن (بحب الثناء والشرف، والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمل بالعلم، كما يتجمل بالحلة الحسنة للدنيا..) <sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ): (فهذا كلام الأجري في أواخر الثلاثمائة ولم يزل الفساد بعده متزايداً على ما ذكرناه أضعافاً مضاعفة فلا حول ولا قوة إلا بالله) <sup>(٢)</sup>.

والأصل في هذا أن يكون الداعية أو العالم داعية إلى الله وحده لا داعياً إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَذْعُو إِلَى اللَّهِ كُلِّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٥هـ): (في الآية تنبية على الإخلاص؛ لأنَّ كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه) <sup>(٣)</sup>.

ومن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده وإفراده بالعبودية والإلهية... وطلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد أفحش من طلبها بالمال وأقبح وأشد فساداً وخطراً فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من

(١) أخلاق العلماء، ص (٣٤).

(٢) شرح حديث (ما ذكرناه جائعاً)، ص (٣٨).

(٣) كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد، ص (١٠١).

الدرجات العلي، والنعيم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه. ومن يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له، ويصرفون وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو به عليهم، فهذا موعده النار؛ لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان<sup>(١)</sup>.

فقد يدعى بعض طلاب العلم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم وإحسان ظنهم بهم وكثرة أتباعهم، والتعاظم بذلك على الناس.. فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة، منهم أئوب السختياني وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم من العلماء الربانيين<sup>(٣)</sup>.

وقال أئوب السختياني (ت: ١٣١هـ): (ما صدق عبد قط، فأحب الشهرة)<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح حديث (ما ذياب جائعاً)، ص (٤٥) وما بعدها.

(٢) فضل علم السلف، ص (٤١-٤٢).

(٣) شرح حديث (ما ذياب جائعاً)، ص (٦٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/٢٠).

وقال أيضاً: (ذكرت، ولا أحب أن أذكر)<sup>(١)</sup>.

وقال شعبة (ت: ١٦٠هـ): (ربما ذهبت مع أيوب لحاجة، فلا يدعني أمشي معه، وينخرج من هاهنا، وهاهنا لكي لا يفطن له)<sup>(٢)</sup>.

وقال سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ): (السلامة في أن لا تحب أن تعرف)<sup>(٣)</sup>.

وقال عبيد الله بن الحسن العنبري (ت: ١٦٨هـ): (لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلى من أن أكون رأساً في الباطل)<sup>(٤)</sup>.

قال أبو هلال الراسبي (ت: ١٦٥هـ): (ما كان بالبصرة أعلم من حميد بن هلال ما أستثنى الحسن ولا ابن سيرين غير أن الشهرة أضررت به)<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ١٤١هـ): (طوبى لمن أخل الله ذكره)<sup>(٦)</sup>.

وقال أيضاً: (أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بليت بالشهرة...)<sup>(٧)</sup>.

وحب الظهور والبحث عن الشهرة واتخاذ العلم والدين سبلاً لذلك من علامات ضعف الإيمان. وإيثار الخمول والتواضع من علامات التقوى

(١) سير أعلام النبلاء (٦/٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/٢٢).

(٣) السير (٧/٢٥٨).

(٤) تاريخ مدينة السلام (٩/١٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٥/٣١٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (١١/٢٠٧).

(٧) سير أعلام النبلاء (١١/٢١٦).

والفلاح.

قال إبراهيم بن أدهم (ت: ١٦٢هـ): (من طلب العلم لله، كان الخمول أحب إليه من التطاول)<sup>(١)</sup>.

قال علي بن إبراهيم الحصري الوااعظ (ت: ٣٧١هـ): (ووجدت من يدعوا إنما يدعوا إلى الله بظاهره، ويدعو إلى نفسه بباطنه، لأنه يحب أن يُعظّم، وأن يُشار إليه، ويُعرف موضعه، ويُشَنِّى عليه الثناء الحسن، وإذا أحب مجنة الخلق له وتعظيمهم إياه فقد دعاهم إلى نفسه، لا إلى ربه)<sup>(٢)</sup>.

ومن صور حب الشرف والمكانة الرد على العلماء لغير غرض بيان الحق وإيضاحه.

إذ ما زال العلماء قدّيماً وحديثاً يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم، وتتبرهن له المشكلات، ولكن في زماننا قد يعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه الظهور والتکثر<sup>(٣)</sup>.

وحب الظهور يدفع صاحبه إلى الظهور بمظهر العلماء أو الصلحاء وتقع مقص هيئاتهم وهو ليس منهم.

والأسوأ من هذا أن ينفرد بقول أو يختار رأياً لم يسبق إليه ليصرف وجوه الناس إليه. قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (كل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم، فإنه يكون خطأ، كما قال الإمام أحمد: إياك أن تتكلم في

(١) السير (٧/٣٩٤).

(٢) المتظم (١٤/٢٨٦).

(٣) السير (١٢/٥٠٠).

مسألة ليس لك فيها إمام<sup>(١)</sup>.

ومن طلب الشرف والسؤدد مداهنة المنافقين ومساندة المنحرفين حتى ينال رضاهم ويدرك دنياهم.

ومداهنة المنافقين والكافرين سبيل هدم الدين وقلب الموازين وتغيير مراسيم الشريعة. وهذا غرضهم ومرامهم. قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْلَاهُنَّ فَيَنْهَا﴾ [القلم: ٩]. والمعنى: وَدَوا لَوْلَاهُنَّ فَيَلْهُنَّ لَكَ<sup>(٢)</sup>.

وفي القديم والحديث مالاً المخدولون المنافقين فارتدوا على دينهم بالعيب وعلى أهله بالذم مناوأةً للمؤمنين ومساندةً للمنافقين.

فالعلامة أبو حنيفة النعيم بن محمد بن منصور المغربي كان مالكيّاً فارتدى إلى مذهب الباطنية، ونبذ الدين وراء ظهره، وألف في المناقب والمثالب، ورد على أئمة الدين، وانسلخ من الإسلام، وصنف في الرد على أبي حنيفة في الفقه، وعلى مالك، والشافعي، فعين قاضياً للدولة العبيدية، فسحقاً له وبعداً<sup>(٣)</sup>.

ويحمل العبد على عمالء المنافقين واللحاقي بالمنحرفين النكارة بأهل الحق لأنّه يشعر أنّ لم يلق من المكانة وال منزلة عندهم ما يستحقه - في زعمه - فيعود عليهم ذمّاً وتنقيضاً.

وتأمل في حال المنحرفين من لحق بالمنافقين ستجد أنّهم ذهباً يبحثون عن الشهرة والظهور بعد الضمور والخمول، ويلتمسون التقدم والتصدر بعد

(١) الفتاوى (٢٩١ / ٢١).

(٢) تفسير القرطبي (١٧ / ٢٣٠).

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث (٣٥١-٣٨٠ هـ) ص (٣١٦). السير (١٦ / ١٥٠).

التآخر. وذلك أن أهل النفاق يملكون الإعلام ووسائل الظهور فيعيشون من يلهمهم ويظهرون من يداهفهم. وكل من أراد الظهور فما عليه إلا أن يقدم القرابين على صخور النفاق والمداهنة.

كان (يوسف) إماماً لأحد المساجد في جدة، و(ياسر) إماماً لمسجد في الرياض، و(تركي) يتردد على دروس المشايخ والعلماء، و(بدر) يستغل بالدعوة فاستهواهم الظهور فذهبوا يبحثون عنه فلم يكن أمامهم إلا التخلص عن السيرة الأولى والطريقة القديمة !!

ف(يوسف) يكتب في الشرق الأوسط، و(ياسر) في صحيفة عكاظ، و(تركي) يعمل في قناة العربية، و(بدر) مسؤولاً عن الملحق الثقافي في صحيفة الرياض.

ويجب أن يفهم هؤلاء وغيرهم من على شاكلتهم أن استكتابهم واستقطابهم لم يكن لكتفافتهم، فإن أهل الأهواء لا يبحثون عن الكفافرة ولا ينشدونها لأنهم ليسوا من أهلها.. وإنها شفت لهم مقالاتهم التي سودوها في التعرض لأهل العلم وأحكام الإسلام.. فهم كالنائحة المستأجرة أجرتها على قدر عويلها.. ومتى ما انقضت حاجتهم منهم لفظوهم لفظ النواة.. ألا ما أبأس القوم **﴿وَمَنْ يُؤْمِنَ اللَّهُ فَمَا أَلَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾** [الحج: ١٨].

ومن صور حب الشرف والسؤدد تطلب الاتباع بمواجهة السلطة ومنازلة السلطان.

وليعلم هنا أن القبول والمكانة عند الخلق لا تباع ولا تشتري وإلا لاشتراها الملوك والأغنياء، وإنما هي منحة يمنحها الله للأولياء من عباده، وسبيلها الصدق

مع الله والإقبال عليه والزهد فيما أيدي الناس.

قال الإمام الرباني محمد بن واسع (ت: ١٢٣هـ) لرجل طلب وصيته: (أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا). وقال أيضاً: (إذا أقبل العبد بقلبه على الله، أقبل الله بقلوب العباد عليه)<sup>(١)</sup>.

والباحثون عن الشهرة واللاهثون خلف الظهور يتبعون سرابةً بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عند فوفاه حسابه والله سريع الحساب، وحيثئذ يندمون ولات ساعة مندم.

وسيذكر التاريخ ما سيؤول إليه أمر هؤلاء من الانزواء والخمول، والضياع والضمور، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومصداق هذا قول ابن عمر رض: (إنما أهلك الناس العجب وطلب الرئاسة، وهذا يضمحل عن قليل)<sup>(٢)</sup>.

(١) السير (٦/١٢٠/١٢١).

(٢) ترتيب المدارك (١/٣٥).

## ثاني عشر الدخول على السلاطين

يمجوز للعالم الدخول على السلطان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر أو واعظاً ومذكراً إن كان قادراً على ذلك مع أمن الفتنة من الاغترار بدنياهم، أو تحسين أفعالهم المخالفة للشرع، أو السكوت عن منكريه. أما الدخول لغير هذا المقصود فلم يكن من منهج السلف ولا عملهم. بل عظم تحذيرهم واشتد نكيرهم على من فعل ذلك؛ لأن الدخول على السلاطين من أسباب الافتتان، قال صلى الله عليه وسلم: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن»<sup>(١)</sup>.

قال حذيفة بن اليمان ﷺ: (أبوابهم مواقف الفتنة)<sup>(٢)</sup>.

وعن سلمة بن نبسط الأشجعي قال: قلنا لأبي رضي الله عنه: ألا تأتهم؟  
قال: (إني أخافُ أن أشهد منهم مشهداً يدخلني النار)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٣٣٦٢)، وأبوداود (٢٨٥٩)، والترمذى (٢٢٥٦)، والنسائي (٤٣٠٩)

وقال الترمذى: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/٢٣٨) وغيره.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/٣٠).

ومن المعلوم أن علماء أهل السنة، كمالك وأحمد وغيرهما، من أبعد الناس عن مداهنة الملوك أو مقاربتهم<sup>(١)</sup>.

قال ميمون بن مهران (ت: ١١٧هـ): (ثلاث لا تبلون بها نفسك: لا تدخل على السلطان، وإن قلت آمره بطاعة الله)<sup>(٢)</sup>.

وقال سفيان (١٦١هـ): (إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تخدع، ويقال لك: ترد مظلمة، وتدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس، اتخاذ القراء سلما)<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن القاسم - عالم الديار المصرية ومفتها - (ت: ١٩١هـ): (ليس في قرب الولاة ولا في الدنيا منهم خير)<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضا: (ما أعلم في فلان عيباً إلا دخوله على الحكام، ألا اشتغل بنفسه)<sup>(٥)</sup>.

وقال بشر الحافي (ت: ٢٢٧هـ): (ما أقبح أن يقال: أين فلان العالم؟ فيقال: بباب الأمير)<sup>(٦)</sup>.

وقال سحنون (ت: ٢٤٠هـ): (ما أقبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد

(١) منهاج السنة (٤/١٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٧٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/٥٨٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/١٢١).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/١٢٢).

(٦) منهاج القاصدين (١/٤٠٥).

فيه، فيسأل عنه، فيقال: هو عند الأمير، هو عند الوزير، هو عند القاضي، فإن هذا وشبيهه شر من علماءبني إسرائيل<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) رحمه الله لا يأني الخلفاء ولا الولاة والأمراء ويمتنع من الكتابة إليهم مطلقاً، وينهى أصحابه عن ذلك مطلقاً<sup>(٢)</sup>.

وقال مهنا: (سألت أحمد (ت: ٢٤١هـ) عن إبراهيم الهروي؟ فقال: رجل وسخ. فقلت: ما قولك إنه وسخ؟ قال: من يتبع الولاة والقضاة فهو وسخ)<sup>(٣)</sup>.

وهذا هو دأب علماء الآخرة فإن من صفات علماء الآخرة: أن يكونوا منتقضين عن أهل الدنيا كالسلاطين، محترزين من مخالطتهم، فإن الدنيا حلوة خضرة، وزمامها بأيدي السلاطين، والمخالط لهم بعيد عن السلامة من وجوهه؛ منها: أنه يحب عليه الإنكار، وقد يقدر عليه فلا يفعله، فيصير مداهنا، وربما حسّن أحواهم القبيحة طمعاً في أموالهم الكدرة، وأقل الأحوال أن يرى نعيمهم فيزدرى نعمة الله عليه<sup>(٤)</sup>.

وتورّع قوم عن الرواية عن المحدث طراد بن محمد بن علي بن أبي تمام (ت: ٤٩١هـ) لصحبته للسلاطين<sup>(٥)</sup>.

(١) ترتيب المدارك (١/٣٥٧).

(٢) الآداب الشرعية (٤/١٢٨).

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٤/١٢٩).

(٤) منهاج القاصدين، لابن الجوزي (١/٧٠).

(٥) المتنظم، لابن الجوزي (١٧/٤٤).

وكان شيخ المالكية خلف بن أبي القاسم المغربي المالكي (ت: ٤٣٠ هـ) مبغضاً عند أصحابه لصحبته سلاطين القبروان<sup>(١)</sup>.

وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم<sup>(٢)</sup>.

وفي القديم والحديث دخل أناس على السلاطين فلم يأمرهم بالمعروف ولم ينوههم عن المنكر ولم يُصدِّقوهم النصيحة، وهؤلاء مع مقت الله لهم وغضبه عليهم أدركهم مقت الناس وبغضهم.

وقد كان السلف يبعدون عن الأماء لما يظهر من جورهم فتطلبهم ولادة الأمور حاجتهم إليهم في الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للأماء وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم<sup>(٣)</sup>.

والدخول على السلاطين هو الباب الذي دخل منه علماء الدنيا لنيل الشرف والرياسات فيها<sup>(٤)</sup>.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ): (فتأمل هذه الكلمة الجامعة، وهي قوله: «الدين النصيحة»، فمن لم ينصح الله وللأئمة وللعمامة، كان ناقص الدين، وأنت لو دعيت: يا ناقص الدين، لغضبت. فقل لي: متى نصحت هؤلاء؟ كلا

(١) ترتيب المدارك (٢/١٧).

(٢) تلبيس إيليس، ص (١١٨).

(٣) تلبيس إيليس، ص (١١٩).

(٤) شرح حديث (ماذبان جائعان)، ابن رجب، ص (٦١).

والله، بل ليتك تسكت ولا تنطق، أو لا تحسن لإمامك الباطل، وتجره على الظلم وتحشه.

فمن أجل ذلك سقطت من عينه، ومن أعين المؤمنين، فبالله قل لي: متى يفلح من كان يسره ما يضره؟ ومتى يفلح من لم يراقب مولاه؟ ومتى يفلح من دنا رحيله؟ وانقرض جيله، وساء فعله وقيله؟ فما شاء الله كان، وما نرجو صلاح أهل الزمان، لكن لاندع الدعاء، لعل أن يلطف بنا، وأن يصلحنا<sup>(١)</sup>.

وجرى الأمر في القديم والحديث أن بعض المخدولين ينظر ما ترى السلاطين في ظهره ويدعوا إليه وإن كان بخلاف الحق أو ما يعتقد.

وأخذ على ذلك مثلاً فإنه لما جاءت الدولة النظامية في القرن الخامس التي تبنت المذهب الشافعي في الفروع والأشعرى في العقيدة فعظم فيها شأن الأشاعرة قام كثير من أصحاب المذهب بالنفاق، فتوثقوا بالمذهب الأشعرى والشافعى طمعاً في العز والجراءات<sup>(٢)</sup>.

وشهد التاريخ أن المقربين من السلاطين والولاة تحصل لهم نكبات فيقصون بعد أن كانوا يدنون ويعدون بعد أن كانوا يقربون فيتحول الواحد منهم إلى شريد طريد لا يعبأ به ولا يهتم له.

وكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعزلي (ت: ٢٤٠هـ) مقرباً من الخلفاء وهو الذي شَغَّب على الإمام أحمد، وأفتي بقتله، فمرض بالفالج قبل موته بأربع سنين، وغضب عليه الخليفة (المتوكل) وأهله فنكبَ وصودرت أمواله وأموال

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٥٠٠).

(٢) المستظم، لابن الجوزي (١٧/٢٥).

أهلة والحمد لله رب العالمين<sup>(١)</sup>.

وكان الشيخ الوعاظ علي بن الحسين الغزنوی (ت: ٥٥١هـ) ذا جاه عظيم عند السلطان فلما مات السلطان حُبِّس الغزنوی وُمُنِعَ من الوعظ.. وما زال يُلقى الذل بعد العز الوافي حتى قال: من الناس من الموت أحب إليه من الحياة وهو يعني نفسه<sup>(٢)</sup>.

وكان الفقيه الوعاظ زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقي الحنفي المعروف بابن نجية (ت: ٥٩٩هـ) ذا جاه وسُؤدد واتصال بالدولة، اقتني أموالاً عظيمة، وتنعم تنعم زائداً، حيث كان في داره عشرون جارية للفراش، وكان يعمل له من الأطعمة ما لا يعمل للملوك، أعطاه الخلفاء والملوك أموالاً جزيلة، ومع هذا مات فقيراً ولم يخلف كفناً فكفنه بعض أصحابه<sup>(٣)</sup>.

ومالاً القاضي أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت: ٦٣٣هـ) حكماً زمانه، اجتاز (إربل) فوجد ملكها مظفر الدين بن زين الدين يعتني بمالولد النبوى فعمل له كتاب (التنوير في مولد السراج المنير) وقرأه عليه فأجازه بألف دينار.

وخرج السلطان الكامل ملك مصر إلى (الشام) وخرج معه أبو الخطاب بن دحية فحضرت صلاة المغرب فقدم السلطان ابن دحية فصلى بهم المغرب

(١) مرآة الجنان (٢/٩٢).

(٢) المنظم، لابن الجوزي (١٨/١٠٨-١١٠)، البداية والنهاية (١٦/٣٧٨).

(٣) مرآة الزمان (٨/٥١٥).

وقصرها، فلما أَنْ فَرَغَ، قَالَ لَهُ شِيخُهُ مَعْهُمْ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْأَئمَّةِ يَجُوزُ قَصْرَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ ابْنُ دَحِيَّةَ: كَيْفَ لَا وَقَدْ أَخْبَرْنَا فَلَانَ عَنْ فَلَانَ.

وَسَرْدُ إِسْنَادِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَصَرَ الْمَغْرِبَ فِي السَّفَرِ.

وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ فَلَمَّا انْكَشَفَ لَهُ حَالُهُ أَخْذَ مِنْهُ دَارَ

الْحَدِيثُ الَّتِي وَلَاهُ مُشِيخَتُهَا وَأَهَانَهُ<sup>(١)</sup>.

وَخَدَمَ الْإِمَامَ الْكَبِيرَ صَاحِبَ النَّظَمِ الْفَائقِ جَمَالَ الدِّينِ يَحْيَى بْنَ عَيْسَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مَطْرُوحِ الصَّعِيدِيِّ (ت: ٦٤٩هـ) مَعَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ وَوَلِيِّ نَظَرِ الْخَزَانَةِ لَهُ لِمَا تَسْلَطَ عَلَيْهِ بِمَصْرَ، ثُمَّ وَزَرَ لَهُ بِدَمْشَقَ، ثُمَّ عَزَّلَهُ وَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

وَتَغَيَّرَ السُّلْطَانُ عَلَى الشِّيخِ خَضْرُ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْمَهْرَانِيِّ الْعَدُوِّيِّ (ت: ٦٧٦هـ) بَعْدَ شَدَّةِ خُضُوعِهِ عَلَيْهِ وَانْقِيَادِهِ إِلَيْهِ، وَعَقِدَ لَهُ مَجْلِسًا، وَأَحْضَرَ لَهُ مِنْ خَافِقَهُ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ أَمْوَالًا فَظِيْعَةً، وَأَشَارُوا فِيهَا بِقَتْلِهِ ثُمَّ حَبَسُوهُ إِلَى أَنْ تَوْفِيَ<sup>(٣)</sup>.

وَصَاحِبُ الشِّيخِ الْفَقِيْهِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ عَثَمَانَ الْكُورَانِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت: ٨٧٠هـ) الْأَكَابِرُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْمَبَاشِرِينَ فَحَظِيَ عِنْدَهُمْ، وَبَعْدَ صِيَّتِهِ، وَرَتَبَتْ لَهُ الْمَرَبَّاتُ، وَصَارَ يُعَدُّ مِنَ الْأَعْيَانِ فِي الْقَاهِرَةِ... ثُمَّ وُسِّيَّ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَقُبِضَ عَلَيْهِ وَسُجِنَ وَضُرِبَ ثَمَانِينَ سُوْطًا وَنُفِيَ وَأُخْرَجَ مِنَ الْتَّدْرِيسِ بِالْمَدْرِسَةِ الْبَرْقُوْقِيَّةِ وَخَرَجَ بَعْدَ أَنْ بَاعَ أَثَاثَهُ وَأَخْرَجَتْ وَظَائِفَهُ وَمَرَبَّاتَهُ إِلَى دَمْشَقَ<sup>(٤)</sup>.

(١) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ (٢/٢١٤). الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ (١٧/٢٢٤).

(٢) سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٢٣/٢٧٣).

(٣) مَرَأَةُ الْجَنَانِ (٤/١٤١).

(٤) عَنْوَانُ الزَّمَانِ بِتَرَاجِمِ الشِّيُوخِ وَالْأَقْرَانِ (١١/٦١).

وهو لاء الذين يستعملون الدين للوصول إلى الدنيا هم سفلة الناس، ولذا يشتد مقت الناس لهم، قيل لعبد الله بن المبارك، من السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم<sup>(١)</sup>.

وأذكر لزاماً في هذا المقام شاهداً من زماننا، لما افتتحت جامعة (كاوست) وهي مختلطة بين الجنسين كيف تدافع المساكين إلى القول بإباحة الاختلاط، بل أعملاهم التدافع: طمعاً وتزلفاً.. وافتروا على الشريعة إذ قالوا: بأن مصطلح الاختلاط مصطلح حادث غير معروف في الفقه الإسلامي!! ألا ما أصبح الكذب.

ولئما حصل توسيع في عمل المرأة وتعليمها على نحو يخالف الشريعة.. تدافع هؤلاء يزينون الباطل ويحسنون المنكر ويفتحون الأبواب.. على أن الفقه والسياسة والعقل والحكمة تقضي بالتشدد إذا حصل من الناس تساهل في أمر من الأمور!!.

فأحدهم: يفتى في صفحة عكاظ الأولى بجواز ممارسة المرأة للرياضية، وآخر: يحيز تعين المرأة عضواً في هيئة كبار العلماء، وثالث: يقرر بأن لبس المرأة للثوب الواسع كافٍ ولا حاجة إلى العباءة، ورابع: على صفحة الرياض الأولى يحيز الرياضة في مدارس البنات.. وخامسهم: يرى أن تولي المرأة للمناصب القيادية أصبح ضرورة ملحة الآن في ظل الأوضاع الراهنة.

وهكذا في نهادج كثيرة...؟!

وهو لاء الذين طلبوا العلو لن يزدادوا إلا سفالا؛ لأن السلاطين وغيرهم يعلمون أنهم كذابون مداهنو، ومن طبيعة البشر أنهم يمقتون التزلف ويغضبون أهله.

وقد ذكر شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨هـ) أن علامات أهل البدعة والفرقة والنفاق أنهم يصنفون لأهل السيف والمال من الملوك والوزراء وغير ذلك، ويقتربون إليهم بالتصنيف فيما يوافقهم<sup>(١)</sup>.

فهم في انتظار تصرف الوالي لتبريره على ضوء الشرع المطهر حتى هزا بهم كبار الأجراء، وقالوا: فتيا بفرخة<sup>(٢)</sup>.

وإنك لتشفق على هؤلاء عندما تراهم يبحثون عن العلو ويطلبون المكانة عند أبواب السلاطين وعيارات الملوك.. وغاب عنهم أن أمر الطالب والمطلوب بيد علام الغيوب.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) في كلام يهز المشاعر ويجعل القلوب: (رياء المرائين صير مسجد الضرار مزيلة خربة) (لَا تَقْتُمْ فِيهِ أَبَدًا) [التوبه: ١٠٨] وإخلاص المخلصين رفع قدر التفت (رب أشعث أغير) .. قلب من ترائيه بيد من أعرضت عنه، يصرفه عنك إلى غيرك، فلا على ثواب المخلصين حصلت ولا إلى ما قصده بالرياء وصلت، وفات الأجر والمدح فلا هذا ولا هذا<sup>(٣)</sup>.

(١) الاستقامة (٤٣/١).

(٢) التعالم، بكر أبو زيد، ص (٣٩).

(٣) الفوائد، ص (٣٩٥).

## ثالث عشر

### الجدال والخصومة في الدين

نهى الله تعالى عن الجدل بغير علم، كقوله تعالى: ﴿ هَتَّأْنُمْ هَتُّلَّا وَ حَجَجْنُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمَّا تُحَاجَّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

ونهى عن الجدل في الحق بعد ظهوره، كقوله تعالى: ﴿ يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا نَبَّأْنَ ﴾ [الأنفال: ٦].

ونهى سبحانه عن الجدل بالباطل، فقال: ﴿ وَجَدَلُوا يَا الْبَطَلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [غافر: ٥].

ونهى عن الجدل في آياته، فقال سبحانه: ﴿ مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: ٤]<sup>(١)</sup>.

قال قوام السنة (ت: ٥٣٥هـ): (كيف يجترئ عاقل على المرأة والجداـل بعد قول الله عز وجل: ﴿ مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾<sup>(٢)</sup>).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤٧/١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٤٨٩/٢).

ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أتوا الجدل» ثم قرأ: {مَا حَسَرَ بُوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا} <sup>(١)</sup> [الزخرف: ٥٨].

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: أنهم يتقوّن الجدال في الدين والخصومات <sup>(٢)</sup> فيه.

قال ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ): (ومن السنة ترك الجدال والخصومات في الدين) <sup>(٣)</sup>.

والذموم شرعاً ما ذمه الله ورسوله، كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، والجدل في الحق بعدم اتّين.

فأما المجادلة الشرعية، كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام وأمر بها، في مثل قوله تعالى: {فَأَلَوْيَأَنْتُمْ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْنَتْرَتْجَدَلَنَا} [هود: ٣٢]. و قوله: {وَتِلْكَ حُجَّتْنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} [الأنعام: ٨٣].

وقوله: {أَتَمْ تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} [البقرة: ٢٥٨].

وقوله تعالى: {وَجَحَدُلَهُمْ بِإِلَيْتَهَا هِيَ أَحَسَنُ} [النحل: ١٢٥].

وأمثال ذلك فقد يكون واجباً أو مستحبّاً وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع <sup>(٤)</sup>.

وقد ذم السلف الجدال في الدين ورووا في ذلك أحاديث وهم لا يذمون ما

(١) أخرجه أ Ahmad (٢٢١٦٤)، والترمذى (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، الصابوني، ص (١١٣).

(٣) لغة الإعتقداد، ص (١٥٩).

(٤) درء التعارض (١٥٦/٧).

هو الصواب<sup>(١)</sup>.

قال عبدة بن أبي لبابة أحد الأئمة (ت: ١٢٧هـ): (إذا رأيت الرجل بخوجاً  
ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته)<sup>(٢)</sup>.

وقال الأوزاعي (ت: ١٥١هـ): (إذا أراد الله بقوم شرًّا فتح عليهم الجدل،  
ومنعهم العمل)<sup>(٣)</sup>.

وقال معروف الكرخي (ت: ٤٢٠هـ): (إذا أراد الله بعد خيراً فتح له  
باب العمل، وإذا أراد الله بعد شرًّا أغلق عليه باب العلم، وفتح عليه باب  
الجدل)<sup>(٤)</sup>.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): كان السلف يزجرون عن التعمق، ويندعون  
أهل الجدال<sup>(٥)</sup>.

وجميع رؤوس الفضلال كانوا أهل مراء وجدال، فالجهم بن صفوان كان ذا  
جدال<sup>(٦)</sup>، وهشام بن الحكم الراضي المشبه صاحب نظر وجدل<sup>(٧)</sup>، وهشام بن  
عمرو المعتزلي كان صاحب جدال<sup>(٨)</sup>.

(١) الحجة في بيان المحجة، قوام السنة (١٠١/١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٢٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/١٢١).

(٤) الحجة في بيان المحجة، قوام السنة (٢/٤٥٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/٣٣٤).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦/٢٦).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٣).

(٨) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٧).

قال أبو حامد الإسپراني الشافعی (ت: ٤٠٦هـ) لأحدهم: (لا تُعَلّقْ  
كثيراً مَا تسمع منا في مجالس الجدل، فإن الكلام يجري فيها على ختل الخصم  
ومغالطته ودفعه ومغالبته، فلنسنا نتكلّم لوجه الله خالصاً، ولو أردنا لكان خططنا  
إلى الصمت أسرع من تطاولنا في الكلام، وإن كنا في كثير من هذا نبوء بغضب  
الله، فإننا نطمئن في سعة رحمة الله).<sup>(١)</sup>

ولذا فلم يكن الجدال والمناقشة والخلاف والمماحلاة والأهواء المختلفة  
والآراء المخترعة من شرائع النباء ولا من أخلاق العقلاة ولا من مذاهب أهل  
المرءة ولا ما حكى عن صالح هذه الأمة من السلف ولا من شيمة المرضيin  
من الخلف وإنما هو هو يتعلم ودرأية يتفكه بها ولذة يستراح إليها بمحق الأديان،  
وضراؤة على التغلب واستمتاع بظهور حجة المخاصم، وقصد إلى قهر المناظر  
والمغالطة في القياس وبهت في المقاولة وتکذيب الآثار وتسفیه لأحلام الأبرار،  
ومکابرة لنص التنزيل، وتهاون بما قاله الرسول ونقض لعدة الاجماع وتشییت  
الألفة وتفرق لأهل الملة وشكوك تدخل على الأمة وضراؤة السلطة وتوجییر  
القلوب وتولید الشحنة في النفوس<sup>(٢)</sup>.

وما أنکره أئمّة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام  
أيضاً ولم يكن ذلك طریقة أئمّة الإسلام، وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه  
فقهاء العراقين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية وصنفوا كتب الخلاف  
ووسعوا البحث والجدال فيها، وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك

(١) طبقات السبکي (٤/٦٢).

(٢) الإیانة (٥٣١/٢).

علمهم حتى شغلاهم ذلك عن العلم النافع، وقد أنكر ذلك السلف<sup>(١)</sup>.

وما سكت من سكت من كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلاً ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية الله، وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حباً للكلام وقلة ورع، كما قال الحسن وقد سمع قوماً يتجادلون: هؤلاء قوم ملوا العبادة وخفّ عليهم القول وقلّ ورعهم فتكلموا.

وقد فتن كثير من المتأخرین بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجده وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم من ليس كذلك وهذا جهل محسن<sup>(٢)</sup>.

ومن المراء ما يجري في المتدييات من المطارحات والمناقشات للتغلب على الخصم وإظهار الحجة من غير قصد الحق وبيانه، ومن ضلل في زماننا عرفوا بكثرة المراء والجدال على هذا الوجه.

(١) فضل علم السلف على الخلف، ص (٢٠).

(٢) فضل علم السلف على الخلف، ص (٢٣-٢٤).

## رابع عشر

# الغرور والإعجاب بالنفس والاعتداد بالذات

لما حاز هؤلاء الضالون شيئاً من العلوم، وأدرکوا قدرأً من الفهوم، اغتروا بما عندهم من العلم، فتجرؤوا على الخوض في المغيبات، ولم يقفوا عند حدود ما أنزل الله على رسوله فضلوا.

وقد حکى الله تعالى عن أسلافهم من الضلال ما يبين هذا ويوضحه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ﴾ [غافر: ٨٣]. قال ابن سعدي: (﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾) من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين للهدى من الضلال، والحق من الباطل (﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾) المنافقون لدين الرسل. ومن المعلوم أن فرجهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقاً، وهذا عام لجميع العلوم التي نوّقش بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي ردت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلة اليقينية أدلة لفظية لا تفيده شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها.

والمناقضة فالله المستعان).

والعجبُ من أسباب الهالك في الدنيا والآخرة، قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه..». الحديث<sup>(١)</sup>.

قال بلال بن سعد (ت: ١١٠هـ): (إذا رأيت الرجل بجوجاً مهارياً يعجب برأيه فقد تمت خسارته)<sup>(٢)</sup>.

وقال حجاج بن أرطأة العلامة مفتى الكوفة وكان فيه تيه وكبر (ت: ١٤٥هـ): (أهلkenي حب الشرف)<sup>(٣)</sup>.

وقال إبراهيم الخواص (ت: ٢٨٤هـ): (ما كانت زندقة ولا كفر ولا بدعة ولا جرأة في الدين، إلا من قبل الكلام والجدال والمراء والعجب..)<sup>(٤)</sup>.

وقيل لأحدهم: ما البلاء الذي لا يرحم عليه صاحبه؟ قال: العجب<sup>(٥)</sup>.

وحدثَ النبي ﷺ من زمان يعجب فيه كل صاحب رأي برأيه فقال: «إذا رأيت شحًّا مطاعاً، وهوئ متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه

(١) قال المتنري: (رواه البزار والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم منها مقال، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى). الترغيب والترهيب (١٦٢/١).

(٢) الإبانة (٥١١/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦٩/٧).

(٤) أحاديث في ذم الكلام، أبو الفضل المقرئ (٤٠٠/٤).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٥٦٧/١).

فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام<sup>(١)</sup>.

والإعجاب بالنفس يظهر المعايب ويعطي المحسن ويبيح على مقت  
الخلق وتجاهيفهم، ولهذا قالوا: (العجب يهدم المحسن)<sup>(٢)</sup>. وهو علامة على الجهل  
وضعف العقل، قال أبو الدرداء: (علامة الجهل ثلاثة: العجب، وكثرة المنطق فيها  
لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه)<sup>(٣)</sup>. وقال غيره: (إعجاب المرء بنفسه دليل  
على ضعف عقله)<sup>(٤)</sup>.

والإعجاب بالنفس والاعتداد بالرأي تجده واضحاً عند كثير من انحرف  
وحاد عن الجادة.

ففي برنامج بثته قناة العربية في شهر رمضان من عام (١٤٣١هـ) بعنوان:  
(وجوه إسلامية) استضافت فيه وجهاً إسلامياً ظهر إعجابه بنفسه وغروره بها  
بمدحه وإطرائه لنفسه وعما قاله أنه في بداية الطلب درس على شيخ يمني تبنا  
بنجابتته فقال: إن هذا الشاب سيكون له شأن في المستقبل !!

وفي شهر شعبان من سنة (١٤٣٢هـ) استضافت القناة الثقافية شخصاً  
تحدث عن جهوده في مواجهة الرأي الواحد السائد في المملكة، وذلك أنه كان  
يقرأ في صلاته بغير قراءة حفص عن عاصم فلما استنكر الناس، طلب منه سماحة  
الشيخ عبدالعزيز بن باز الكف عن القراءة بذلك، لكنه رفض هذا ليواجه

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذى (٣٠٥٨).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧٠).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧٠).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧١).

## مشكلة الرأي الواحد !!

وفي مقابلة معه في صحيفة (الحياة) ذكر أنه جمع بين جمال الصوت وحسن التجويد، وأن أحد أئمة الحرم عليه ملاحظات كثيرة في التجويد. والآخر يمكن أن يكون أفضل مما هو عليه الآن بكثير. ولذا عليهما تطوير نفسيهما من حيث التلاوة والوقف والابتداء، وذكر أيضاً أن الحرم يضم خامات صوتية مميزة، لكن قراء لا، لأنك إذا جئت للفن التجويدي لا يوجد تجويد، ونخارج الحروف فيها الكثير من الأخطاء، وأشار لو يحضر لأنئمة الحرم شخصيات من كبار القراء في العالم للرفع من مستوى أدائهم !!!.

وهذا الكلام مع خروجه عن دائرة المروءة فيه اعتداد بالنفس وثناء عليها مع الحط من شأن الآخرين.

وما لا حظته أن أحدهم يلقي دروساً في التفسير ودروسًا في الفقه في قناة إقرأ وغيرها وهو متخصص في اللغة العربية، وكثيراً ما يستخدم عبارات: أرجح كذا، أميل إلى كذا، يظهر لي كذا... في الموازنة بين أقوال المفسرين والفقهاء. وهذه جرأة لا تنبغي.

وانظر إلى كتابات حسن المالكي ونوفال القديمي ومحمد المحمود ومنصور المجلة وياسر العمرو ومنصور النقيدان وعبدالله بن بجاد وغيرهم من المتعالين تجد سمة الإعجاب والغرور والاعتداد بالنفس واضحة في كتاباتهم.

وهو لاء المعجبون بأنفسهم المغزرون بذواتهم يأتهم الأمر على خلاف ما يؤملون، فيحال بينهم وبين ما يشتهون: من الرغبة في التصدر والتقدم والذكر.

قال كعب: (إنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفلاً ونقصاً) <sup>(١)</sup>.

وما كان التعليم والتحذلقي جديداً، بل ضاق به الأئمة، واستاء منه الأوائل، قال الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ): (رأيت خلقاً من أهل هذا الزمان يتسبون إلى الحديث، ويعدون أنفسهم من أهله، المخصوصين بسماعه ونقله، وهم أبعد الناس مما يدعون، وأقلهم معرفة بما إليه يتسبون،... وهم مع قلة كتبهم له وعدم معرفتهم به، أعظم الناس كبراً، وأشد الخلق تيّها وعُجباً، لا يراعون لشيخ حرمة، ولا يوجبون لطالب ذمة..) <sup>(٢)</sup>.

وهو لاء انتما إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزري سير أو هموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقررون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيئاً يقتدي به في العلم، فصاروا همجاً رعاعاً، غاية المدرس منهم أن يحصل كتاباً مثمنة يخزّنها وينظر فيها يوماً، فيصحف ما يورده ولا يقرره <sup>(٣)</sup>.

ودخل الشيطان على هؤلاء المعجّين بأنفسهم من باب التسخّط على القضاء والقدر، فبعضهم ذكي أو منطلق في لسانه أو قلمه ولديه قدرة ومكنة في علوم و المعارف، فيرى بليداً أو غبياً أو أحمقارياً كأنه من أقرانه فحاز مناصب وبلغ مراتب وهو لم ينل من ذلك شيئاً فيتسخّط فيحرم التوفيق ويصرف عن الهدى لما كان في قلبه من تسخّط على قضاء الله وقدره، واعتراض على علمه وحكمته.

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٦٨).

(٢) الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع (١/٧٥).

(٣) السير (٧/١٥٣).

ويظهر هذا في آخر الزمان الذي من علاماته تصدر السفلة وتقدم الرعاع، قال ﷺ: [لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكر ابن لكر]<sup>(١)</sup>. اللكر: اللئيم الأحمق.

وعلامة الغرور والإعجاب بالنفس النيل من العلماء ولمن الكبار، وهذا شأن المنحرفين في القديم كما هو شأنهم في الحديث.

ففي القديم كانوا يسمون أهل السنة حشوّية ظاهريّة مشبّهة<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث يسمونهم جامدين حرفين نصيين تقليديين.

قال يحيى بن معين (ت: ٢٣٣هـ): (إذا رأيت الرجل يتكلّم في حماد بن سلمة وعكرمة مولى ابن عباس فاتّهمه على الإسلام)<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ): (إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتّهمه على الإسلام، فإنه كان شديداً على المبتدعة)<sup>(٤)</sup>.

وقال الصابوني (ت: ٤٥٥هـ): (وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلامتهم شدة معادتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم...)<sup>(٥)</sup>.

فالذين يعيّبون أهل الحديث ويُعدّلون عن مذهبهم جهله زنادقة منافقون

(١) أخرجه الترمذى (٢٠٩)، وأحمد (٢٣٣٠٣).

(٢) عن هذه المصطلحات، ينظر: منهاج السنة (٢٠٥/٢).

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة (٣/١٥).

(٤) السير (٧/٤٥٠).

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص (١١٧).

بلا ريب، ولهذا لما بلغ الإمام أحمد عن (ابن أبي قتيلة) أنه ذُكِرَ عنده أهل الحديث بمكة، فقال: قوم سوء. فقام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه، ويقول: زنديق، زنديق، زنديق. ودخل بيته، فإنه عرف مغزاه.

وعيب المنافقين للعلماء بما جاء به الرسول قديم، من زمن المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ .<sup>(١)</sup>

فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق (وَيَأْكُلُ اللَّهُ إِلَّا مَا يُتَمَّنَ نُورًا،) [التوبه: ٣٢]، ويُبْطِلُون الناس عن اتباع أهل الشريعة، ويدُمُّونهم، ويزعمون أنهم الأرجاس المكبوت على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا، وذم المكبوت عليها<sup>(٢)</sup>.

والأسوأ في حال هؤلاء المتعلمين أن المنافقين اخذوهم أبواًقاً للنيل من علماء السنة وتحقيرهم.

فكتب أحدهم مقالاً بعنوان: (سنصدع بالحق) قرر فيه أن علماءنا الكبار يقفون أمام الاصلاح الديني بتحريم الاختلاط، والقول بسد الذرائع!!<sup>(٣)</sup>.

ولما أصدر الشيخ (عبدالرحمن البراك) فتوى بشأن الاختلاط، ذكر (منصور المحلة) في إحدى الصحف أن الشيخ غلط غلطة كبيرة، وأبعد النجعة، ولذا لم يعتد به علماء عصره كفقيه، وإن كان المقربون منه يبالغون في الدفاع عنه لشهرته بالغيرة وتدينه وزهده، لكن ليس لعياريته ودقته في العلوم العقدية!!

(١) مجموع الفتاوى (٤/٩٦).

(٢) الاعتصام (١/٢٠٨-٢١٠).

(٣) منشور على موقع الإسلام اليوم وغيره من الواقع والصحف الإلكترونية.

ولما أنكر الشيخ (سعد الشري) الاختلاط في جامعة (كاوست) كتب (ياسر العمرو) مقالاً في صحيفة عكاظ في لز الشيخ والحط من شأنه واصفاً إياه بقصور النظر والشاغبة!!<sup>(١)</sup>.

وشارك (محمد الجذلاني) في برنامج: (ياهلا) على قناة: (روتانا خليجية) في برنامج مشبوه وقناة منحرفة ليتنقص أحد علماء أهل السنة (صالح اللحيدان) إثر إياضه بشأن تعيين المرأة في مجلس الشورى فيتهم نيته ويستعدى الولاية عليه<sup>(٢)</sup>.  
وسوَّد أحدهم كتاباً في ثلاثة صفحات جمع فيه فتاوى أهل العلم: سخرية واستهزاءً وعياءً وتنقصاً.

ولم يقف أهل الأهواء عند حد الحط على العلماء وتنقصهم، بل وصلوا إلى مقام الصحابة رضي الله عنهم، فقد كتب السباب (محمد محمود) مقالاً في صحيفة الرياض بعنوان: (الدراما التاريخية.. التاريخ مزيقاً) تعرَّض فيه للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ووصفه بأنه أناسٍ، وطاغية، ومستبد، و مجرم كبير...<sup>(٣)</sup>.

وهذا السباب تعرض لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالذم والتنقص فكان مما قاله في مقال له بعنوان: (التخلف والتطرف... حقيقة العلاقة وبؤس الأتباع): (إن مرجع التقليدين الكبير، الذي يمتحون منه علوم الجهل أو

(١) مقال بعنوان: (سعد الشري بين التشمير والاشتمال). صحيفة عكاظ، العدد (٣٠٢٨)، التاريخ (١٢/١٠/١٤٣٠ - ١٠/١٠/٢٠٠٩ م).

(٢) تجده على موقع (اليوتوب).

(٣) صحيفة الرياض، العدد (١٥٧٦٠)، التاريخ (١٨/٩/١٤٣٢ - ١٨/٨/٢٠١١ م).

الجهل المحسوب على، ذلك المرجع الرمز الذي عاش أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن، والذي لم تكن قدراته تتيح له أكثر من (تعقيل الجهل)، أي تقديم الجهل ورؤى التخلف بوصفها على، بل بوصفها وحدتها العلم الصحيح، يمكن عده نموذجاً للعلاقة العضوية بين التخلف والتطرف، هم ينفون عنه كلتا الصفتين، لكنك وتأمل تراثه وتأمل ما نتج عن هذا التراث من وقائع فكرية وواقع عينية، تدرك أنه كان ولا يزال أكبر مصدر للتخلف والتعصب والتطرف بلا منازع...<sup>(١)</sup>.

وهذا الكلام لا يصدر من نفس سوية، بل نفسٍ معقدةٍ مريضة ملئت بالحقد والغينط على علماء السلف ومنهجهم نعوذ بالله من تلك الحال.

ومسكين آخر يدعى: (رائد السمهوري) جمع بين الجهل والغرور كتب كتاباً في خمساءة صفحة في نقد الخطاب السلفي.

وكلما كان العالم أعظم تأثيراً وأشدّ على المبتدعة زاد حنقهم عليه وسلقوه بألسنة حداد.

فتعرض المبتدع الخبيث: حسن المالكي لشيخ الإسلام ابن تيمية في مداخلة له على قناة (الكونثرا) الرافضية ووصفه بالكذاب وأنه لا يكاد يصدق في خمسة أسطر يكتبه<sup>(٢)</sup>.

وكتب كتابه: (داعية وليس نبيا) يحط فيه من شأن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٣٣)، التاريخ (٥/٧/٢٠١٠-١٧/٧/١٤٣١هـ).

(٢) على موقع اليوتيوب بعنوان: (اتصال الشيخ حسن المالكي على السيد كمال الحيدري).

وهذا الخبيث عنده ما عند الرافضة من الحقد والكذب، والتضليل والتلبيس.

ولا يعجب المرء من جهالات هذا الحاقد وتضليلاته .. فإن شأنه شأن الرافضة من عاصروا الشيخ أو جاؤوا بعده من شرقو بدعوة التوحيد وغاظهم ظهورها. ولكن العجب من انتسب للسنة فتلقف تلك الدعایات الحاقدة وأخذ يرددوها من غير حجة ولا برهان.

ومن العجيب أن المحرفين اجتمعوا على التعرض لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ودعوته التجديدية خاصة في السنوات الأخيرة هذه في اجتماع مريب واتفاق مشبوه !!!

ومن صور تشویه الحق والتفیر عنه بعث مقالة قديمة واجه بها المبتدعة الدعوة التجديدية التي قامت في نجد، إذ رموا أهلها بالأجلاف والأعراب وعدوهم أهل دين جديد خرجو به عن إجماع الأمة .

فتها لا الرافضة والصوفية والمنافقون على إثارة تلك المقالة عبر منتديات ومقابلات، وسجالات ومطارحات.

فظهر ما يسمى بالإسلام النجدي يعنون به معتقد أهل السنة والجماعة في باب التوحيد والمعتقد في مغالطة للتاريخ والواقع إذ معتقد أهل السنة والجماعة متند إلى كل الأنصار والأقطار في كل الأزمان والأعصار، ولم يكن المعتقد الصحيح مختصاً ببلد دون بلد.

ثم ألحقوه بمسائل السلوك والعبادة، فقالوا: تغطية الوجه بدعة نجدية،

وجهلوا أو تجاهلوا النصوص من الكتاب والسنة في ذلك واتفاق العلماء على ذلك خاصة في الأزمان المتأخرة<sup>(١)</sup>.

ثم قالوا: تحريم الاختلاط بدعة نجدية والأمر ليس كذلك بل هو اتفاق من جميع العلماء في جميع الأعصار والله الحمد<sup>(٢)</sup>.

فبانت سوأتهم وانكشفت عورتهم.. جهل مطبق، وهو غالب، وفتنة أعمتهم حتى أصبحوا يتكلمون بما يجهلون.

وكشف ترويج أهل البدعة لتلك المقالة ما تضمره قلوبهم: رداً للحق، وطلبًا للزعامة، ورغبةً في الرياسة، وحسداً لأهل العلم وحملته.

وهنا لا بد من القول أن السلفية وأهل العلم الحاملين لها تعرضوا لمؤامرة قذرة تورط فيها الظلاميون والمنافقون بالوكالة عن الرافضة والصوفية وهؤلاء جميعاً مستفیدون من إسقاط أهل العلم، سيؤكّد ذلك هذه النتيجة أمران:

**الأمر الأول: الحملات المركزة** - التي تعبّر عن توجّه أو تنظيم - قام بها

(١) ينظر:

- رسالة الحجاب، محمد بن عثيمين، ص(٣).

- عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم، (١٩/٣).

- الاستيعاب فيما قيل في الحجاب، فريج البهلال، ص(٤٤).

- أسماء القائلين بوجوب ستر الوجه من غير النجدين، سليمان الخراشي، ص(٣).

(٢) ينظر:

- تحريم الاختلاط والرد على من أباحه، عبدالعزيز البداح، ص(٥).

- الاختلاط بين الجنسين في الميزان، خالد السبت، ص(١٤).

الظلاميون والمنافقون ضد أهل العلم في الكتب والصحف والمطارحات تلميحاً أو تصريحاً.

الثاني: صور التحالف والتهاؤُ بين الظلاميين والمنافقين والرافضة والصوفية التي تراها واضحة في: الزيارات المتبادلة، والبيانات المشتركة، ومداهنة كل طرف للآخر.

وهدف هؤلاء الوصول إلى السلطة!! وطريقها: إسقاط السلفية وأهل العلم حتى تكون من غير أصل وعارية عن الغطاء الشرعي، وكشفت عن هذا بدلائله في كتابي: (حركة التغريب في السعودية) و (حركة التشيع في الخليج العربي).

وتحالف الظلاميين والمنافقين والرافضة ضد السلفية وأهلها يدركه كل متابع للواقع، فقد طرح مقدم برنامج (عيشوا معنا) على: محمد سعيد طيب تساؤلاً عن تجمع التيار الليبرالي واليساري والإسلامي المستنير ضد الخصم: (التيار السلفي). فحار محمد طيب وراوغ في الإجابة!!<sup>(١)</sup>

(١) برنامج (عيشوا معنا) على قناة (إل بي سي) يوم الخميس الموافق (١٨ / ٥ / ١٤٣٠ هـ).

## خامس عشر

### مجالسة أهل البدع والتلقي عنهم

لقد كان السلف يحذرون من الاختلاف إلى أهل البدع ومجالستهم فضلاً عن التلقي والأخذ عنهم.

قال الصابوني (ت:٤٤٩هـ) في بيان معتقد أهل السنة: (ويتجنبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويعغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم..<sup>(١)</sup>).

وذلك أن البدعة هي المرتبة الثانية في الشر بعد الشرك بالله، وهي أحب إلى الشيطان من الفسوق والمعاصي، لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضرر متعد، وهي ذنب لا يتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعاة إلى خلاف ما جاؤوا به، وهي باب الكفر والشرك، فإذا نال الشيطان من العبد البدعة وجعله من أهلها بقي أيضاً نائبه وداعياً من دعاته<sup>(٢)</sup>.

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١١٣-١١٤).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧٩٩).

ومخالطة أهل البدع أهلاك كله وهو بمنزلة أكل السم فإن اتفق لأكله تریاق  
وإلا فأحسن الله فيه العزاء.

وما أكثر هذا الضرب في الناس - لا كثّرهم الله - وهم أهل البدع  
والضلال، والصادون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعون إلى  
خلافها، الذين يصدون عن سبيل الله يبغونها عوجا، فيجعلون البدعة سنة،  
والسنة بدعة، والمعروف منكرا، والمنكر معروفا<sup>(١)</sup>.

والمبتدعة ليسوا من أهل العلم الذين يتلقى عنهم، بل هم شر وبلاء يتجاذب  
الموفق عنهم. قال ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ): (أجمع أهل الفقه والآثار من جميع  
الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف ولا يعدون الجميع في طبقات الفقهاء،  
وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم)<sup>(٢)</sup>.

فأهل السنة والجماعة هم أهل العلم الشرعي، ومن سواهم من أهل البدع  
فأهل الجهل، ولو نسب إلى العلم فهي نسبة صورية لا حقيقة<sup>(٣)</sup>.

والعلم الحقيقي هو علم الوحيين وما تفرع عنهم، وما عداهما فلا أجر في  
تحصيله ولا نفع من ورائه، قال الأوزاعي (ت: ١٥٧هـ): (العلم ما جاء به  
 أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فما كان غير ذلك فليس بعلم)<sup>(٤)</sup>.

والتلقي عن أهل البدع من علامات الساعة وأشراطها، قال ~~البيهقي~~: «من

(١) بدائع الفوائد (٨٢٣/٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٩٤٢/٢).

(٣) فتح الباري، ابن حجر (٢٣٧/١٧).

(٤) السير (٧/١٢٠).

أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر<sup>(١)</sup>. قال ابن المبارك (ت: ١٨١هـ): الأصاغر: أهل البدع<sup>(٢)</sup>.

وكان السلف يقولون: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها.

ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الخوارج المبتدعين مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، ونهى عن الخروج على أئمة الظلم وأمر بالصبر عليهم<sup>(٣)</sup>.

قال ميمون بن مهران (ت: ١١٧هـ): (لا تصغين بسمعك إلى هوى، فإنك لا تدرى ما يعلق بقلبك منه)<sup>(٤)</sup>.

وقال يحيى بن أبي كثير (ت: ١٢٩هـ): (إذا رأيت المبتدع في طريق فخذ في غيره)<sup>(٥)</sup>.

وكان الحافظ عكرمة بن عمار (ت: ١٥٩هـ) يقول في مجلسه: (أخرج على رجل يرى القدر إلا قام فخرج عنى، فإني لا أحدثه)<sup>(٦)</sup>.

وقال سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ): (من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ابن هبعة وهو ضعيف. المجمع (١٣٥/١).

(٢) ذم الكلام وأهله، الهروي (٥/٧٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٨٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥، ٧٧).

(٥) الإبانة (٢/٤٧٤).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/١٣٨).

خرج من عصمة الله ووكل إلى نفسه<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ): (لَا يؤخذ العلم عن صاحب  
بدعة يدعو إلى هواه)<sup>(٢)</sup>.

وقال عبدالله بن المبارك (ت: ١٨١هـ): (إياك أن تجلس مع صاحب  
بدعة)<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨هـ): (أنه كان يكره الجلوس إلى ذي  
هوى أو رأي)<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ): (إياكم أن تكتبوا عن أحد من أصحاب  
الأهواء قليلاً كان أو كثيراً عليكم بأصحاب الآثار والسنن)<sup>(٥)</sup>.

وما انتشرت البدع وفشت الأهواء في الأمة إلا بعد أن أخذ أقوام عن  
المنحرفين والمتبدعة.

فخالط قوم من المعتزلة المؤمن فحسنوا له القول بخلق القرآن فقوي عزمه  
وامتحن الناس<sup>(٦)</sup>.

وكان ابن الرواندي (ت: ٢٩٨هـ) في أول أمره حسن السيرة، ثم لازم  
الرافضة والملحدة، فإذا عوتب قال: (إنما أريد أن أعرف أقوالهم ثم آل به الأمر

(١) الإبانة، ابن بطة (٤٦١/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/٦٧).

(٣) الإبانة (٤٦٣/٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/٢٠٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (١١/٢٣١).

(٦) السير (١١/٢٣٧).

إلى الكفر والإلحاد<sup>(١)</sup>.

وكان الحنابلة ينهون أبا الوفاء بن عقيل شيخ الحنابلة (ت: ٥١٣ هـ) عن مجالسة المعتزلة، ويرأبى حتى وقع في حبائدهم، وتجسر على تأويل النصوص<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ بن رجب (ت: ٧٩٥ هـ): (إن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردداته إلى ابن الوليد وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمة الله)<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ): (لم يكن يتردد عليه - يعني ابن عقيل على أبي الوليد - إلا ليحيط علماً بمذهبه، ولكن سرقة الهوى، وصارت فيه نزعة منه...)<sup>(٤)</sup>.

وكان ابن تومرت لقي بالشرق أئمة الأشعرية وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم وذهب إلى رأيهم في التأويل، وبعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، بصر المهدى أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد<sup>(٥)</sup>.

وتحول أبوبيكر عمر بن روح بن علي النهرواني (ت: ٤٤٠ هـ) من مذهب

(١) السير (١٤/٥٩).

(٢) السير (١٩/٤٤٧).

(٣) ذيل الطبقات (١/١٤٤).

(٤) البداية والنهاية (١٦/١٩).

(٥) مقدمة ابن خلدون، ص (١٥٦).

السلف إلى الاعتزال لما وقع في يده مصنف في الكلام لبعض المعتزلة فنظر فيه واستصوبه وانتقل عن اعتقاده إلى الاعتزال<sup>(١)</sup>.

وأسلم ابن مرزیه أبو الحسن الدیلیمی الفارسی (ت: ٤٢٨هـ) على يد الشريف الرضی الرافضی فكان رافضیاً. قال ابن برهان: (انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية، كنت مجوسيًا فصرت تسب الصحابة في شعرك)<sup>(٢)</sup>.

ونظر أبو حامد الغزالی (ت: ٥٠٥هـ) في كتاب أبي طالب المکی وکلام المتصوفه القدماء فاجتذبه ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقدم الحافظ أبوذر عبد بن أحمد بن محمد الھروی المالکی (ت: ٤٠٠هـ) بغداد فتکرر إلى أبي بکر بن الطیب الباقلاني الأشعري (ت: ٤٠٣هـ) وتمذهب بمذهبہ<sup>(٤)</sup>، وبشه بمكة وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس وكان علماء المغرب قبل ذلك لا يعرفون علم الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية<sup>(٥)</sup>.

واستتاب أهل السنة في بغداد أبا الوفا بن عقیل لمخالطته المبتداة فكتب كتاباً يعلن فيه توبته من ذلك جاء فيه: (إني أبراً إلى الله من مذاهب المبتداة والاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه وتعظيم أصحابه، والترجم على أسلافهم

(١) الأنساب، للسمعاني (١٧٠/١٧٠).

(٢) السیر (٤٧٢/١٧).

(٣) المتنظم، لابن الجوزي (١٢٦/١٧).

(٤) نفح الطیب (٢/٧٠).

(٥) درء التعارض (١/٢٧١). السیر (١٧/٥٥٧).

والتكثر بأخلاقهم... وأتوب إلى الله من مخالطة المبتدةعة والمعتزلة وغيرهم، ومكاثرهم، والترحم عليهم، والتعظيم لهم، فإن ذلك كله حرام ولا يحل لمسلم فعله...<sup>(١)</sup>.

وكان أبو الحسن علي بن محمد الصليحي (ت: ٤٧٣هـ) القائم باليمن، سنياً والده سني عمل قاضياً في اليمن، وكان الداعي الباطني: عامر بن عبد الله الرواحي يلاطفه ويركب إليه، ولم يزل كذلك حتى استهال قلبه، وأطلاعه على كتب قديمة، ثم مات عامر، وأوصى له بكتبه وعلومه، ورسخ في الذهن ما رسخ من كلامه، فلم يزل مشغلاً بتلك العلوم الضلالية الأوهامية حتى صار فقيها في مذهب الباطنية الإسماعيلية، وأخذ يدعو للمستنصر العبيدي صاحب مصر في الخفية<sup>(٢)</sup>.

واشتعل نصير الدين الطوسي (ت: ٦٧٢هـ) على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي المتشيع، فنزع فيه عروق كثيرة منه، حتى فسد اعتقاده<sup>(٣)</sup>.

وكان عبدالله البعلبكي (ت: ٦٨٨هـ) مستقيم الحال في أول أمره، ثم سافر إلى حصون الإسماعيلية واجتمع بجماعة من أكابرهم، فمال إلى مذهبهم، وأصبح يتكلم بکفریات<sup>(٤)</sup>.

وقرأ الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن أبي القاسم

(١) المتنظم، ١٦ / ١٤٣.

(٢) مرآة الجنان (٣ / ٨٠).

(٣) البداية والنهاية (١٧ / ٥١٥).

(٤) تاريخ الإسلام، حوادث وفيات (٦٨١-٦٩٠). ص (٣٢٩-٣٣٠).

المهذاني (ت: ٧٢١هـ) على أبي صالح الحلبي شيخ الشيعة فدخل في التشيع وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا حال السلف في النهي عنأخذ عن أهل البدع والتلقي عنهم فانظر إلى مقدار المخالفه عند النائشة في أزمنتنا المتأخرة إذ أصبحوا يختلفون إلى أهل البدع وياخذون عنهم وبعضهم أصبح ينشئ الأسفار لأجل ذلك. وبعض من زاغ في أزمنتنا المتأخرة إنما زاغ لما أخذ عن أهل البدع وتلقى عنهم فكانوا سبباً في هلاكه.

قال ابن بطة (ت: ٣٨٧هـ): (اعلموا إخوانى أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة، واضطربهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين: أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه).

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته وتنفس القلوب صحبته)<sup>(٢)</sup>.

فدرس أحدهم على بعض الأشاعرة من الشناطقة المقيمين في المدينة النبوية فآل الأمر به إلى أن تمشعر وأظهر العداوة للدعوة السلفية.

والعجب أن تأثر به عدد من الأغرار في التمشعر والإعراض عن منهج السلف، وإن المرء ليتسائل: هل هؤلاء يفهمون ما يقرؤون أم أن الدافع حب

(١) البداية والنهاية (١٨/٢١١-٢١٢).

(٢) الإبابة (١/٣٩٠).

المخالفة وداعي الشهوة الخفية؟! إذ المذهب الأشعري مضطرب متناقض في بعض أبواب الاعتقاد، ومناقض للعقل في مسائل أخرى مع غموض وتعقيد في غالب المسائل. أفيستبدل هذا بمنع السلف في وضوّه وسهوّلته وموافقته للعقل والفطرة؟! نعوذ بالله من عمى البصيرة<sup>(١)</sup>.

وتلقى آخر عن (عبد الفتاح أبو غدة) فصار يتصرّل رؤوس المبتدةة ويقيّم بدعة المولد ويدعو إليها.

ودرس داعية الغناء والموسيقى على (عبد الله بن بيه) كما ذكره عن نفسه في كتابه: (مذكرات شاب)<sup>(٢)</sup> و(محمد الددو) كما في ذكره في كتابه: (النشيد الإسلامي)<sup>(٣)</sup>.

وتلقى (سلمان العودة) عن يوسف القرضاوي، وشارك في الملتقى الأول لطلاب القرضاوي المنعقد في الدوحة في سنة (١٤٣١هـ).

وزرّع (خالص جلبي)<sup>(٤)</sup> في القصيم ثلاثين عاماً فخالطه بعض الأغراط فتأثروا وانحرفوا عن الجادة.

ولا يزال جملة من المبتدةة يجبرون بدعوتهم في الصحف أو في الفضائيات أو مواقع الإنترنـت وقد أُعطي بعضـهم قوـة في علوم اللغة أو المنطق أو الأصول

(١) أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع من كتبه إلى وقوع أهل الكلام في التناقض والمخالفة العقل الصريح. ينظر: درء التعارض (١٥٢-١٥٣).

(٢) ص (١١٢).

(٣) ص (١١).

(٤) ينظر: انحرافات خالص جلبي شيخ العصرانين في القصيم، ضمن (نظارات شرعية في فكر منحرف)، للخراشي.

فاغتر بهم بعض الطلبة فأصبحوا يجالسونهم ويخالطونهم فتأثروا بهم. والأخطر من هذا أن بعضهم يُدرّس في الجامعات فيمكنه نشر بدعته بطريق أقوى وتأثير أكبر بين الطلبة والأساتذة.

فقد درّس الشيخ (عبدالفتاح أبو غدة) وهو صوفي خلفي<sup>(١)</sup> ما يزيد على عشرين عاماً في الجامعة، وكان له أثره وتأثيره: دعوة للبدعة، وتشييضاً لها ولأهلها بأساليب خفية وملتوية.

ولا زال (عبدالله بن بيه) يدرّس في الجامعة وهو صوفي أشعري قرر بعض أشعريته وصوفيته في كتابه: (مشاهد من المقاصد)<sup>(٢)</sup>.

وينسحب الوصف على الدكتور (محمد ملا خاطر)، و(محمد حسن الددو)، و(محمد عوامة)<sup>(٣)</sup>، و(محمد الصابوني)<sup>(٤)</sup> وغيرهم.

وهناك عشرات الشواهد لمبتدعة جاؤوا إلى هذه البلاد ونعموا بخيراتها ودرّسوا في جامعتها ثم انقلبوا عليها فأصبحوا حرباً عليها: دعوة ودولة، ولن

(١) كشف الشيخ بكر أبو زيد مذهب عبدالفتاح أبو غدة في ثلاثة من كتبه:  
-براءة أهل السنة، ص(٣٤).

-تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء، ص(١١٥).  
-عقيدة السلف، ص(١١).

(٢) مشاهد من المقاصد، ص(١١٣-١٢٢).

(٣) انظر: تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال، للعلامة بكر أبو زيد، ص(١٧٨).

(٤) انظر: تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال، للعلامة بكر أبو زيد، ص(١٧٦).

أطيل عليك بذكر الشواهد ولكنني سأكتفي بمثال واحد، يدل على غيره.

فقد درس: أحمد عبدالرحيم السايع في جامعة أم القرى لسنوات، ثم عاد لبلده ليؤلف كتاباً في مهاجمة هذه البلاد ومنهجها<sup>(١)</sup>. ويشارك بشكل كبير في برامج قناة العالم الإيرانية تعرضاً لهذه البلاد وإساءةً إليها<sup>(٢)</sup>.

والثالثة: أقام مؤتمراً في القاهرة بعنوان: (خطر الوهابية على الإسلام والعالم) انتهى فيه إلى أنها أخطر على العالم الإسلامي من الكيان الصهيوني!!<sup>(٣)</sup> والمذكور له علاقة مشبوهة بإيران: دفاعاً عن التشيع ومساندةً لمشروعه<sup>(٤)</sup>. وإزاء هذا الغزو البدعي يعجب المرء كيف تفتح الجامعات والقنوات والصحف لهؤلاء المبتدعة!! في حين أنه لا يمكن لأي سلفي أن يخترق حصون المبتدعة وقلائهم!!<sup>(٥)</sup>

وقد يعرض معرضاً بأن بيان أثر المنحرفين والمبتدعة فيه مبالغة ظاهرة إذ إنهم خاملون ليس لهم نشاط... وهذا الكلام - على أحسن الأحوال - ليس

(١) ينظر مثلاً:

- الرد على فكر التكفير عند الوهابية، أحمد السايع، دار الأشراف الصوفية، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.

- ابن تيمية الذي افترى عليه الوهابيون، أحمد السايع، دار الأشراف، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.

(٢) ينظر مثلاً: برنامج تحت الرماد، السعودية وفتاوي التكفير، قناة العالم، أربع حلقات.

(٣) ينظر: مؤتمر خطر الوهابية على الإسلام والعالم على شبكة الإنترنت.

(٤) ينظر: حوار مع السايع على شبكة اليوتيوب.

(٥) مما يستغرب أن دعى (عبد الله بن بيه) لإقامة محاضرة في كلية الشريعة بالرياض سنة ١٤٣٢هـ بعنوان: (فقه الواقع والمتوقع).

صادراً عن رصد واقعي !! وإنما البحث يثبت أن من نوافذ الانحراف في هذه السنوات الأخيرة: النشاط الوافد في زرع البدعة وتشييدها.

فقد كان لعبد الفتاح أبو غدة ومحمد الصابوني وملا خاطر وخلص جلبي وغيرهم تأثير كبير ونشاط قوي على حذر وهدوء مع عدم ظهور وسائل الاتصال والإعلام الحديثة.

وإذا كان تأثير المبتدعة في زمن ظهور السنة وتوافر العلماء في زمن مضى قوياً فكيف بزماننا المتأخر؟

ويقوم عبدالله بن بيه ومحمد الددو وغيرهما: بنشاط قوي من خلال منافذ عدّة وقوّات متعدّدة في زرع البدعة وتشييدها.

وقد ثبت لي من خلال التتبع والاستقراء أن المبتدعة والمنحرفين من هؤلاء كان لهم أثر وتأثير في زرع المناهج الدعوية الوافدة كمنهج الإخوان المسلمين وزرع المذاهب البدعية كالمذهب الأشعري والصوفي<sup>(١)</sup>.

فإن قلت: إن بعض هؤلاء المبتدعة متحفظون لا يظهر منهم شيء إلا نادراً.

قلت: إن هذه هي جادة أهل البدع في حال ظهور السنة وغلبة أهلها، وقد أشار الشاطبي رحمه الله إلى أن المبتدع يستخف في بيته في تلك الحال ويعمل بأعماها على التقية<sup>(٢)</sup>.

قال البربهاري (ت: ٣٢٩هـ): (مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون

(١) لدى دراسة حول هذا الموضوع: تبعاً واستقراءً وتحليلاً.. يسر الله إتمامها وإخراجها.

(٢) الاعتصام، (١٦٧/١).

رؤوسهم وأبدانهم في التراب وينحرجون أذنابهم فإذا تمكنا الدعوا، وكذلك أهل البدع هم مختلفون بين الناس فإذا تمكنا بلغوا ما يريدون<sup>(١)</sup>.

وقد أشار الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب في كتاب له إلى ما كان يتظاهر به أحد الأشاعرة الصوفية من المعتقد الصحيح ويبيح به من الباطل والضلال عند خاصته<sup>(٢)</sup>.

ولأنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخفى، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة<sup>(٣)</sup>.

فإن قُلتَ: ولم تقدم قناة دليل واقرأً وفور شباب وغيرها هؤلاء المبتدعة وتصدرهم؟

فالجواب: أن هؤلاء موقف من علماء السنة ومنهجهم لذا ذهبوا يبحثون عن مرجعية لهم من جهة، ونكأية بعلماء السنة من جهة أخرى.

وما علموا أنهم إنما يضرون أنفسهم، والله عز وجل ضمن حفظ دينه وعلو أهله، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾  
[يوسف: ٢١].

ومن المهم هنا القول أن توقير المبتدع وتصديره وتقديمه مخالفة ظاهرة للشريعة، لأن توقيره تعظيم له... وأيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة

(١) طبقات الخنابلة (٤١/٢).

(٢) مجموع الرسائل والمسائل (٣/٢١٩-٢٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٠٤).

لفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: التفات الجهال وال العامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وُقِرَ من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرّض له على إنشاء الابتداع في كل شيء.

وعلى كل حال فتحيا البدع، وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه<sup>(١)</sup>.

وأذكر هنا أن داعية قدّم برنامجا على قناة المجد الفضائية في رمضان قبل سنوات عن علماء المسلمين خصّص منها حلقة عن حسن البناء وأخرى عن عبدالفتاح أبو غدة بالغ في مدحهما والثناء عليهما، مع ما عرف عن الأخير من طعون مبطنة في عقيدة السلف وعلماء السنة وإحياء ذكر رأس الجهمية والبدعة في زماننا (زاهد الكوثرى)!!

وعرضت قناة المجد لقاء مطولاً مع الشيخ (الددو) يوم الأحد (١٤٣٢/١٢/١٠)، ومقدم برنامجه على قناة (إقرأ) يعرفه بقوله: ساحة الشيخ العلامة!! كما نقلت إذاعة (نداء الإسلام) في يوم الجمعة (١٤٣٣/١/١٤) مخاضرة للددو عن الهجرة النبوية في برنامج (محاضرات) وعرفه المقدم بقوله: ساحة الشيخ!!

(١) الاعتصام (٢٠١-٢٠٢).

وما يدل على وجوب التباعد عن المنحرفين قوله صلى الله عليه وسلم: «من سمع منكم بخروج الدجال فلينأ عنه ما استطاع فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه لما يبعث من الشبهات»<sup>(١)</sup>.

فهذا قول الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم، فلا يحملن أحد منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبة على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول: أدخله لأناظره، أو لاستخرج منه مذهبته، فإنهم أشد فتنة من الدجال وكلامهم أقصى من الجرب وأحرق للقلوب من اللهب ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المbasطة وخفى المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم<sup>(٢)</sup>.

ومن جالس من أهل السنة أهل البدع كان تأثيره أعظم من أهل البدع لأنه يلبس على الناس ويروج للبدعة ويهون من شأن التوحيد ويكون باباً من أبواب الانحراف العقدي والفكري.

قال عبد الله بن عون (ت: ١٥١هـ): (من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع)<sup>(٣)</sup>.

ويأسف الموحد عندما يرى عدداً من الدعاة يزورون الرافضة والصوفية والمنافقين ويجالسوهم ويتخذونهم أصحاباً وأخداً، ويداهنونهم تقرباً وتودداً،

(١) أحمد (١٩٨٧٥)، وأبي داود (٤٣١٩).

(٢) الإبانة، ابن بطة (٤٧٠/٢).

(٣) الإبانة (٤٧٣/٢).

بعضهم زار الرافضة في القطيف، وآخرون زاروا الصوفية في جدة.  
وتخاذل أهل البدع أصحاباً من صور الانحراف الذي حذر منه السلف  
وأبانوا خطورته.

قال بعض السلف: (الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذاك في ابنه ولا صديقه  
ولا جليسه)<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم أيضاً: (يتكتام أهل الأهواء كل شيء إلا التالق  
والصحبة)<sup>(٢)</sup>.

وقال الأوزاعي (ت: ١٥٧هـ): (يعرف الرجل في ثلاثة مواطن: بألفته،  
ويعرف في مجلسه، ويعرف في منطقه)<sup>(٣)</sup>.

وقدم مبتدع إلى بغداد فذُكر إلى الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ)، فقال: انظروا  
على من نزل ولالي من يأوي<sup>(٤)</sup>.

وبعض من يدعى الدين إنما يتبع بما يَحْسُنُ في العادة ويثنى عليه به، وما  
فيه مقاطعة ومجاهدة وهجر في ذات الله ومراغمة لأعدائه فذاك ليس منه على  
شيء بل ربما ثبّط عنه وقدح في فاعله، وهذا كثير في المتسبيين إلى العبادة  
والمتسبيين إلى العلم والدين، والشيطان أحرص شيء على ذلك منهم؛ لأنهم  
يرونه غالباً ديناً وحسن خلق فلا يتاب منه ولا يستغفر، ولأن غيرهم يقتدي بهم،

(١) الإبابة (٤٧٩/٢).

(٢) الإبابة (٤٧٩/٢).

(٣) الإبابة (٤٨٠/٢).

(٤) الإبابة (٤٨٠/٢).

ويسلك سبيلهم فيكونون فتنة لغيرهم، وهذا حذر الشارع من فتنة من فساد من العلماء والعباد ونخافه على أمته<sup>(١)</sup>.

وما يذكر في هذا المقام أن (سلمان العودة) أشار إلى العلاقة الحميمية التي تربطه (بجميل الفارسي)<sup>(٢)</sup> المعروف بدعوته لبدعة المولد ونشره دعوة له في الصحافة المحلية متضمنة التهيئة به وقصيدة في دعاء غير الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وشارك مع فيصل الكاف الصوفي (ضيوف شرف) في حفل تخريج طلاب ثانوية حزرة بن عبدالمطلب بجدة.

كما يُذكر مقاله الذي نشره على موقعه في رثاء شيخه: (عبدالفتاح أبو غدة) وثنائه وإطرائه له وانتقاد الموغلين في الخصومة من طالبوه بالتوبية عن معتقده وإعلان ذلك، فهل يعني بذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ بكر أبو زيد!!! كما في كتاب: (براءة أهل السنة) وتقريره؟!

وقامت مؤسسة الإسلام اليوم المملوكة (للعودة) بطبعه كتاب: (مشاهد من المقاصد) لابن بيّه الذي يقرر فيه صوفيته وأشعريته!!<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، عبداللطيف بن عبدالرحمن (٣/٥٤).

(٢) مقابلة مع الدكتور سلمان العودة في صحيفة سبق الإلكترونية نشرت بتاريخ ٢٠١١/٩/٣م.

(٣) صحيفة عكاظ والوطن، التاريخ (٣/١٢/١٤٣٢هـ-٢/١٥/٢٠١١م).

(٤) قال عن الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ودعائه: (فلو مُنعت سداً للذرية لما كان ذلك بعيداً حتى لا يقع العوام الذين يخفى عليهم. أما التكفير فهو أمر فيه صعوبة لقيام هذه الاحتمالات فلا يكفر إلا من اعتقد أن للشخص المستغاث به قدرة مستقلة عن قدرة الله تعالى وإرادة مستقلة عن إرادته). ص (١١٩).

وأستضافت قناة (دليل) في شهر شعبان سنة (١٤٣٢هـ) في برنامج لها أحد المبتدعة المعروفين بالدعوة لبدعة المولد النبوى ليتحدث عن سد النرائى: تقوياً لهذا الأصل. لينفذ المبتدعة إلى بدعهم والترخصة إلى رخصهم.

وخصصت جزءاً من برنامج (الشاهد) للحديث عن الاحتفال بالمولد النبوى، أخذت فيه رأى الناس، واستضافت (زيد الفضيل) وهو زيدى المذهب للحديث عن ذلك !!

وتحدث أحد الدعاة في قناة المجد في يوم الخميس (١٤٣٢/١٠هـ) عن فضل يوم عاشوراء ليقول: إنه يوم شكر و يوم صبر، في يوم شكر لأنه اليوم الذي نجى فيه موسى و قومه، و يوم صبر لأن اليوم الذي قتل فيه الحسين، وأخذ يسرد قصة مقتل الحسين رضي الله عنه مصححاً يكائناً وخشوعه. وهل هذا إلا موافقة للرافضة - قبحهم الله - في نياحهم؟<sup>(١)</sup>

ويلقي هذا الداعية دروساً في السيرة النبوية في اجتماع صوفي في جدة احتفالاً بالمولد النبوى.

ولحق المبتدع: (حسن المالكى) بالرافضة فهو يزورهم ويجتمع بهم ويشارك في قناة الكوثر الرافضية.

(١) قال شيخ الإسلام: (وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه يحدث للناس بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاء المراثى، وما يفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنة.. وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب، وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرم الله ورسوله). منهاج السنة (٤/٥٥٤).

ولحق (سعد الفقيه) بالكفار وأقام في لندن ووجد الدعم المادي والمعنوي من معمر ليبيا ووجد الدعم المعنوي من الاستخبارات البريطانية وإيران !!<sup>(١)</sup> وكتب أحدهم رسالة بعث بها إلى الدكتور (غازي القصبي) نشرتها صحيفة الجزيرة في تاريخ (٢/٧/١٤٣١هـ)، ملأها بالمدح والثناء عليه وما قال فيه: (لو كان في استطاعة وطن التوحيد والسنة ومحبيك من أهله أن يُفادوا صحتك بالمال والمتاع بل بالألاف المؤلفة من السعوديين فضلاً عن غيرهم - لما تأخرت عن العودة إلينا حتى اليوم،...). وهذا المدح من رؤوس تغريب المرأة، وله مواقف ومقالات لا يمكن أن يعتذر عنه فيها.

ولا بد من التوكيد هنا إلى أن قناة دليل تحمل توجهاً يوجب التنبيه والتحذير الخصه في الآتي:

- أصبحت القناة نافذة لبعض أهل الأهواء والبدع: ترويجاً لبدعتهم، وإزالةً للوحشة منهم.

فقد استضافت: محمد السحيمي، وعبدالرحمن الحبيب، وإبراهيم البليهي، وجمال خاشقي، وأبن يه، والددو، والعرفج وغيرهم.

- أفتى الشيخ الددو في أكثر من برنامج له على القناة بجواز الاحتفال بالمولد النبوى، وتفصيله للقول فيه كتفصيل الشيخ (علوي المالكي) في كتابه:

(١) ذكر عبد العزيز الشنبرى المنشق عن سعد الفقيه في مقابلة معه على قناة العربية بتاريخ (٢/٢/١٤٢٧هـ) أن سعد الفقيه يجد الدعم المادي والمعنوي من معمر ليبيا ويجد الدعم المعنوي من الاستخبارات البريطانية وإيران. كما ذكر وزير الخارجية الليبي عبد الرحمن شلقم في مقابلة معه على قناة العربية بعد مقتل القذافي أن معمر القذافي كان يساند سعد الفقيه وبينهما تعاون وثيق.

(مجموع فتاوى ورسائل)<sup>(١)</sup>. فهل تلمند على كتبه؟ أم هو توافق؟!! وللدكتور (عصام البشير) مشاركات واسعة في القناة، وله خطبة على (اليوتيوب) في مشروعية الاحتفال بالمولود النبوى يرد فيها على القول ببدعية!! كما يحق للمتابع أن يتساءل: ما هدف القناة من تقديم المبتدعة وأهل الأهواء وتصديرهم والترويج لأقوالهم في مجتمع قام منهجه على خلاف ذلك؟؟؟!! ويلقى الشيخ (الددو) تصديراً وتقديراً ملفتاً على قناة (دليل) على الرغم من كثرة تخلخلطاته وتخبيطاته ونما سجلته لدى ما يلي:

- خرج الشيخ (الددو) في برنامج بعنوان: (البدعة - فقه العصر) على قناة (إقرأ) وهدف البرنامج: تقويض قواعد أهل السنة في التعامل مع أهل الأهواء والبدع.
- وكان الملاحظ على البرنامج ما يلي:
- اجتهد مقدم البرنامج على نحو غريب وحاول قسر الضيف على القول بتقسيم البدعة إلى محمودة ومذمومة!!
- حاكم البرنامج أهل السنة في موقفهم من البدع والمبتدعة، وطرح المقدم أقوال الأئمة (التي وصفها بالغربيّة جداً) بحق المبتدعة!!
- حمل الشيخ (الددو) كلام السلف في التحذير من البدعة والمبتدعة على المفقرة منها فحسب!!
- قرر الشيخ (الددو) أن الأصل في التعامل مع المبتدعة الرفق واللين ولا

(١) ص (١٨١-١٨٠).

يلجأ إلى الغلظة إلا إذا رجيت منفعتها.

- أن البدع ليست أشد من المعاصي إلا المكفر منها.

- حكى (الددو) الخلاف في البدع الإضافية، وقرر أنه لا يسع تعظيم

النكير فيها !!

- قرر أن التحذير من المبتدعة خاص بالرواية والجرح والتعديل، وأنه لا

يوجد كتاب لأحد من أهل العلم في الرد على فلان أو فلان !!!

- قرر أن التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم من المسائل الخلافية التي

يسع فيها النظر.

والأخطر أنه هون كثيراً من البدع تحت دعوى وجود الخلاف فيها !! وهذا

هو مقصود البرنامج كما ظهر لي.

وفي برنامج آخر بعنوان: (أهل السنة والجماعة - فقه العصر) على قناة

(إقرأ) قرر ما يلي:

- أن حصول الافتراق في الأمة ليس عيباً ولا مذمة، وأن تعداد البغدادي

وابن الجوزي لفرق ليس في محله.

- أن العناية بطباعة حديث الافتراق والتعليق عليه والتشنيع على التفرق

خطأ لا ينبغي.

- دعا إلى تعويد طلبة العلم على عدم احتكار الحق (في تعبير صحفي).

- في سياق الكلام عن البدع جاء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع أهل المعاصي صلاةً وترحماً عليهم في خلطٍ بين حال أهل البدع والمعاصي.

- دافع عن المذهب الأشعري، زاعماً أن الأشاعرة لديهم أخطاء فقط وهم من أهل السنة، وقرر أن المذاهب العقدية كالماتريدية والأشاعرة كالمذاهب الفقهية، وسوّى بين الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث<sup>(١)</sup>.

وبناءً على أول الأمر أن الشيخ (الددو) مضطرب في أحکامه وتقريراته وليس على جادة واحدة لأنه يريد الجمع بين منهج السلف والخلف فوقع في التناقض إلا أنني بعدما رأيت تسجيلاً مرجياً له مع شيخ الطريقة التيجانية يشي فيها على الشيخ وعلى الطريقة ثناء بالغاً، ويشيد بانتشارها في أنحاء العالم ويعتبر ذلك عالمة الصدق والقبول<sup>(٢)</sup> عرفت أن الرجل على غير هدى، لأنه لا يمكن لأحد أن يشي على الطريقة التيجانية ويمتدحها إلا أن يكون جاهلاً أو ضالاً.

وإذا كان هذا حال (الددو) فإن (ابن بيه) لا يختلف عنه كثيراً، بل أشد، واما وفقت عليه ما يلي:

- تقريره للتتصوف وعقائده ودفاعه عنه في مقالة له بعنوان: (التأصيل الشرعي للتتصوف) منشور على موقعه على شبكة الإنترنت.

- تقريره لعقائد الأشاعرة في مقالة له بعنوان: (نظارات في منهج الإمام الأشعري) منشور على موقعه على شبكة الإنترنت.

- تهجمه على السلفية وسخريته بالمتسبين إليها، كما في مقالة: (التأصيل الشرعي للتتصوف) فقد ساهم: (مذيعي السلفية). ويقول في معرض رده عليهم في منع الاستغاثة بغير الله تعالى: (وهذه هي الطامة الكبرى والكارثة الجلى فهي

(١) حقيقة الأشاعرة والصوفية على شبكة اليوتيوب.

(٢) تسجيل مرجي على اليوتيوب بعنوان: (الددو والصوفية).

من نواقض الإسلام عندهم حتى ولو كانت برسول الله ﷺ، وقد بنوا عليها قاعدة الاستغاثة بغيره تعالى في ما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا فجعلوا الاستغاثة بالأصنام كالاستغاثة بسيد الأئم مردددين: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] إلى غير ذلك من الآيات التي استشهد بها في غير محلها واستدل بها في غير مدلولها.

- تقريره لعقائد القبورية والمرجعيين كما في مقالته السابقة وهذا من أظهر انحرافه وأشنعه.

- لابن بيه نشاط في الدعوة للتصوف وعقائده، من أوضحها: أنه جناح (مؤسسة طابة الصوفية) في السعودية. وهذه المؤسسة يرأسها داعية الانحراف: علي الجعفري، ومرجعيتها الشرعية ومجلسها الاستشاري رؤوس البدعة في العالم الإسلامي وهم: (محمد البوطي، علي جمعة، عمر بن حفيظ، نوح القضاة) وابن بيه معهم.

ولهذه المؤسسة جهودها وتأثيرها في نشر التصوف وعقائده، كما أن لها أثراً مشبهاً في جوانب أخرى تجدها في مقالة الباحث: (أسامة شحادة): (الدور المشبوه لمؤسسة طابة الصوفية) منشورة على شبكة الإنترنت.

والذى يظهر لي أن هناك اتجاهًا داخل المجتمع يسعى إلى تقويض الأصول التي قام عليها المجتمع من خلال الآتي<sup>(١)</sup>:

١ - تصدير المبدعة وتقديمهم وإضفاء الألقاب عليهم ليغتر به الناشئة،

(١) أشار إلى هذا الاتجاه (أنور الخضري) في كتابه: (ظاهره الدين الجديد)، ص(٢٨).

وطباعة كتبهم وتوزيعها من جهات محلية، فقد أصدر معهد (مكة المكرمة بجدة) كتباً لكل من: عبدالله بيّه، محمد الددو، يوسف القرضاوي ...<sup>(١)</sup>.

كما عمل هذا الاتجاه على نشر اجتهادات وتقرير أولئك، فقام أحدهم بنشر اجتهادات وتقريرات (يوسف القرضاوي) في رسالة مستقلة<sup>(٢)</sup>.

وخصصت قناة (فور شباب) برنامجاً كل خميس بعنوان: (مفاهيم) للشيخ (الddb).

وألقى أحدهم دروساً في الحج في مكة المكرمة، كان يقول عقب كل مسألة: اختار ذلك سماحة الإمام العلامة يوسف القرضاوي.

وحتى أكون منصفاً، فليس تقديم المبتدعة خاصاً بقناة (دليل) ومثيلاتها، بل هو اتجاه عام، يدل عليه (أنموذجاً) المشاركة الواسعة لـ(زيد الفضيل) - وهو زيدي المذهب - على القناة الثقافية والعربية وروتانا الخليجية وإذاعة (إف إم) في أكثر من برنامج.

وكتب (أحدهم) مقالاً بعنوان: (مسألة المبتدع وهجره) تسأله فيه عما ورد عن بعض العلماء من وجوب مقاطعة المبتدعة وهجرهم وترك مكالمتهم والسلام عليهم...؟ وأجاب: بأن هذه اجتهادات ليست ملزمة، ولا هي صادرة عن يحب قبول قوله، وبعضاً منها غلو وإسراف!!<sup>(٣)</sup>.

## ٢- التشكيك في المسائل الشرعية التي دلت عليها نصوص الشريعة وسار

(١) قضايا دعوية معاصرة، علي العمري، ص(١٢٧).

(٢) الجديد في فقه الجهاد، علي العمري، ص(٥).

(٣) صحيفة عكاظ، هاني فقيه، العدد (٢٥٢٤)، التاريخ (١٤٢٩/٥/١٠).

عليها السلف الصالح وذلك برد قاعدة سد الذرائع وبدعوى الخلاف في تلك المسائل، والأمر جاوز المسائل الشرعية إلى قضايا البدع ومسالك المبتدةة ومر معك شواهد كثيرة، وسأنقل لك شاهداً آخر حيث يقول أحدهم: (وتحريك الإيمان لا يكون بالهجر والترهيب، والتذرع ببعض أقوال العلماء دون جمهورهم وسد الذرائع على كل شيء، بل بتطبيق السنة الصافية قولًا وعملاً... وندع الناس بعدئذ يجتمعون على مجالس الذكر، أو زيارة المدينة، أو ساكنها عليه الصلاة والسلام، أو صلاة القيام، أو الإكثار من الأذكار المشروعة، أو خدمة الأرامل واليتامى والأيتام، أو سماع الرقائق والابتهالات والمدافع النقية) <sup>(١)</sup>.

---

(١) رؤية تطويرية للصحوة السعودية، علي العمري، ص (٢٥).

## سادس عشر ظهور أهل البدع

إذا ظهر أهل البدع وجاهروا بدعوتهم وصاحب ذلك تقريب الحاكم لهم  
وقربهم منهم انتشار الانحراف في الأمة.

ولما استخلف المؤمنون (ت: ٢١٨هـ) على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى  
صفحته، ويزغ فجر الكلام، وعريت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعمل  
رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا  
يواافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة في عافية منه، وقويت شوكة الرافضة  
والمعتزلة، وحمل المؤمنون المسلمين على القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه فامتحن  
العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(١)</sup>. فكان المؤمنون بأساً وبلاءً على الإسلام<sup>(٢)</sup>.

قال الصلاح الصفدي (ت: ٧٦٤هـ): (حدثني من أثق به أن شيخ  
الإسلام ابن تيمية - روح الله روحه - كان يقول: ما أظن أن الله يغفل عن  
المؤمنون، ولا بد أن يقابلهم على ما اعتمدوا من هذه الأمة من إدخال هذه العلوم

(١) تذكرة الحفاظ (١/٣٢٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٢٣٤).

الفلسفية بين أهلها)<sup>(١)</sup>.

ولما قامت دولة العبيدية والقراططة والشيعة ظهرت المقابرية، قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): أول من دس على المسلمين بدع القبور: العبيدية بمصر والقراططة والشيعة<sup>(٢)</sup>.

وأعجب المعتصم (ت: ٢٢٧هـ) بأبي جعفر محمد بن عبدالله السمرقندى الإسکافى المتكلم (ت: ٢٤٠هـ) فأدناه وأجزل له عطاءه، وكان إذا ناظر، أصغى إليه، وسكت الحاضرون، ثم ينظر المعتصم إليهم، ويقول: من يذهب عن هذا الكلام والبيان! ويقول: يا محمد، اعرض هذا المذهب على المولى، فمن أبي، فعرّفني خبره، لأنكّل به<sup>(٣)</sup>.

وأذن في خلافة المستنجد بالله العباسي (ت: ٥٦٦هـ) لرجل يقال له أبو جعفر بن سعيد بن المشاط (ت: ٥٥٥هـ) فجلس في الجامع فكان يسأل فيقال له «الله<sup>(٤)</sup> ذكَرَكَتْ» كلام الله؟ فيقول: لا. ويقول في سورة القصص هذا كلام موسى وهذا كلام النملة فأفسد عقائد الناس<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان أهل البدع أمراء ووزراء وقضاة.. عظمت فتنتهم وقبح أثرهم وامتد أثرهم في الناس. و هو لاء هم أئمة الضلال الذي خافهم النبي صلى الله عليه وسلم على أمته فقال: «أخواف ما أخاف عليكم بعدي الأئمة

(١) لوامع الأنوار (١/٩).

(٢) السير (١٠/١٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٥١).

(٤) المتنظم (١٨/١٧٨).

المضلين»<sup>(١)</sup>.

فقد كان الحسن بن ضافي بن بزدن التركي (ت: ٥٦٨هـ) من كبار الأمراء وتحكم في الدولة العباسية وتحجد للتعصب في المذهب الراافي فانتشر بسببه الرفض وتآذى أهل السنة به<sup>(٢)</sup>.

ولما كان هبة الله ابن الصاحب الراافي (ت: ٥٨٣هـ) أستاذًا لدار الخليفة المستضي العباسى وترقى حتى صار يوئى ويعزل ماج في أيامه الرفض، وشمتت المبتداعة<sup>(٣)</sup>.

ولما كان الوزير ابن العلقمي الراافي (ت: ٦٥٦هـ) وزيرًا للخليفة العباسى المستعصم أفشى الرفض في البلاد ونصره<sup>(٤)</sup>.

ولما تملك بنو عبيد بمصر في القرن الرابع الهجري لم يكن أحد يكفي بأبي بكر، وكانت الدنيا تغلى بهم رفضاً وجهلاً<sup>(٥)</sup>.

ولما غلا الرفض بالشام في القرن الرابع، وفي مصر والمغرب بالدولة العبيدية، وفي العراق وبعض العجم بالدولة البوهيمية، اشتد البلاء بأهل السنة دهراً، وشمتت الغلاة بأنفها، أظهر بعض العلماء التشيع تقية لا سجية، والناس على دين الملك<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه أ Ahmad (٢٧٤٨٥)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذى (٢٢٢٩).

(٢) المتظم (١٨/٢٠١). البداية والنهاية (٤٦٩/١٦).

(٣) تاريخ الإسلام، وفيات (٥٩٠-٥٨١) ص (١٦٧).

(٤) السير (٣٦٢/٢٣).

(٥) السير (٤٥٣/١٧).

(٦) السير (٥٠٧/١٧).

ولما أظهر أبو الحسن الأشعري (ت: ١٣٣ هـ) مقالة خبّطت عقائد الناس وأوجبت الفتن المتصلة وما زال منذ أظهر هذا خائفاً على نفسه لخلافه أهل السنة حتى إنه استجار بدار أبي الحسن التميمي حذراً من القتل، ثم تبع أقوام من السلاطين مذهبها فتّعصّبوا له وكثُر أتباعه حتى تركت الشافعية معتقد الشافعية رضي الله عنه ودانوا بقول الأشعري<sup>(١)</sup>.

ولما أمر الخليفة الواثق (ت: ٢٣٢ هـ) بالمحنة في القرآن ورد كتابه إلى القاضي أبي بكر الأصم قاضي مصر، فأخذ الناس بذلك، فلم يبق فقيه ولا مؤذن ولا معلم إلا أخذ بها، فهوئ كثير من الناس، ومُلِّيَت السجون من أنكرها، وأمر القاضي أن يكتب على أبواب المساجد: القرآن مخلوق<sup>(٢)</sup>.

وأهل الأهواء يحرصون على القرب من الولاة والسلطين حتى يتمكنوا من نشر بدعتهم.

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ): (فالمبتدع إذا لم يتهض لـإجابة دعوته بمجرد الإذار والإذار الذي يعظ به، حاول الانتهاء بأولي الأمر، ليكون ذلك أخرى بالإجابة)<sup>(٣)</sup>.

ومن طرائفهم: أن يظهر المبتدع الموافقة لهم في مسألة تخالف الشريعة مما يريدونه، وإن كان لا يؤمن بولايتهم أصلاً، ليتمكن من نشر بدعته وآرائه من جهة أخرى.

(١) المنتظم (٢٩/١٤).

(٢) ترتيب المدارك (٤٠٤/١).

(٣) الاعتصام (٢٩٣/١).

## سابع عشر

### نسخ العلم وذهب العلماء

العلماء بالله وأمره ومكايده عدوه، وأمراض القلوب وأدويتها، الناصحون  
الله تعالى ولكتابه ولرسوله ولخلقه، أعز من الكبريت الأحمر<sup>(١)</sup>.

ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكن نور يقذفه الله في القلب، وشرطه  
الاتباع، والفرار من الهوى والابداع<sup>(٢)</sup>.

وهوئلاء هم الراسخون في العلم، العلم: الذي يطمئن إليه القلب، وتسكن  
عنه النفس، ويزكي به العقل، وتستنير به البصيرة، وتقوى به الحجة.. وأهل هذا  
العلم لا تكاد الأعصار تسمح منهم إلا بالواحد بعد الواحد<sup>(٣)</sup>.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (وأما اليوم: فما بقي من العلوم القليلة إلا  
القليل، فيناس قليل، ما أقل منهم من يعمل بذلك القليل)<sup>(٤)</sup>.

(١) بدائع الفوائد (٢/٨٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٢٣).

(٣) مفتاح دار السعادة (٤١٠/١).

(٤) تذكرة الحفاظ (٣/١٠٣١).

وقال في موضع آخر: (وأما اليوم فقد اتسع الخرق، وقل تحصيل العلم من أفواه الرجال، بل ومن الكتب غير المغلوطة، وبعض النقلة للمسائل قد لا يحسن أن يتهجى) <sup>(١)</sup>.

ولذا لا بد أن يُعرف الفرق بين العالم وبين الواعظ أو الداعية أو القاصي أو الأكاديمي فال الأول له أن يفتى وأن يدرس وأن ينبعث للشأن العام وقد يجب عليه في بعض الأحوال والمواطن.. وأما غيره فليس له أن يرتقي تلك المراتب.

وما حصل الخلل والتخلط إلا لما اشتغل هؤلاء بغير فنّهم فجاؤوا بالعجب من جهة وقعوا في مزاق من جهة أخرى.

وإذا غاب العلماء الربانيون خرج الأدعية وتکاثر المرتزقة فتصدّروا وتقدّموا، كما قال علي بن أحمد بن علي الفالي (ت: ٤٩٨هـ):

تصدّر للتدريس كل مهوس	بليد تسمى بالفقير المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا	بيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزاها	كُلّها وحتى سامها كل مفلس <sup>(٢)</sup>

والعلم لا ينفع صاحبه ما لم يكن معه عمل وورع ودين، وإلا فهو وبال على صاحبه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ بَأْلَذِيءَ أَتَيْنَاهُمْ أَيْنِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَنُ﴾

(١) السير (١١/٣٧٧).

(٢) الكامل (٦/١٩٤).

فَكَانَ مِنَ الْفَارِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ إِلَيْهَا وَلَنِكَنَاهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ هَوَاهُ ﴿١٧٦﴾ . [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

ففي هذه الآية دليل على أنه ليس كل من آتاه الله العلم فقد رفعه به، إنما الرفعة بالعلم درجة فوق مجرد إتيانه<sup>(١)</sup>.

وبعض الخلق يؤتىهم الله علماً فلا يعملون بعلمهم، أو يحرفون الكلم عن مواضعه فيكونون علماء سوء ودعاة ضلال، أو يعرضون أحكام الشرع في سوق (من يزيد) تقرباً للسلاطين فيبيعوا دينهم بثمن بخس دراهم معدودة وهم فيه من الزاهدين.

ولا آفة أضر على العلوم وأهلها من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظلون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون<sup>(٢)</sup>.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم ينزعه انتزاعاً من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتووا بغير علم فضلوا وأضلوا»<sup>(٣)</sup>.

فالناس إنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم فيؤتى الناس من قبله<sup>(٤)</sup>.

(١) بدائع الفوائد (٢٥١/٢).

(٢) الأخلاق والسير، لابن حزم، ص (٩١).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٤) كتاب الحوادث والبدع، ص (١٧٤).

وأحد سبل ذلك تقديم الجهات على العلماء وتولية المناصب الشرعية لمن ليس بأهل، فيقولوا بالرأي<sup>(١)</sup>.

ومن كثرة الجهل وقلة العلم: تقديم الأحداث على غيرهم، كان ذلك التقديم في رتب العلم أو غيره؛ لأن الحدث أبداً أو في غالب الأمر غير لم يتحنّك، ولم يرتكب في صناعته رياضة تبلغه مبالغ الشيوخ راسخى الأقدام في تلك الصناعة<sup>(٢)</sup>.

وكم أقيل:

شیئان عجیبان هما أبُرَدَ من يَخْ  
شیخ يتصابی وصیبی یتمشیخ  
وهوَلَاءُ هم السفلة الرعاع الذي يكون بهم فساد الدنيا والدين، قال  
التَّابِعِيُّ الجَلِيلُ مَكْحُولُ (ت: ١١٢هـ): تفَقَّهَ الرَّعاعُ فسادَ الدُّنْيَا، وتفَقَّهَ السُّفَلَةُ  
فسادَ الدِّينِ<sup>(٣)</sup>.

وذهب العلماء الربانيين هلاك للناس، قال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ):  
(علامَةُ السَّاعَةِ وَهَلَاكُ النَّاسِ: ذَهَابُ عِلْمِهِمْ)<sup>(٤)</sup>.

وبعد وفاة مفتى الدنيا الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) استنكرنا  
أشياء كثيرة حتى تمتلنا قول القائل:

(١) الاعتصام (٤٣٢/٢).

(٢) الاعتصام (٤٦٩/٢-٤٧٠).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/١٥٤).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٩٦).

فِي النَّاسِ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهْدُتُهُمْ  
 وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ تَعْرِفُ  
 لَمَّا تَوَفَّى رَحْمَهُ اللَّهُ تَدَافَعَ الْمُتَسَبِّبُونَ لِلْعِلْمِ عَلَى الْفَتِيَا وَأَصْبَحَتْ حَقًا مَّشَاعًا  
 لِكُلِّ أَحَدٍ فَتَقْحَمُهَا مِنْ لِئِسْ مِنْ أَهْلِهَا<sup>(١)</sup>.  
 وَلَمَّا تَوَفَّى ظَهَرَتِ الْمُبَدِّعَةُ وَتَجَرَّأَتْ عَلَى نُشُرِّ بَدْعَتِهَا، فَكَتَبَتْ عَشْرَاتِ  
 الْمَقَالَاتِ فِي صَحِيفَتِي الْمَدِينَةِ وَعَكَاظَ فِي الدُّعَوَةِ لِلْاحْتِفَالِ بِالْمَوْلَدِ النَّبِيِّ  
 مَثَلًا<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر ماسبق من شواهد على فتاوى تعارض النص والإجماع.

(٢) ينظر مثلاً:

- مقال بعنوان: (المولد النبوى الشريف)، لينة آل معينا، صحفة المدينة، التاريخ ٢٠١١/٢/١٨ م).
- مقال بعنوان: (فضل يوم الاثنين والاحتفاء بالمولد)، عبدالله الشريف، صحفة المدينة، التاريخ ٢٠١١/٢/١٤ م).
- مقال بعنوان: (المولد النبوى)، ملوك الشيف، صحفة المدينة، التاريخ ٢٠١١/٢/١٥ م).
- مقال بعنوان: (حبة الرسول نبع الحب في حياتنا)، نبيلة محجوب، صحفة المدينة، التاريخ ٢٠١٠/٢/٢٧ م).
- مقال بعنوان: (المولد النبوى وذكرى عطرة)، محمد عبده يهانى، صحفة عكاظ، التاريخ ٢٠١٠/٤/٢٤ م).
- مقال بعنوان: (النبي ورحمته بالعالمين)، محمد عبده يهانى، صحفة عكاظ، التاريخ ٢٠٠٩/٣/٩ م).
- مقال بعنوان: (قبس من سيرة الرسول)، عبد الله خياط، صحفة عكاظ، التاريخ ٢٠٠٨/٣/٧ م).

ولما توفي قويت حركة الزندقة وتجبرأت على السخرية بالشاعر،  
ومعارضه النصوص، والحط على أهل العلم<sup>(١)</sup>.

- مقال بعنوان: (الاجتماع لسماع السيرة أمر محظوظ)، محمد عبده يهاني، صحيفة عكاظ، التاريخ (٣١/٣/٢٠٠٧م)، عبدالله خياط هذا ليس هو الشيخ عبدالله خياط عضو هيئة كبار العلماء.

(١) راجع كتابي: (حركة التغريب) ص(٤) ٧١٢-٧٠٧ ففيها شواهد كثيرة على ذلك.

## ثامن عشر

### تبغ الرخص<sup>(١)</sup>

فتح الشيطان على المنحرفين الأخذ بالرخص شيئاً فشيئاً حتى تركوا الدين  
وانسلخوا منه.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): من تتبع رخص المذاهب وزلات المجتهدين  
فقد رقّ دينه<sup>(٢)</sup>.

والناظر في حال هؤلاء المترخصين يجد أنهم يأخذون من الأقوال الشاذة  
والأراء المهجورة ما يوافق الأهواء ويمالي رغبات النفوس.  
فهم يتبعون الهوى في المسألة أولاً، ثم يطلبون لها المستند من كلام العلماء  
وأقوال الفقهاء.

(١) عن هذا الموضوع ينظر:

- زجر السفهاء عن تبغ رخص الفقهاء، جاسم الدوسري.
- إرسال الشواذ على من تتبع الشواذ، صالح الشهراوي.
- تبغ الرخص بين الشرع والواقع، عبد النطيف التويجري.

(٢) السير (٨/٩٠).

وهم في هذا شاهدوا الإباحيين الذي قال قائلهم:

قامر ولط واشرب جهاراً واحتجج في كل مسألة بقول إمام<sup>(١)</sup> ولذا حذر السلف رحمة الله غاية التحذير من الأخذ بالرخص وتبغ<sup>(٢)</sup> زلات العلماء.

قال إبراهيم بن أدهم (ت: ٢٦٠هـ): (من حمل شواد العلماء حمل شرًا كثيرا)<sup>(٣)</sup>.

وتبع الرخص والانتقاء من الأقوال ما يوافق الأهواء لا يجوز بالإجماع، قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): (لا يجوز للمفتى أن يعمل بما يشاء من الأقوال والوجوه من غير نظر في الترجيح، ولا يعتد به بل يكتفي في العمل بمجرد كون ذلك قوله إمام، أو وجهاً ذهب إليه جماعة، فيعمل بما يشاء من الوجوه والأقوال، حيث رأى القول وفق إرادته وغرضه عمل به، فإن إرادته وغرضه هو المعيار وبها الترجيح وهذا حرام باتفاق الأمة)<sup>(٤)</sup>.

ومن يسلك سبيل الترخص والانتقاء من الأقوال على سبيل التشهي، فقد اتبع هواه، ولم يجعله وسيلة إلى تقواه، وذلك أبعد له من أن يكون ممثلاً لأمر الشارع، وأقرب إلى أن يكون من اتخذ إلهه هواه، ومن هذا أيضاً جعل بعض الناس الاختلاف رحمة للتوسيع في الأقوال وعدم التحذير على رأي واحد...

(١) الأنساب، للسمعاني (١/٥١).

(٢) ذم الكلام وأهله (٤/١٠٤).

(٣) إعلام الموقعين (٤/٢١١).

وهذا القول خطأ كله وجهل بها وضعف له الشريعة<sup>(١)</sup>.

وفي اتباع رخص المذاهب من المفاسد: الانسلاخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف، والاستهانة بالدين إذ يصير سيالاً لا ينضبط<sup>(٢)</sup>.

(ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوها بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتبعين واتبعوا أهواهم بغير علم فضلوا عن سوء السبيل. ومن أمثلة ذلك: رأى قوم اتخذوا الرجال ذريعة لأهواهم، أو من رغب إليهم في ذلك، فإذا عرفوا غرض بعض هؤلاء، بحثوا عن أقوال العلماء في المسألة المسئول عنها حتى يجدوا القول المافق للسائل فأفتقوا به، زاعمين أن الحجة في ذلك قول من قال: اختلاف العلماء رحمة، ثم ما زال هذا الشر يستطير في الأتباع وأتباعهم، حتى لقد حكى الخطابي عن بعضهم أنه يقول: كل مسألة ثبت لأحد العلماء فيها القول بالجواز - شدّ عن الجماعة أو لا - فالمسألة جائزة)<sup>(٣)</sup>.

والذي يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء ويتعلق بزلاتهم، والذى يؤمن الحق في نفسه يتبع المشهور من قول جماعتهم وينقلب مع جهورهم، فهما آيتان يُستدل بهما على اتباع الرجل من ابتداعه<sup>(٤)</sup>.

وتعمل قناة دليل على تقرير هذا الأصل من خلال برنامجها: قصة فتوى،

(١) المواقفات (٤/١-١٤٢).

(٢) المواقفات، للشاطبي (٤/٤-١٤٣).

(٣) الاعتصام (٣/٣١٨-٣٢٧).

(٤) الرد على الجهمية، للدارمي ص (١٢٩).

والأجر والأجران.

ولن أقدر نظرك أيها القارئ بما يعرضونه من قذى وأذى ولكنني سأكتفي بمثال واحد إذ خصص برنامج (الأجر والأجران) حلقات عن التشبه بغير المسلمين.. فذكر أحد ضيوف البرنامج أن شيخ الإسلام ابن تيمية نقل الإجماع على تحريم التشبه بالكافار فيما هو من خصائصهم، فنماز عه ضيف آخر في خلط وتخلط إذ زعم أن هذا الإجماع منقوص بأن الأصل في العادات الإباحة، فأكده مقدم البرنامج أن الإجماع في هذه المسألة قد انتقض بمخالفة هذا الضيف - الذي لم يفهم المسألة أصلا - !!

وذلك الخلاف الذي جعله المترخص دليلاً قد يكون قوله ضعيفاً، فيتولّد من ذلك القول الضعيف الذي هو من خطأ بعض المجتهدين، وهذا الظن الفاسد الذي هو خطأ بعض الجاهلين: تبديل الدين، وطاعة الشيطان، ومعصية رب العالمين، فإذا انصافت الأقوال الباطلة إلى الظنون الكاذبة، وأعانتها الأهواء الغالبة فلا تسأل عن تبديل الدين بعد ذلك، والخروج عن جملة الشرائع بالكلية<sup>(١)</sup>.

وفي السنوات الأخيرة بدت مسألة الترخيص في الظهور الإعلامي مع المرأة في لقاءات سمنجة أحياناً.

فظهر (سلمان العودة، وعائض القرني، عصام البشير) في أمسية في الكويت - حضرها نساء بعضهن سافرات - يتداولون الطرائف والمضحكات<sup>(٢)</sup>.

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٦٦).

(٢) نقلتها قناة (الرسالة) أكثر من مرة، آخرها بتاريخ (٨/١٠/١٤٣١هـ).

وظهر (سلمان العودة) على قناته: (الإسلام اليوم) وهو يهدى أحد كتبه لمجموعة من الفتيات في محاضرة له في المغرب العربي.

وظهر (وزير) في وزارة دينية وهو متواسط في لقاء بين امرأتين ذات اليمين وذات الشمال.

وظهر (داعية) على قناة (الرسالة) في برنامج: (إن هذا القرآن يهدي للتي أقوم) يفسر القرآن وأمامه رجال ونساء وبعضهن سافرات !!

ويظهر بشكل مستمر شخص يدعى: (علي المالكي) على قناة (إم بي سي) في برنامج يقدمه شاب وفتاة سافرة متبرجة .. وفي إحدى حلقات البرنامج اقترح (المالكي) على الشاب والفتاة أن يتزوجا !! فأكملت المذيعة بأنهما زملاء وأصدقاء فدعا لها الشيخ بالبركة !! وفي حلقة أخرى داعبت المذيعة الشيخ مستنكرة عدم ابتسامته المعهودة !! وفي حلقة ثالثة داعب المذيعة وعبر عن شوّقه إليها بمشاركة (المالكي) !!<sup>(١)</sup>.

وذكر (المالكي) هذا في مقابلة معه على صحيفة (عكااظ) أنه يشاهد بعض حلقات من المسلسل السوري (باب الحارة) لما يستهويه فيه من قيم وأخلاق !!<sup>(٢)</sup>.

وخرج آخر على قناة الإخبارية مع مذيعة سافرة .. وأخر على قناة

(١) ينظر اليوتيوب:

- علا الفارس تغازل على المالكي.

- علي المالكي وإشاعة بين علا الفارس وعلي الغفيلي.

- علي المالكي يخطب علا الفارس لعلي الغفيلي على الهواء.

(٢) صحيفة عكااظ، العدد (٣٣٥٠)، التاريخ (٩/٩/١٤٣١ - ١٩/٨/٢٠١٠ م).

(أبو ظبي) وفي مكان اللقاء مجموعة من الفتيات والشباب.. وهكذا في مناظر مجللة تأباه المروءة فضلاً عن الدين والأخلاق.

وخطورة هذا المسلك العملي للشخص: المجاهرة به مما يُجرب الناس ويُهون المنكر ويغيّر الحكم الشرعي.

رَفِعَ

جَبَ الْمَعْنَى لِلْجَنَّى  
أَسْكَنَ اللَّهُ لِلْفَرْوَانَى  
www.moswarat.com

الْمُنْهَى الْثَّانِي

آثَارُ الْأَنْحِرَافِ

عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجَمِعِ وَالْأُمَّةِ

رَفِعَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَنْوَيِّ  
أُسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَزُورُ كَسَّ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة

يؤدي الانحراف إلى جملة من الآثار على الفرد والمجتمع والأمة سأعرض لها في هذا الفصل.

ولا بد من التنبيه على أن الانحراف كُلُّ لا يتجزأ فهو سلسلة متصلة بالحلقات وعقد منتظم الحبات فإذا انفروط عقده وانقطعت سلسلته تناشرت حباته وسقطت حلقاته لتكون الفوضى الفكرية والعقدية، فإذا وجد نوع من الانحراف فلا بد أن يتبعه انحراف آخر يليه ثالث وهكذا.. وهذا يؤكد خطأ القراءة المجذأة للانحراف: صوراً وأثاراً وسبل معالجة.. فنفرض منه نوعاً ونقبل أنواعاً، أو نقر بآثار نوع ونشكك أو نهون من آثار نوع آخر، أو نحشد الطاقات لمواجهة انحراف ونترك انحرافات أخرى تصوّل وتجوّل، إن استقراء التاريخ وقراءة الواقع تؤكد أن كل انحراف يولد انحرافاً آخر وهكذا..

وأضرب أمثلة تقرب المعنى وتوضح الصورة.. انتشار الفكر الإيجابي يؤدي إلى وجود الفكر الخارجي.. وفسو الانحراف الأخلاقي يؤدي إلى الانحراف الفكري.. ووجود التغريب الاجتماعي يلزم منه التغريب السياسي..

وظهور العلمانية والليبرالية يدفع إلى ظهور الطوائف الأخرى كالرافضة والصوفية وهكذا... ولذا ما تراه في هذا الفصل من آثار للانحراف ليست عسفاً أو خروجاً عن دائرة الموضوع، بل هي من آثار الانحراف، لكنها تحتاج إلى نظرة شمولية تستقرئ الواقع وتتنظر إليه بشكل عام.

## أولاً: آثار الانحراف على الفرد:

## الأول: التخبط والقلق:

أكثر العارفين بالكلام والفلسفة بل وبالتصوف الذين لم يتحققوا ما جاء به  
الرسول تجدهم فيه حيالى<sup>(١)</sup>.

قال الشهريستاني (ت: ٤٥٥ هـ):

وسيّرت طرفي بين تلك المعالم  
على ذقني أو قارعاً سُنّ نادم<sup>(٢)</sup>  
لعمري لقد طفت المعاهد كلها  
فلم أر إلا واصعاً كف حائر

وقال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ):

نهاية إقدام العقول عقال  
وأكثراً سعي العالمين ضلال  
وغاية دنياناً أذى ووبال  
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفى علياً،  
ولا تروي علياً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن .. ومن جرّب مثل تجربتي  
عرف مثل معرفتي<sup>(٣)</sup>.

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٥٩/١). منهاج السنة النبوية (٥/٢٧٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/٢٧١). مجموع الفتاوى (٤/٧٣). الطحاوية (١/٢٤٤).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١٦٠/١). مجموع الفتاوى (٤/٧٣). السير (٢١/٥٠١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (وقد حكى لي أن بعض الأذكياء - وكان قد قرأ على شخص هو إمام بلده ومن أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة، وهو ابن واصل الحموي - أنه قال: اضطجع على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء<sup>(١)</sup>).

وكان ابن أبي الحميد البغدادي (ت: ٦٥٥هـ) وهو من الشيعة المعتزلة المتفلسفة يقول:

فيك يا أغلوطة الفكر حار أمري وانقضى عمري<sup>(٢)</sup>

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) عن أبي نصر الفاربي (ت: ٣٣٩هـ): (له تصانيف مشهورة من ابتعى منها المدى ضلّ وحار)<sup>(٣)</sup>.

وبعض هؤلاء أظهر الندم والأسف على ما مضى من عمره في غير ما ينفعه.

قال إمام الحرمين أبو المعالي (ت: ٤٧٨هـ): (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام)<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: (لا تشغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٦٥/١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٦١/١).

(٣) السير (٤١٦/١٥).

(٤) السير (٤٧٣/١٨).

اشتغلت به<sup>(١)</sup>.

والسبب في حيرة أهل الأهواء وقلقهم: التناقض الذي وقعوا فيه لعراضهم عن الوحي.

ففي كلام أرسطو وكلام أتباعه في الإلهيات من الخطأ الكثير والتجصير العظيم ما هو ظاهر لجميع عقلاه بني آدم، بل في كلامهم من التناقض ما لا يكاد يستقصى. وكذلك أتباع رؤوس المقالات التي ذهب إليها من ذهب من أهل القبلة، وفيها أيضاً من مخالفة العقل الصريح ما لا يعلمه إلا الله<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (ومن تدبّر كلام أئمة المعتزلة والشيعة والفلسفه وجدهم في غاية التناقض)<sup>(٣)</sup>.

وفي زماننا هذا يعيش المنحرفون قلقاً وتخبطاً أظهروا تردد بعضهم على المصحات النفسية. وقد أشار (منصور التقيدان) في مقالة له ما كان يعانيه من شكوك وحيرة<sup>(٤)</sup>.

وذلك أن الله أمر المؤمنين عند التنازع بالردد إلى الله والرسول، ولما ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهمينهم لم يزدهم هذا الرد إلا

(١) السير (١٨ / ٤٧٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٥٢-١٥٣ / ١).

(٣) منهاج السنة (٢ / ٢٣١).

(٤) صحيفة الرياض، مقال بعنوان: (ماذا لو كان ابن تيمية في الإسلام مثل لوثر في المسيحية)، العدد (١١٥٢٣)، التاريخ (١٤٢٦ / ٧ / ١)، (٥ / ١ / ٢٠٠٥ م).

اختلافاً وأضطراباً، وشكراً وارتياجاً<sup>(١)</sup>.

أوصى التابعي الجليل معاوية بن قرة (ت: ١١٣ هـ) ابنه إياساً فقال: (يا بني إياك والنظر في الكلام، فإن الناظر في الكلام كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد بصيرة ازداد تحيراً)<sup>(٢)</sup>.

وقال إمام الحرمين أبو المعالي الجوهري (ت: ٤٧٨ هـ): (قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خلّيت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغضبت في الذي نهى عنه أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأمّوت على دين العجائز، وينتقم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجوهري)<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو حامد الغزالى (ت: ٥٠٥ هـ): (أكثر الناس شكّاً عند الموت أصحاب الكلام)<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عقيل (ت: ١٣٥ هـ): (وقد أفضى هذا الكلام بأهله إلى الشكوك)<sup>(٥)</sup>.

وكان يقع لصدقة بن الحسين بن الحداد (ت: ٥٧٣ هـ) أحياناً حيرة وشك

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٤٧/١).

(٢) أحاديث في ذم الكلام، أبو الفضل المقرئ، ص (١٠٢).

(٣) السير (٤٧١/١٨). طبقات الشافعية، السيكي (٣/٢٦٠).

(٤) المنظم (١٧/٢٤٥). الحموية، ص (٢١١).

(٥) المفهوم، القرطبي (٦/٦٩١).

يذكرها في أشعاره ويقع له من الكلام والاعتراض ما يقع بسبب شبه المتكلمين والمفلسفة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٢هـ): (تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك، وببعضهم إلى الإلحاد...) <sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (يغلب على سيف الدين الأمدي الحيرة والوقف، حتى إنه أورد على نفسه سؤالاً في تسلسل العلل، وزعم أنه لا يعرف عنه جواباً، وبنى إثبات الصانع على ذلك، فلا يقرر في كتبه إثبات الصانع، ولا حدوث العالم، ولا وحدانية الله، والنبوات، ولا شيئاً من الأصول الكبار) <sup>(٣)</sup>.

ومن علم أن المتكلمين والمفلسفة وغيرهم هم في الغالب **﴿لَنِي قَوْلٌ مُّخْلَفٌ** **﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾** [الذاريات: ٩] يعلم الذي منهم العاقل: أنه ليس هو فيها يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست ببرهان وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها      حقاً وكلّ كاسر مكسور

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر والخبرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم، وأتوا ذكاء وما أتوا زكاء، وأعطوا علوماً وما أعطوا فهوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفداه **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ**

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (٣١٠/٢).

(٢) تلبيس إبليس، ص (٨٠). المتنظم (١٧/٢٤٥).

(٣) السير (٢٢/٣٦٦).

سَمِعُهُمْ وَلَا يَقْصِرُهُمْ وَلَا أَفْعِدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ كَيْا يَتَّبِعُ اللَّهُ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَهْدِي  
يَسْتَهِنُونَ } [الأحقاف: ٢٦].<sup>(١)</sup>

### الثاني: النكوص على العقبين<sup>(٢)</sup> :

من آثار الانحراف الفكري والعقدي.. أن تجد كثيراً من هؤلاء لِمَا لَمْ يَتَبَيَّنْ  
لَهُ طَرِيقُ الْهُدَى نَكْصٌ عَلَى عَقِبِيهِ، فَاشتَغَلَ بِاتِّبَاعِ شَهْوَاتِ بَطْنِهِ وَفَرْجِهِ أَوْ رِيَاستِهِ  
وَمَا لَهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، لِعَدْمِ الْيَقِينِ الَّذِي يَطْمَئِنُ لَهُ قَلْبُهُ، وَيُنْشَرِحُ لَهُ صَدْرُهُ<sup>(٣)</sup>.  
وَسَبَبَ ذَلِكَ الْجَهْلُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَمَا لَهُ مِنْ صَفَاتِ الْكَيْمَالِ، وَنَعْوَتِ  
الْجَلَالِ.

عَنْ جَبِيرِ بْنِ مَطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَهَكْتُ الْأَنْفُسَ وَجَاعَ الْعِيَالُ وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ  
فَاسْتَسْقَى لَنَا رَبِّكَ فَإِنَا نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، وَبَكَ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ: «سَبَحَنَ اللَّهُ، سَبَحَنَ اللَّهُ، فَمَا زَالَ يَسْبِحُ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ  
أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيَحْكُمُ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ..» الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ  
أَبُو دَاؤِدَ<sup>(٤)</sup>.

(١) الحموية، ص (٥٥٣).

(٢) سَيِّدَهُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ التَّحْوِلُ الْفَكْرِيِّ، يَنْظَرُ: التَّحْوِلَاتُ الْفَكْرِيَّةُ، حَسَنُ الْأَسْمَرِيُّ،  
ص (١١).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/١٦٥).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاؤِدَ (٤٧٢٦).

فيين صلى الله عليه وسلم أن السبب في وقوع هذا الانحراف الجهل بعظمة الله وقدره.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا فَبَضَّعَتْهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِسِيمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَقَعْدَلَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. قال محمد بن كعب (ت: ١٠٨ هـ): لو قدروا الله حق قدره ما كذبوه.

قال الجنيد بن محمد (ت: ٢٤١ هـ): (أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة لله عز وجل عري من الإيهان) <sup>(١)</sup>.

وقال سهل بن محمد (ت: ٦٤٠ هـ): (أقل ما في الكلام من الخسار سقوط هيبة الله من القلب) <sup>(٢)</sup>.

### الثالث: الخيبة والحرمان في الدنيا.

جرت عادة الله التي لا تبدل وسته التي لا تحول، أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو يحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه، ويلبس المرائي الالبس ثوب زور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة، والآخر المقت والبغضاء <sup>(٣)</sup>.

والمنحرفون لا ينالون خيراً في الدنيا وما حصلوه من المتع أو اللذات أو

(١) ذم الكلام وأهله، للهروي (٤/٣٧٤).

(٢) ذم الكلام وأهله، للهروي (٣/٢٥٧).

(٣) إعلام الموقعين (٦/١٦).

الرياسات فإنها هو متعة زائلة تكون لوناً من ألوان العقوبة والعقاب، إذ تكون عاقبة أمرهم خسراً.

فما حصلوه من المتعة أو اللذة أو الشهرة ينقطع عنهم فجأة فيزداد المهم وتتضاعف حسرتهم.

وإن حازوا منصباً ورئاسة صار الأمر إلى العزل أو النفي ثم هم قعدة في بيوتهم لا يملكون أمراً ولا نهياً وإن نالوا شهرة ومكانة وشرفاً انتهى بهم الحال إلى خمول الذكر وضمور الأمر لا يلتفت إليهم ولا يعبأ بهم.

وهكذا في عبر ومواعظ لا يعتبر بها إلا من أراد الله به خيراً ووهبه كمال البصيرة وحسن النظر.

خالف أبو علي الثقفي الخراساني (ت: ٣٢٨هـ) أهل السنة في مسائل، فألزم البيت ولم يخرج منه إلى أن مات وأصابه في ذلك محن<sup>(١)</sup>.

وقدم أبو طالب المكي (ت: ٣٨٦هـ) بغداد فاجتمع عليه الناس في مجلس الوعظ ولما خلط في كلامه بدأ عووه وهجروه وامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك<sup>(٢)</sup>.

وتحصيَّ محمد بن الحسن بن فورك الأشعري المتكلم (ت: ٤٠٦هـ) بالحجارة وأخرج من جامع هرة<sup>(٣)</sup>.

(١) السير، ١٥/٢٨٢.

(٢) تاريخ بغداد ٤/١٥١. المتظم ١٤/٣٨٥.

(٣) ذم الكلام وأهله ٤/٤١٩.

وأنكر أهل السنة على محمد بن أحمد بن عبدالله الوليد شيخ المعتزلة (ت: ٤٧٨هـ) تدریسه للمنتزلة، فلزم بيته حسين سنة إلى أن توفي<sup>(١)</sup>.

وتفرد سيف الدين الأمدي (ت: ٦٣١هـ) بعلم المقولات والمنطق والكلام وقصده الطلاب من البلاد، ثم انتقل إلى مصر، وتصدر بالجامعة الظافري، فأقرأ الفلسفة والمنطق، وانتشر فضائله، ثم انتشرت فضائله، ثم تصدى له أقوام باتهامه بمذهب الأوائل والتعطيل والانحلال، فخرج مستخفياً، فنزل الشام ودرس بالعزيزية مدة ثم عزله السلطان فأقام بطالاً خاملاً في بيته حتى مات<sup>(٢)</sup>.

وفي وقتنا هذا قام أحد المخذولين بكتابة المقالات والصياغ في القنوات المساندة للمستغربين في دعوتهم للفساد والانحراف خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة، وفي النهاية كافأوه بطرده من الكتابة في إحدى صحفهم، وما يتظره أعظم وأنكى إن لم يبادر بالتوبة والرجوع.

وآخر كتب وظهر وهو يدعو إلى الفساد والانحراف بقوله وفعله ورفعه المتحرفون وأجرموا معه المقابلات وعقدوا اللقاءات وسموه: فضيلة... ثم عُزل وطرد من عمله حتى ناله ألسنة الساخرين وشماتة الشامتين.

وآخر ظن أن المكانة عند الخلق بالوراثة فلما لم يجدها ذهب ليبحث عنها عند المنافقين فكتب مقالات وخرج في فضائيات قدم لهم كل ما يريدون لعله

(١) الكامل (٦/٢٩٨). البداية والنهاية (١٦/٩٧).

(٢) السير (٢٢/٣٦٤-٣٦٥). البداية والنهاية (١٧/٢١٤-٢١٥).

أن يظفر منهم بنظرة رحمة أو مسحة إشفاق فلم يجد منهم شيئاً فأنكفاً على نفسه. وفي هذا المقام أذكر من يطلبون المنزلة عند المنافقين والمكانة عند أهل الدنيا بأنهم يطلبون المستحيل وينشدون الحال.. لأن من طبيعة البشر أنهم يمقتون الشحاذ الكذاب ويعغضون السائل المستكثر.. ولو تصور هؤلاء مقدار الاحتقار في نفوس المنافقين ونظرة الازدراء لهم لارتدعوا.

وكمما قيل:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم      ولو عظّموه في الفوس لعظّما

#### الرابع: الذل والهوان.

لقد مضى الأمر على من أعرض عن الحق وأخذ بالباطل أن يلزمه الذل والهوان، **﴿وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ فَمَالَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ﴾** [الحج: ١٨]. قال صلى الله عليه وسلم: «وَجُعِلَ الذَّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»<sup>(١)</sup>.

وهكذا جرت عادة الله في عباده، فإنه لا ينال من أراد الدنيا بالدين إلا وبالاً وخساراً، عاجلاً أم آجلاً<sup>(٢)</sup>.

قال سفيان بن عيينة (ت: ١٩٨هـ): (ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاها، قال: وهو في كتاب الله، قالوا: وأين هي من كتاب الله؟ قال:

(١) أخرجه أحمد (٥١١٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣١)، وعلقه البخاري في صحيحه (٢٩١٤).

(٢) أدب الطلب ومتنه الأرب، للشوكانى، ص (٤٩).

أما سمعتم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخْذُوا الْعِجْلَ سَيِّئَاتُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٢] قالوا: يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، اتلوا ما بعدها ﴿وَكَذَلِكَ تَغْرِي الْمُفْتَرِينَ﴾ فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيمة<sup>(١)</sup>.

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): (كل من ابتدع في دين الله فهو ذليل حقير بسبب بدعته، وإن ظهر لبادئ الأمر في عزه وجبروته، فهم في أنفسهم أذلاء، ألا ترى أحوال المبتدعة في زمان التابعين، وفيما بعد ذلك؟ حتى تلبسوا بالسلطين ولاذوا بأهل الأرض، ومن لم يقدر على ذلك استخفى بدعته، وهرب بها عن مخالطة الجمورو<sup>(٢)</sup>).

وإذا نظرت إلى أحوال المترفين وجدت أنهم عوقبوا بالذل والهوان، فهذا تسلط عليه حكام العدل وولاة السنة فسُجِّنَ أو نُفيَ أو عُزلَ أو مُنْعَ من التدريس والإفتاء، وأخر تسلط عليه علماء الحق فكشفوا أمره وهتكوا ستره بياناً لضلاله وكشفاً لأنحرافه، وأخر رفع الله عنه القبول في الأرض فاستوحشت منه النفوس ونفرت منه القلوب فأصبح يتطلع إلى من يلقي عليه السلام أو يبادله التحية.

أعرض الحفاظ عن أبي جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) لدعنته، وأحرقت كتبه نوبات في رحبة الجامع، ثم استر<sup>(٣)</sup>.

(١) حلية الأولياء (٢٨٠/٧).

(٢) الاعتصام (١/٢٥١).

(٣) السير (١٨/٣٣٥).

## الخامس: التلون والتنقل:

من آثار الانحراف العقدي كثرة التنقل والتلون، فلا يكون العبد ملتزماً جادة الحق والمعتقد الصحيح.

قال حذيفة رضي الله عنه (ت: ٣٦هـ): (إن الضلاله حق الضلاله أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون)<sup>(١)</sup>.

وقال إبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ): (كانوا يكرهون التلون)<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر بن العزيز (ت: ٩٩هـ): (من جعل دينه غرضاً للشخصيات أكثر التنقل)<sup>(٣)</sup>.

وقال مالك (ت: ١٧٩هـ): (الداء العضال التنقل في الدين)<sup>(٤)</sup>.

فتجد أمثال هؤلاء يعيشون دهراً لا يلوون على شيء، لم يحددوا وجهتهم، ولم يتبعوا منهاجهم، يتنقلون بين المذاهب والمناهج.

سئل أحدهم فقيل له: هل أنت داعية؟ أم مفكر؟ أم معارض؟ أم طالب علم؟ فأطرق برأسه، ثم قال: لا أدرى.

وآخر كان يكتب مقالات في مناهضة التغريب والإفساد وكشف وسائله وأساليبه، ثم انقلب فأصبح عوناً له وجندياً من جنوده.

(١) شرح اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (٣/٢٣٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/٤٢٥).

(٣) الشريعة، الآجري (٢/٢٤٤).

(٤) الإبانة (٢/٥٠٦).

وثالث هاجم (غاري القصبي) في محاضرات له وشّنّع عليه في القديم، ثم انقلب في الجديد فأصبح يتودّد إليه ويثنّي عليه وذهب إلى البحرين لزيارة فقيه يومين حتى أذن له.

وكان يهاجم النظام الحاكم في تونس في القديم، ثم زاره قبل سقوطه وأخذ يثنّي عليه ويغالط الواقع في الحال الجديد.

ورابع خطب خطبة في القديم بعنوان: (رسالة إلى محبي الغناء) حشد الأدلة من الكتاب والسنة والآثار في بيان تحريمها.

وقال في واقعه الجديد في برنامج له على قناة اقرأ بعنوان: (ثورة التجديد):  
لا يوجد نص في تحريم الغناء !!

ومن كانت هذه حالته فقد وقع في الفتنة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال:  
إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فلينظر، فإن كان رأى حلالاً كان يراه حراماً، فقد أصابته الفتنة، وإن كان يرى حراماً كان يراه حلالاً، فقد أصابته<sup>(١)</sup>.

قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): (إن من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف)<sup>(٢)</sup>.

وصنف آخر من المحرفين كان قومياً أو بعثياً أو شيوعياً يعادي الغرب

(١) أخرجه الحاكم (٨٤٤٣)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشييخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) تذكرة الحفاظ (١/٣٢٨).

ويعارض مشروعه ثم تحول إلى تغريبي يوالي الغرب ويساند مشروعه.

وقد قال محمد سعيد طيب في مقابلة معه: (الليبراليون مراوغون،

ونفعيون، ومنافقون)<sup>(١)</sup>.

وإذا كان من صفات المنحرفين: التلون والتقلب، فإن من صفات الأنبياء والمؤمنين: الثبات والرسوخ.

وقد جاء ذكر الثبات والثبات في سياق المدح والثناء كثيراً في القرآن: منه من الله، وصفة لأوليائه.

وبعض الخلق يغالط نفسه، ويفسر تلونه وتنقله، واضطراب أمره بأنه تطور وتغيير، وأن ذلك من طبيعة البشر، وأن الثبات والركون والركود على شيء يخالف الطبيعة البشرية.. وهكذا في خلط وتلبيس كي يخدع نفسه وغيره.

وهذا التلون والتقلب جعل بعضهم يتصرف تصرفًا غير سائع ولا مقبول البة، إذ جمع في مؤتمر سماه (النهاية) - وليس له من اسمه نصيب بل هو التردي والسقوط - مجموعة من الرافضة والنصارى والليبراليين والظلاميين ليلتقو بمجموعة من الشباب من الجنسين ليذربوهم على كيفية النهوض بمجتمعهم - زعموا -.

وفي رأيي أن هذا المؤتمر كشف عن ثلاثة عورات لهم، هي:

الأولى: تواري الولاء والبراء عند هؤلاء بمساندتهم للرافضة والنصارى

(١) مقابلة مع محمد طيب في برنامج: (عيشوا معنا) على قناة (إل بي سي) يوم الخميس الموافق ١٤٣٠/٥/١٨هـ.

واللبيرين.

الثاني: ما سبق أن أكدته في أكثر من كتابةٍ من أن هناك مشترك يتفق عليه طوائف الضلال: الموقف من العلماء، السلفية، الكيان القائم.

الثالث: مقدار التخبط عند هؤلاء: مسالمةً للأعداء، وإثارةً للفتن، وتشكيكاً في أحكام الشرع.

ومن صور التلون والتنقل: المنهج التوفيقي الذي يريد أن يوفق بين الإسلام والرؤى الغربية لجوانب من الحياة، وبين المنهج السلفي ومداهنة أهل البدع وملائنة المافقين.

وهذا المنهج ليس جديداً في حياة المسلمين لكنه يظهر حسب الظروف السياسية والفكرية لكل مرحلة.. وانظر كيف كتب بعض المتسبين للدعوة كتاباً في دعوى أن الاشتراكية من الإسلام تقرباً لجمال عبدالناصر ومن سار في فلكه.

ووجد المنهج التوفيقي في زماننا بسبب تأثيرات المناهج والفرق والاتجاهات سواءً أكانت غربية أم إسلامية.

وحتى تكتشف حقيقة هذا الاتجاه سأضرب خمسة أمثلة لتقييس عليها ما تراه من مواقف وتصريحات وشخصيات.

فالمثال الأول: تراه في الدكتور (أحمد زكي يهاني) الذي يزعم تبني الفكرة الإسلامية لكنه يتبنى تغريب المرأة كما تراه واضحاً في كتابه: (الإسلام والمرأة).

والثاني: في الدكتور (محمد بن أحمد الرشيد) الذي أصدر كتاباً بعنوان: (المرأة المسلمة بين إنصاف الدين وفهم المغالين) شنّ فيه على الحجاب والفصل

بين الجنسين.

والثالث: في الدكتور (أحمد التوبيجي) الذي شارك بداخلة على قناة (دليل) استضافت الدكتور (عبدالله النفسي) فأخذ يكرر مقالة يكذبها الواقع ويردها التاريخ وهي الفرق بين إيران والمذهب الشيعي... حيث إن المشكلة بزعمه في الأولى لا في الثانية.

والرابع: في الدكتورة (ثيريا عبيد) التي قالت في مقابلة معها: (كوني مسلمة ومسلمة إيماناً ومارسة يساعدني في تفهم المشكلات في المجتمعات الإسلامية.. أنا أسعى إلى تغيير الصورة النمطية عن المرأة المسلمة..<sup>(١)</sup>).

وثيريا عبيد تخرج في وسائل الإعلام بل في نفس مقابلة سافرة عن وجهها كاشفة عن شعرها ولباسها إلى ركبتيها !!

والخامس: في الدكتور (غازي القصبي) الذي سعى إلى تغريب المرأة وإفسادها وله مقالات وموافق في ذلك - سيدكرها التاريخ - يحمل تديناً شخصياً يتمثل في أداء الصلاة وابتهالات شعرية نظمها.

وهكذا في أمثلة كثيرة تجدها متمثلة في كتب وشخصيات وتوجهات تستطيع الحكم عليها إذا عرفت أن في الناس من يجمع بين المتناقضات أو يرفع أكثر من رأية، وهي من التلون والتقلب.

(١) مقابلة مع ثيريا عبيد في برنامج (لقاء اليوم) على قناة الجزيرة في يوم الأحد الموافق ١٦/٥/٢٠٠٠ م.

## السادس: الإلحاد.

من آثار الانحراف أن يؤول بصاحبِه إلى الإلحاد، فينكر المغيبات، أو يسخر من الدين ويهزأ بشعائره، أو يعلن المروق من الإسلام والارتداد عنه.

قال ابن عقيل (ت: ١٣٥٥هـ): (وقد أفضى هذا الكلام بكثير من أهله إلى الإلحاد)<sup>(١)</sup>.

وشاهد هذا حال ذلك الرجل الذي خرج على الأشهاد في مقابلة معه على قناة العربية ليقول إنه اخذ الإنسانية ديناً وأنه يقف موقف المحايد من الأديان<sup>(٢)</sup>، لتعرف كيف يؤول الانحراف بأهله.

وتصفح الشبكة الليبرالية لترى خذلان الله لطائفة تعلن إلحادها: جحداً لوجود الله، أو تشكيكاً فيه، أو استهزاءً بقدره العظيم، أو سخريةً بأنبيائه وملائكته.

وتطاول (حمزة كشغرى) على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) على مقام النبي ﷺ، و تعرضت (حصة آل الشيخ) لمقام الألوهية على موقعها أيضاً.

ومسكين خدعاً المنافقون ونفخ الشيطان فيه فطن نفسه مفكراً وعقرياً وفيلسوفاً فأخذ يهرب بمقالات توجب استتابته، منها قوله: (المُسْلِمَاتِ تلغي عقول كل الأجيال ولا يمكن استعادة هذه العقول المعلولة إلا بنقد المُسْلِمَاتِ).

(١) المفهوم (٦٩٣/٦).

(٢) مقابلة مع (منصور النقيدان) على قناة (العربية) في برنامج (إضاءات)، التاريخ ١٥/٩/٢٠٠٤م.

فالنقد هو مفتاح قدرات العقل وهو بوابة الازدهار، فإذا كان نقد المسلمين هو شرط التقدم فكيف نتخل عنه؟ إلا إذا كنا نريد استمرار التخلف ونهوى تحمل كل النتائج الفظيعة التي تترتب على ذلك<sup>(١)</sup>.

وعشعش الشيطان في رأس شخص يدعى نجيب (بهائي) فلما لم يجد من يضربه عليه أخرج ما فيه من الباطل إذ اعتبر في مقابلة معه في صحيفة (حوار وتحديث) أن عصر الترهيب بالدين انتهى وأن عذاب القبر وشجاع الأقع، ونار عدن التي تصل الشام، والرجل القحطاني الذي يسوق الناس بعصاه وبين يديه نهران نوع من الخرافات التي لا معنى لها، وقال إنه لا يوجد جنة نعيم دائمة ولا عذاب أبدى في الآخرة. وأنكر هذا المحرف في مقابلة له بعنوان: (ما قبل في الحوض والصراط)<sup>(٢)</sup> الحوض والصراط ورؤية الله في الآخرة.

وكتب مقالاً بعنوان: (هل فرعون مات كافرا؟)<sup>(٣)</sup> ادعى فيه إيهان فرعون تكذيباً للقرآن والسنّة وإجماع المسلمين<sup>(٤)</sup>.

وكتب من سمي نفسه (عبد العزيز السويد) مقالاً في صحيفة المدينة بعنوان:

(١) البليهي في حوارات الفكر والثقافة، ص (٢٦٩).

(٢) صحيفة عكاظ، العدد (١٤٣٤)، التاريخ (٦/١٤٣٢ هـ).

(٣) صحيفة عكاظ، العدد (٣٤٧٤)، التاريخ (١٤٣٢/١٥)، (٢٠١٠/١١-٢١ هـ).

(٤) قال شيخ الإسلام: (كفر فرعون، وموته كافرا، وكونه من أهل النار هو مما علم بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى،...، ولهذا كان المسلمين متفقين على أن من توقف في كفره، وكونه من أهل النار فإنه يجب أن يستتاب، فإن تاب - وإلا قتل كافراً مرتداً، فضلاً عمن يقول إنه مات مؤمناً). جامع الرسائل (١/٢٠٣-٢٠٤).

(المفهوم المدني للألوهية) زعم فيه أن ما جاءت به الرسل من صفات الله الذاتية والفعالية هو محض تخيل أو تخيل، لا حقيقة له، وهذا مذهب الفلاسفة الملحدين. وكتب مسكين آخر يدعى: (حمد الراشد) كتاباً بعنوان: (دفاع عن العلانية). وعنوانه كاف في الدلالة على مضمونه.

وظهرت مجموعات من الجنسين تسمى نفسها: (عبدة الشيطان) لها اجتماعاتها ومراسيمها الشيطانية.

وفي أثر من آثار الابتعاث النكدة الذي جرى التوسع فيه في السنوات الأخيرة اسلخ طائفة من المبعثين من دينهم وأعلنوا ارتدادهم عن دينهم ودخولهم في النصرانية<sup>(١)</sup>.

كما عملت الصحفة على الرفع من شأن الملاحدة بمنحهم ألقاب التشريف والتكرير، فجعلت من عبدالله القصيمي مفكراً وفلاسفاً وعقرياً. ولذا أصبحت كتبه متداولة وبدأ اسمه ينتشر بين الشباب<sup>(٢)</sup>.

و قبل ذلك انظر إلى ما سطره قلم العالم المجاهد الغيور على دينه وأمته الشيخ عبد الرحمن الدوسرى (ت: ١٣٩٩هـ) في كتاب بعثه إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمة الله سنة (١٣٨١هـ) جاء فيه: (ولا يفوتي قبل الختام تذكيركم بأن القصيمي الذي هو ركيزة التوحيد في نجد أصبح الآن فيه شباب

(١) الابتعاث.. تاریخه وآثاره، عبدالعزيز البداح، ص (٣٧).

(٢) انظر تحقيق بعنوان: (عبدالله القصيمي يعود من جديد)، صحفة الرياض، التاريخ ١٤٢٨/١هـ.

ينكرون الخالق ..) <sup>(١)</sup>.

ويدل على وقوع الإلحاد في ذلك الزمن قول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٩٨هـ): (دعاة الإلحاد الآن يخاف على الشباب منهم أكثر مما يخاف من دعوة الوثنية، فإنهم بثوه بأساليب عديدة في الناس فكان ضررهم أكثر، والصلوات والجحولات الآن معه أكثر) <sup>(٢)</sup>.

وقد كانت نوافذ الإلحاد المتاحة في ذلك الزمن: رواج المذاهب الإلحادية كالشيوعية والبعثية والقومية في المجتمع.

وفي زماننا استجذت نوافذ أخرى للإلحاد تمثلت في: غلبة العلمانية وانتشار أفكارها، وابتعاث صغار السن إلى بلاد الكفار، وافتتاح المدارس الأجنبية. وإنني أرى أن زماننا هذا ستظهر فيه موجة الانحراف المتمثل في الإلحاد وإنكار المغيبات والتطاول على الشريعة وادعاء النبوة أو الإلهية أو المهدية ... إذ جرى الأمر أنه متى ضعف سلطان الشريعة، وظهر أهل الأهواء، وأطلت البدع برأسها أعلن المنحرفون إنحرافهم وجاهروا بأرائهم، والتاريخ يشهد على ذلك.

(١) الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد الموسى و محمد الحمد، ص (١٠١).

(٢) فتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٣١).

## ثانياً: آثار الانحراف على المجتمع والأمة.

### الأول: التفرق والاختلاف:

من آثار الانحراف وقوع التفرق والاختلاف في الأمة .  
وأما أن البدع مظنة إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام، فلأنها تقتضي التفرق شيئاً.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٥٠].  
وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَاتٍ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ يُمْسِكُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [آل الأنعام: ٩٥].  
وقال تعالى: ﴿ مُنْبِينَ إِلَيْهِ وَأَتَقُوُهُ وَأَقِيمُوا الْصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣١ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَاتٍ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١].  
وَذَمَ اللَّهُ أَهْلَ التَّفْرِقِ وَالْأَخْتِلَافِ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ أَإِسْلَمُوا وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيَا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكُفُرُ بِإِيمَنَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَفِي مُثْلِ قَوْلِهِ: ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ لَأَمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩].

وَفِي مُثْلِ قَوْلِهِ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَرَأَى الصِّكَنَبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلُفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وجميع هذه الشواهد تدل على وقوع الانفراق والعداوة عند وقوع الابتداع<sup>(١)</sup>.

وعن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: «يا عائش إنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا يُشَيْكُّا» [الروم: ٣٢] هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة<sup>(٢)</sup>.

ولا يحصل اجتماع الناس إلا باجتماعهم على الدين، فالوحدة في التوحيد، وتفرق الناس في الأديان مؤذن بتفرقهم في الأبدان.

ولذا قيل:

تغایر الناس فيما ليس ينفعهم      وفرق الناس آراء وأهواء<sup>(٣)</sup>  
ولا بد من التوكيد هنا على أن المقالات والكتابات الصحفية التي يكتبها بعض أنصار المعلمين يشجعون فيها على الخلاف ويشيدون به ويعتبرونه تعددية وحرية وصورةً من صور النضج المجتمعي والفكري... مجانية للصواب وأصحابها إما مغالطون أو ينقصهم إدراك الأمور على حقيقتها أو لهم مأرب في نشر الخلاف في المجتمع، إذ في بداهة العقول أن الناس كلّاً وقع الخلاف بينهم زاد تفرقهم وعظم شتاهم، وهذا ما يؤكده التاريخ ويشهد به الواقع.

وتزداد أهمية التنبية والتحذير من خطورة الخلاف في مجتمعنا خاصة الذي

(١) الاعتصام (٢٠٧/١).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١/٣٣٨، رقم ٥٦٠)، وقال الميسمى: رجاله رجال الصحيح، غير معلم بن نفيل وهو ثقة، المجمع (٦/٣٨٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/٥٧٣).

عاش زماناً على كلمة سواء فكان هذا سبباً في اجتماعه وتماسكه، وإذا زادت هوّة الخلاف الذي بدأ منذ سنوات بتشجيع التوجهات وتمكين الانحرافات فإن هذا مؤذن بباءٍ وشِرٍ وفتنٍ.

### الثاني: سقوط الدول وزوال المالك:

من آثار الانحراف سقوط الدول وزوال المالك وشاهد هذا في القديم والحديث كثير.

فالإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبب لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

### أثر الانحراف في زوال دولة بنى أمية:

فالجعد بن درهم - مؤسس مذهب الجهمية - كان مؤدب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بنى أمية، وإليه نسب، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله من خالف الرسل وانتقم لهم<sup>(٢)</sup>.

### أثر الانحراف في زوال دولة بنى العباس:

وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم - يعني الباطنية - فاشتغل بالفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر، وهو مبدأ انحلال الدولة

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٧).

العباسية<sup>(١)</sup>.

أثر الانحراف في زوال دولة بنى عثمان:

لما هيمنت الفلسفة وعلم الكلام، وانتشرت مظاهر الشرك والبدع والخرافات، وقويت الصوفية، وظهرت القبورية، وازداد نشاط الفرق الباطنية، أدى ذلك إلى ضعف الدولة العثمانية ثم اضمحلها<sup>(٢)</sup>.

الثالث: تسلیط الأعداء:

يسلط الله سبحانه وتعالى الأعداء من الكفار على بلاد الإسلام إذا انتشرت البدع والانحرافات.

فلما ظهر النفاق والبدع والفحوج المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيره مرتّة بعد مرّة، وأخذوا التغور الشامي شيئاً بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة.

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيره الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهروا الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار. وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركيين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع

(١) جموع الفتاوى (١٣) / ١٧٧.

(٢) الانحرافات العقدية والعلمية، علي الزهراني (١) / ٥٩٢-٢٤٣ (٢) / ١١١.

والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار.

وكان من أسباب دخول التار ديار المسلمين ظهور الإلحاد والتفاق والبدع، حتى إن الرazi صنف كتاباً في عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر سهلاً: (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم) ويقال: إنه صنفه لأم السلطان علاء الدين محمد بن لكتش بن جلال الدين خوارزم شاه، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قوي. فلما ظهر بأرض المشرق بسبب مثل هذا الملك ونحوه، ومثل هذا العالم ونحوه ما ظهر من الإلحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك، وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر<sup>(١)</sup>.

وبالجملة فالشرك والبدعة والهوى والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبوع غير رسوله هو أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول، فإذا أمر بمعصيته وخالف شرعيه فلا سمع له ولا طاعة، فالله تعالى أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده، ومنى عباده عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله.

ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله.

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٨-١٨٢).

ومن تدبر حق تدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي حق غيره عموماً وخصوصاً<sup>(١)</sup>.

#### الرابع: فساد الزمان وتغير الأحوال:

من آثار الانحراف في الأمة فساد الزمان وتغير الأحوال.

ومن أجل صور فساد الزمان وتغير الأحوال: تصدر الجهلة، وتطاول الأفزام، ونطق الرويبة في شأن العامة، حتى أضحت الشريعة حمى مستباحاً وحقاً مشاعاً ترتع فيه كل دابة.

وشهادة فساد الزمان وتغير الأحوال أكثر من أن تحصى، إذ أطبقت على الواقع فكتمت الأنفاس، حتى حق أن يقال:

فيما موت رُزْ إن الحياة ذميمة ويا نفسُ جَدِّي إن دهرك هازل

فهذا (حمزة السالم) يكتب مقالات عدّة في صحيفة (الجريدة) في إباحة ربا القروض، بل وتخرج مصامين مقالاته في إحدى حلقات مسلسل: (طاش ما طاش) في شهر رمضان لعام (١٤٣٢هـ). و(حمزة السالم) هذا لا يحسن قراءة القرآن لما خرج في مقابلة تلفزيونية معه !!

وজাহেل آخر مجهول العين والقدر يدعى (أحمد عطيف) طالع معاني آيات الحجاب في كتب التفسير وانتهى إلى أن يصدر كتاباً بعنوان: (بدعة الإلزام بتغطية الوجه)، من اطلع على الكتاب عرف أن كاتبه وقع في جهل عريض، وتخبط

(١) بدائع الفوائد (٣/٨٥٧).

فاحش، وأتى بعجائب تدل على سخف فهمه وضيحة علمه.

وشاهد ثالث: كثيراً ما يتكلم في مسائل التكفير، وفي مداخلة له مع الشيخ: (عبد القادر شيبة الحمد) على إذاعة (أم بي سي) قرأ الآية الرابعة من سورة (الأحقاف) بلحن فاحش، يتحاشاه الطالب الناشئ.

وشاهد رابع: أفت (فوزية سلامة) وهي امرأة سافرة متبرجة.. في برنامج (كلام نواعم) على قناة (إم بي سي) بجواز الاختلاط بين الجنسين بحججة وجوده في الحرم المكي الشريف<sup>(١)</sup>.

وشاهد خامس: قدمت إذاعة (أ إف إم) وهي إذاعة فنية خلال أيام الحج لسنة (١٤٣٢هـ) برنامجاً يومياً بعنوان: (الحج خطوة خطوة) استضافت فيه المذيعة امرأة تدعى: (اعتدال إدريس) تتحدث فيه عن أحكام الحج والعمره.. وفي كلامها جهل وجرأة واستخفاف !!

وشاهد سادس: ذهب (طارق الحبيب) - وهو طبيب نفسي - في برنامج (في أسبوع) يوم الجمعة الموافق (١١/٢/١٤٣٣هـ) على قناة: (إم بي سي) إلى جواز تهنتة الكفار بأعيادهم.

وشاهد سابع: خرج شخص يدعى (العلويط) في برنامج (حديث الخليج) على قناة الحرة يوم الجمعة الموافق (٢٨/٣/١٤٣٣هـ) يتحدث عن بدعة إغلاق المحلات في أوقات الصلاة تحدث فيها بجهل وخلط وخطب وكان مما قاله هذا المسكين: (إغلاق المحلات عمل فاضل لكنه ليس بمشروع) !!

(١) برنامج (كلام نواعم) على قناة (إم بي سي) يوم الأحد الموافق ١٦/٨/١٤٢٩هـ.

وشواهد أخرى تراها عندما تدخل الإنترت وترى الجرأة على الفتوى والحديث في الشأن العام لكل من أنشأ له موقعًا وسمى نفسه: فضيلة الشيخ !! هذا زماننا.. تحول إلى زمن الأصاغر والصعاليك والأقزام.

والأعظم في ظل الانحراف أن يفسد الدين، وتطمس معالم الشريعة، وتغير رسومها، إذا تصدر أهل الباطل، وارتقت ألوانهم.

وإذا كانت زلة العالم الصالح تهدم الدين، وتصد عن الحق، وتزين الباطل للعامة، فكيف ب الخلطات عالم السوء والباطل.

قال الشاطبي (ت: ٢٧٩هـ): (حضر السلف الصالح من زلة العالم، وجعلوها من الأمور التي تهدم الدين، فإنه ربما ظهرت فتطر في الناس كل مطار، فيعدونها ديناً، وهي ضد الدين، ف تكون زلة حجة في الدين)<sup>(١)</sup>.

ومن وجوه فساد الزمان وتغير الأحوال أن يكون الدعاة من أسباب نشر الانحراف في الأمة إما بالدعوة إليه وإما بالتنفير من دعوة الحق.

وأذكر لك في هذا المقام شاهدين:

أما الأول: فقد قدم الدكتور (محمد العريفي) حلقة عن الأضرحة على قناة (إقرأ) مما أغاظ القبورية الذين اتصلوا بأحد الدعاة المتسبين للسنة الذي استنكر على العريفي طرحة مثل هذه الموضوعات !!

وأما الثاني: فهو قيام أحد دعاة السنة في لندن بتدريس كتاب التوحيد لشيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) وهذا لم يرق لداعية في بلادنا إذ استنكر

(١) الاعتصام (٣٢١/٣).

عليه ذلك الحرص على تعليم تفاصيل العقيدة والتوحيد واستحب له الاقتصار على الأمور العامة في الدين !!

وهذا مبني على دعوة الجمع والتخليط التي يتبنّاها المتأثرون بمنهج الإخوان المسلمين، وصرّح بها أحدهم في برنامج (وجوه إسلامية) على قناة العربية إذ قال: (إنه يرفض تصنيف الأشخاص من خلال آرائهم وأفكارهم معتبراً أن المجتمع بجمعه أطباقه يعد إسلامياً !!) <sup>(١)</sup>.

ومثله: آخر جمع مقالاتٍ بينها مقالاتٍ لمنحرفين عقدياً وفكرياً بل بعضهم عُرف بتهجمه على الإسلام وأحكامه وجعلها في كتاب سماه: (النفّايس) !!! <sup>(٢)</sup>.

وصرّح بهذا المنهج التخلطي في موضع آخر حيث قال عن الواجب في هذا العصر: (السعى للإصلاح والاستخلاف في الأرض، بعقيدة السلفي، وحيوية الحركي، وعقلية الفكرى، ومنهجية الخططى، وروحانية التبليغي، ليكون الجميع على نفس واحد...) <sup>(٣)</sup>.

(١) برنامج (وجوه إسلامية)، قناة العربية، التاريخ (١٦/٩/١٤٣١هـ).

(٢) النفّايس، علي العمري.

(٣) رؤية تطويرية للصحوة الإسلامية، علي العمري، ص(١٢).

رَفِعُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ  
أَسْلَمَ اللَّهُ لِلْفَرْوَانِ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفِيع

بعن الرَّجَعِيِّ التَّجَنِّيِّ  
الْمُسْكَنُ لِلْمُتَّرِّ لِلْغَرْوَكَسِ  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## الفصل الثالث

# سبل مواجهة الانحراف

رَفِعٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَنْوَيِّ  
أَسْلَمَ اللَّهُ الْفَزُورُ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## أولاً: الرجوع إلى الكتاب والسنة.

عن علي رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله..». الحديث<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «أتاني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعده. قال: فقلت: فأين المخرج يا جبريل. فقال: كتاب الله..». الحديث<sup>(٢)</sup>.

ولذا من أراد النجاة في زمن الفتنة، فليلزم الكتاب والسنة، ولا يغتر بكثره الحالكين، ولا يستوحش من قلة السالكين، فإن مخالفه الجمهمور تحتاج إلى مجاهدة

﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِي نَهْدِيَنَّهُمْ شُبُّلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) متحدثاً عن نفسه: فلما أردت الاستقامة على الطريق، وجدت نفسي غريباً في جمهور أهل الوقت، لكون خططهم قد غلت عليها العوائد، ودخلت على سنته الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد، ولم يكن ذلك بدعاً في الأزمنة المتقدمة، فكيف في زماننا هذا؟ فقد روي عن السلف الصالح من التنبية على ذلك كثير، فعن أم الدرداء قالت: دخل أبو الدرداء وهو

(١) أخرجه الترمذى (٢٩٠٦)، وقال: غريب.

(٢) أخرجه أحمد (٧٠٤).

غضبان، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنهم يصلون جمِعاً<sup>(١)</sup>.

وعن الحسن قال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: قيام العلماء بالواجب.

أهل السنة مأمورون بعذابة أهل البدع، والتشريد بهم، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم<sup>(٤)</sup>.

وسكوت العلماء عن البدع وتفاضيهم عن المبتدةعة شرًّا عريض وعمل مذموم «لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيْنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَنْكِهِمُ الْسُّحْتُ لِئَسْ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» [المائدة: ٦٣] أي: بئس الصنيع صنيع الربانيين والأحبار في تركهم النهي<sup>(٥)</sup>.

ولا يمكن ظهور البدع والأهواء والعلماء يقومون بالواجب في رد البدع وفضح أهلها والتحذير منهم.

فالقاهرة لما كانت مع العباديين، وكانوا يظهرون التشيع، لم يتمكنوا من

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠).

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، ص (٧٤).

(٣) الاعتصام (١١/٢٠-٢٢).

(٤) الاعتصام (١١/٢١٠).

(٥) جامع البيان للطبراني (٩/٢٥٦).

ذلك، حتى منعوا من فيها من أهل العلم والدين من إظهار علمهم<sup>(١)</sup>.

وَوُصِّفَ السلف الصالحون والأئمة السابقون بالشدة على أهل البدع والصرامة معهم وهذا تجده مبثوثاً في ترجمتهم في كتب الأخبار. كما كان للعلماء والقضاة مواقف عملية في حماية الأمة من الانحراف.

فلم يتوان أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ت: ٢٤٠هـ) القضاء فرق حلق أهل البدع، وشرد أهل الأهواء من الصفرية والإباضية المغيرة، وكانوا فيه حلقاً، ينتظرون فيه، ويظهرون زيفهم، وعزّلهم أن يكونوا أئمة، أو معلمين لصبيانهم، أو مؤذنين، وأمرهم ألا يجتمعوا، وأدب جماعة منهم بعد هذا، خالفوا أمره، وأطافهم، وتوبّ جماعة منهم<sup>(٢)</sup>.

ونصر شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهمروي (ت: ٤٨١هـ) الدين والسنّة من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير، وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت، وسعوا في روحه مراراً، وعمدوا إلى هلاكه أطواراً فوقاه الله شرهم، وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه. وكان جذعاً في أعين المتكلمين، وسيفاً مسلولاً على المخالفين، وطُوّداً في السنّة لا تزعزعه الرياح<sup>(٣)</sup>.

ولما شهد شاهدان على باطني بأنه دعاهم إلى مذهبيه، أفتى الفقهاء بقتله منهم ابن عقيل الحنبلي، وكان من أشدّهم عليه، فقال له الباطني: كيف تقتلوني وأنا أقول لا إله إلا الله؟ قال ابن عقيل: أنا أقتلك، قال الباطني: بأي حجة؟ قال بقول

(١) منهاج السنّة (٦/١٧٩).

(٢) ترتيب المدارك، القاضي عياض (١/٣٤٧).

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث (٤٨١هـ-٤٩٠هـ) ص (٥٤).

الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤]. فقتل، وذلك في سنة (٤٩٠ هـ)<sup>(١)</sup>. وكان الشيخ الزاهد العابد (أبو بكر بن قوام بن علي بن معلى) (ت: ٦٥٨ هـ) شديد الإنكار على أهل البدع، لا تأخذه في الله لومة لائم، رجع به خلق كثير من الرافضة في بغداد وصحبوا<sup>(٢)</sup>.

وسعى الشيخ الحافظ (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسبي) (ت: ٧٠٨ هـ) عند أمير غرناطة ووصف له حال الفازاري وكان ساحراً ادعى النبوة وتبعه خلق فحوكم وحكم عليه الشيخ (أبو جعفر) بالقتل فقتل<sup>(٣)</sup>.

وفي زماننا كان لعلماء الآخرة جهودهم في نصرة السنة والذب عنها والرد على المخالفين من المبتدعة والمنحرفين دعاة التيارات المدamaة، فكان للإمام محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٨٩ م) جهوده في مواجهة الصوفية والرافضة والقبورية وحماية البلاد من عاديات الإلحاد والتغريب، ثم الشيخ عبد الرحمن الدوسري (ت: ١٣٩٩ هـ) والشيخ عبدالله بن حميد (ت: ١٤٠١ هـ) والشيخ عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠ هـ) والشيخ محمد بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) والشيخ بكر أبو زيد (ت: ١٤٢٩ هـ) والشيخ عبدالله بن جبرين (ت: ١٤٣٠ هـ) والشيخ صالح اللحيدان والشيخ عبد المحسن العباد والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد الرحمن البراك وغيرهم. تجد مواقفهم مبسوطة في فتاواهم وكتبهم وما تركوه من ثراث علمي عظيم.

(١) المتظم (٣٩/١٧).

(٢) تاريخ الإسلام، وفيات (٦٥١-٦٦٠) ص (٣٧٦).

(٣) الدرر الكامنة (٩٠-٨٩/١).

### ثالثاً: جهود الولاية والسلطين.

المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي من فاتهم خسروا خساراً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا<sup>(١)</sup>.

وذكر الشاطبي (ت: ٢٧٩٠هـ) أن الشريعة وعمل الصحابة والتابعين وخلفاء المسلمين دلّ على أنواع من العقوبات يجب القيام بها في حق أهل البدع والأهواء بحسب حال البدعة في نفسها، من كونها عظيمة المفسدة في الدين أو لا، وكون صاحبها مشتهرأ بها أو لا، وداعياً إليها أو لا، ومستظهراً بها أو لا. ومن تلك العقوبات: الإرشاد والتعليم وإقامة الحجة، والهجران وترك الكلام والسلام، والتغريب والضرب والسجن والقتل، والتكفير، والتجريح في الجملة فلا تقبل شهادتهم، ولا يكونون ولاة ولا قضاة ولا ينصبون في مناصب العدالة من إماماً أو خطابة، وترك عيادة مرضاهم، وترك شهود جنائزهم<sup>(٢)</sup>.

وإذا قام الولاية والسلطين بواجبهم في حماية الشريعة والذود عن العقائد: نشرأ للسنة، واتباعاً لسلف الأمة، ومنعاً للبدع، وتأدبياً للمبتدعة، كان ذلك من أعظم أسباب حماية الأمة من الانحراف.

ولبعض الولاية والسلطين في القديم والحديث جهود واضحة في حماية الشريعة والمحافظة على عقائد المسلمين.

(١) السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص (٢١).

(٢) الاعتصام (١/٢٩٨-٣٠٤).

أما في القديم:

فقد [أدب] عمر رضي الله عنه (صبيغاً) لـ قدم المدينة وأخذ يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت. قال: أنا عبدالله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أحد في رأسي [١].

وثبت أن علياً رضي الله عنه أحرق غالبية الرافضة الذين اعتقادوا فيه الإلهية [٢].

وكان خالد بن عبدالله القسري (ت: ١٢٦هـ) أمير خراسان شديداً على أهل الأهواء فقتل نفراً منهم، فقتل بيان بن سمعان التميمي (ت: ١٢٠هـ) وهو من غلاة الشيعة القائلين بإلهية علي رضي الله عنه [٣]. وقتل المغيرة بن سعد العجلي (ت: ١٢٠هـ) لما دعى النبوة وغلا في حق علي رضي الله عنه [٤].

وكان الخليفة العباسي محمد بن عبدالله بن محمد الهاشمي الملقب بالمهدي (ت: ١٦٩هـ) قصاباً في الزنادقة، باحثاً عنهم، معادياً لأولي الضلالة حنقاً عنهم، وأفني منهم خلقاً كثيراً، ولما رفع أهل البدع رؤوسهم، وأخذوا في الجدل، أمر بمنع الناس من الكلام، وأن لا يخاض فيه، وكتب إلى الأمصار يزجر أن يتكلم

(١) آخر جه الدارمي (٥٤/١).

(٢) الفتاوي (٤٧٥/٢٨).

(٣) ميزان الاعتدال (٣٥٧/١).

(٤) ميزان الاعتدال (١٦٠/٤).

أحد من أهل الأهواء في شيء منها<sup>(١)</sup>.

ثم جاء بعده ولده موسى الملقب بالهادي (ت: ١٧٠ هـ) فعمل على استئصال الزنادقة وتتبعهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وكان والده المهدي أو صاه بقتل الزنادقة<sup>(٢)</sup>.

ثم جاء بعده أخوه هارون الملقب بالرشيد (ت: ١٩٣ هـ) فكان يحب العلماء، ويعظم حرمات الدين، ويكره المراء والجدال في الدين ومعارضة النصوص. ويقول: إنه لخلق أن لا ينتهي خيراً. وبلغه عن بشر المرسيي القول بخلق القرآن، فقال: لئن ظفرت به لأضررين عنقه.

ولذا قال الفضيل بن عياض لأحد أصحابه: الناس يكرهون هارون، وما في الأرض أعز علي منه، لو مات لرأيت أموراً عظاماً. وقال أيضاً: ما من نفس تموت أشد على موتاً من هارون أمير المؤمنين، وللوددت أن الله زاد في عمره من عمري، فكبر ذلك على الناس، فلما مات هارون وظهرت تلك الفتنة، وجاء المؤمنون بعده وحمل الناس على القول بخلق القرآن، قلنا: الشيخ كان أعلم بما تكلم به<sup>(٣)</sup>.

(١) السير (٧/٤٠٠-٤٠٣). البداية والنهاية (١٣/٥٥٣). تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص (٣٧٣).

(٢) السير (٧/٤٤٣). البداية والنهاية (١٣/٥٥٣). تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص (٣٨٢).

(٣) تاريخ بغداد (١٦/١١-١٨). تاريخ الخلفاء، ص (٣٨٨).

وفي سنة (٣١٣هـ) بلغ الخليفة العباسي المقتدر بالله أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثا، فينالون من الصحابة، ولا يصلون الجمعة، فأمر بالاحتياط عليهم، واستفتى العلماء في المسجد المذكور، فأفتوا بأنه مسجد ضرار يهدم كما هدم مسجد الضرار، فضرب منهم من قدر عليه الضرب المبرح، ونودي عليهم، وأمر بهدم المسجد وجعل مكانه مقبرة<sup>(١)</sup>.

واشتهر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ (ت: ٣٢٨هـ) يقرأ الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف، ويتبع الشواد فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس، فوجه السلطان فقبض عليه، واستتب فأبى أن يتوب، فأشار القضاة والفقهاء بعقوبته بما يضطره للرجوع، فأمر بتجريده وضربه بالدرة على قفاه، فضرب ضربا شديدا فلم يصبر، واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة فخلي عنه، وأعيدت عليه ثيابه واستتب، وكتب عليه كتاب بتوبته وأخذ فيه خطه بالتوبة<sup>(٢)</sup>.

ولما أقرأ المقرئ محمد بن الحسن بن يعقوب البغدادي (ت: ٣٥٤هـ) بحروف تخالف الإجماع، أنكر عليه، ورفع أمر إلى الخليفة، واستتب بحضوره الفقهاء والقراء وكتب عليه محضر بتوبته<sup>(٣)</sup>.

ولما عظم شأن الباطنية في القرن الرابع والخامس تتبعهم السلطان السلاجوفي (بركيا روق) أمير خراسان (ت: ٤٩٨هـ) وقتل خلقاً منهم من تحقق

(١) المستظم (٤/١٤). البداية والنهاية (١٥/١٨).

(٢) تاريخ بغداد (٢/١٠٤).

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث (١٥٣٥هـ-٢٨٠هـ) ص (١١٤).

مذهبه ومن اتّهم به، فبلغت عدّتهم ثمانٰة و نيف <sup>(١)</sup>.

وفي سنة (٤٤٨هـ) أمر الخليفة بإلزام الروافض بترك الأذان بحى على خير العمل، وأمرّوا أن ينادي المؤذنون في الصبح بعد الحיעتين: الصلاة خير من النوم، وأزيل ما كان على أبواب مساجدهم ومشاهدهم وأبوابهم من كتابة: محمد وعلى خير البشر، ففعلوا ما أمرّهم به خوف السلطة وقوتها <sup>(٢)</sup>.

ولما رأى سلطان المغرب (علي بن يوسف بن تاشفين) ملك المرابطين (ت: ٥٣٧هـ) - وكان ورعاً صالحاً ممعظاً للعلماء - تكاسل الناس عن الحديث والآثار، وقد استحکم في ذهنه أن الكلام بدعة ما عرفها السلف كتب يتهدّد ويأمر بإحرق الفلسفه، وكتب يأمر بإحرق كتب أبي حامد الغزالي ويتوعد من كتمها <sup>(٣)</sup>.

وكان ظهير الدين (أبو بكر منصور ابن العطار الحراني) (ت: ٥٧٥هـ) وزير الخليفة العباسى المستضيء بالله نعمةً وعذاباً على الرافضة <sup>(٤)</sup>.

ولما دخل السلطان (محمد بن سبكتكين) (ت: ٤٢١هـ) <sup>(٥)</sup> الري قتل

(١) المتنظم (١٧/٦٢). مرآن الجنان (٢١٩/٢).

(٢) الكامل (٦/١٩٣). البداية (١٥/٧٣٦).

(٣) السير (٢٠/١٢٤).

(٤) السير (٢١/٨٤).

(٥) قال شيخ الإسلام: (ولما كانت مملكة محمود سبكتكين من أحسن ممالك بنى جنسه كان الإسلام والسنّة في مملكته أعز، فإنه غزا المشركين من أهل الهند ونشر من العدل مالم ينشره مثله، فكانت السنّة في أيامه ظاهرة والبدع في أيامه مقموعة). مجموع الفتاوى (٤/٢٢).

الباطنية، ومنع سائر الفرق من الكلام على المنابر، غير أبي حاتم بن حاموش وكان مقدم أهل السنة بالري، وأمر السلطان من دخل الري من سائر الفرق أن يعرض اعتقاده على أبي حاتم، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإنما منعه<sup>(١)</sup>. وكان (محمود بن سبكتكين) من خيار الملوك وأعد لهم، وكان من أشد الناس قياماً على أهل البدع لا سيما الرافضة، فإنه أمر بلعنتهم ولعنة أمثالهم في بلاده، وكان الحاكم العبيدي بمصر كتب إليه يدعوه، فأحرق كتابه على رأس رسوله، ونصر أهل السنة نصراً معروفاً عنه<sup>(٢)</sup>.

فإن قلت: ولم كان موقف الولاة والخلفاء من الانحراف والمنحرفين صارماً وقوياً؟ فذاك لأن ظهور الانحراف سبب للفرق والخلاف، وطريق للفتن والقلائل، وسبيل لمناذعة السلطة ومنازلة السلطان، والسياسة والخصافة تقضي بالمحافظة على الدولة مما يقوض أركانها أو يهدم بنائها، ولا يكون ذلك إلا بالحزم والضبط وفرض السلطة.

وفي زماننا كان للملك عبدالعزيز آل سعود (ت: ١٣٧٣هـ) جهوده في نشر السنة وقمع البدعة ومواجهة الانحراف، فقد قضى على كل مظاهر الشرك والبدع بهدم الأضرحة والقباب المقامة على القبور في زمانه.

فقد أمر بهدم القباب المبنية على القبور في مكة المكرمة بعد دخوها كالقبة المبنية على قبر خديجة في الحججون، وقبة قبر ميمونة في طريق النورية، وغيرها<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ الإسلام، حوادث (٤٨١-٤٩٠هـ) ص (٥٨).

(٢) منهاج السنة (٢/٤٢٩-٤٣٠).

(٣) عنابة الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (٦٦-٦٧).

ولما دخل جدة أمر بهدم القبة المنسوبة لخواء، وقبة قبر الشيخ العلوية، القريب من باب مكة، وضريح الشيخ أبو سرير في آخر سوق ندا، وقبر الشيخ أبو حنة، ومقام الشيخ أبو عنبة، وقبر الإمام الشهير المعروف بالمظلوم، كما أمر بإغلاق الزوايا المنسوبة للطرق الصوفية<sup>(١)</sup>.

كما أنه حرص على هدم القباب المبنية على قبور بعض الصحابة وغيرهم في البقيع في المدينة المنورة، وكذا القبة المبنية على قبر عبدالله بن السمار في نجران. كما أمر بهدم صنم ذي الخلصة في منطقة تبالة قرب بيشة، ونكل بسدينتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا البنائها<sup>(٢)</sup>.

وأصدر رحمة الله أمره بمنع سب الصحابة في مناطق الرافضة، كما منع الذكر الجماعي بعد الصلوات<sup>(٣)</sup>.

وبالجملة فإن الملك عبدالعزيز نشر مذهب السلف ليس في الجزيرة العربية وحدها بل في العالم الإسلامي كله وذلك بطباعة الكتب ونشرها وبعث الدعاة وإرسالها.

ومن الولاة الذين كان لهم جهودهم في مواجهة الانحراف الملك فيصل بن عبدالعزيز (ت: ١٣٩٥هـ) رحمة الله، فقد انتشرت في زمانه المذاهب الفكرية المنحرفة كالقومية والشيوعية والبعثية... فواجهها رحمة الله في بلاده بقوة وحزم وتمكن على الرغم من قوتها من دحرها وهزيمتها.. وتجاوزت جهوده رحمة الله

(١) أعلام الحجاز، محمد المغربي (١٨١-١٨٤/٣).

(٢) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (٧١-٧٢).

(٣) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، ص (٧٣).

إلى مواجهة تلك المذاهب على مستوى العالم الإسلامي إذ تبني فكرة الدعوة إلى التضامن الإسلامي ورفع لواء الإسلام والدعوة الإسلامية مواجهة للقومية العربية.. وأقام في سبيل ذلك المؤتمرات وأنشأ الجامعات وبث الإذاعات وبذل جهوداً عظيمةً في سبيل ذلك.

ومن الولاة الذين كان لهم جهودهم في مواجهة الانحراف الملك فهد بن عبد العزيز (ت: ١٤٢٦هـ) رحمه الله فقد كان لخزمه وقوته أثر واضح في قمع البدعة ووأد الانحراف ولم يكن أحد في زمانه يجراً على إظهار المخالفه والإعلان بالبدعة. كما كانت له جهوده العظيمة في الدعوة إلى مذهب السلف الصالح في العالم الإسلامي.

#### رابعاً: ضبط الفتوى ومنع المتلاعبين بها.

ينبغي لإمام المسلمين أن يتصرف أحوال المفتين، فمن كان يصلح للفتوى أقره عليها، ومن لم يكن من أهلها منعه منها وتقديم إليه بأن لا يتعرض لها وأواعده بالعقوبة إن لم ينته عنها، وقد كان الخلفاء من بني أمية ينصبون للفتوى بمكة في أيام الموسم قوماً يعينونهم، ويأمرون بأن لا يستفتى غيرهم.

والطريق للإمام إلى معرفة حال من يريد نصبه للفتوى أن يسأل عنه أهل العلم في وقته، والمشهورين من فقهاء عصره، ويعول على ما يخبرونه من أمره<sup>(١)</sup>.

قال ربيعة بن عبد الرحمن (ت: ١٣٦هـ) شيخ الإمام مالك: ولبعض من

(١) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي (٢/٣٢٤).

يفتي هنا أحق بالسجن من السراق<sup>(١)</sup>.

وفي زماننا: كان العلماء يمنعون من ليس من أهل الفتوى من التصدر لها، ويدرك في هذا المقام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٨٩هـ) الذي كان يمنع المطاولين ويؤدب التجاوزين، جاء في كتاب له لأحد المتصرفين لفتياً من ليس من أهلها: (الداعي إلى الكتابة لكم أنه تكرر منكم تدخلكم فيما أنتم في غنى عنه فضلاً عما فيه من التنافي مع ما يقتضيه التقى والورع من وجوب استبراء العبد لدينه وعرضه، وذلك رأيكم في التصديق للعامة بإفتائهم في مسائل الطلاق بما هو عليه خلاف ما عليه الفتوى وما اشتهر القول به لدى جمهور العلماء، ومرجوحيته ظاهرة لدى المحققين من أهل العلم).

فتأمل منك بارك الله فيك الكف عن إرباك العامة بفتاوي شاذة أو مرجوحة، ومتى تقدم إليك من يطلب الفتوى فعليك بالإشارة لهم إلى الجهة المختصة بالفتاوي، ونرجو أن يكون لديك من أسباب احترامك لنفسك ما يغنينا عن إجراء ما يوقفك عند حدرك<sup>(٢)</sup>.

ولما أعلن (عادل الكلباني) جواز الغناء رد عليه وأبطل قوله سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ صالح الفوزان.

(١) بدائع الفوائد (٣/١٢٨٧).

(٢) فتاوى محمد بن إبراهيم (١١/٣٦).

### خامساً: المحافظة على مراسم العلم الشرعي.

من سبل مواجهة الانحراف المحافظة على مراسم العلم الشرعي، والمحافظة على مراسم العلم الشرعي تكون بالمحافظة على معاهده ومدارسه ومناهجه حتى يكون صافياً لا يكدره الدخاء ونقياً لا يعكره الأدعية.

وعندما نتحدث عن القيام بالفضائل ورعاية الواجب وتحمل المسؤولية فإننا سنجد شواهد حاضرة في شخصية الإمام محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٨٩هـ) الذي حافظ على مراسم العلم الشرعي في زمانه حتى امتدت بركته إلى زماننا.

حافظ الشيخ محمد بن إبراهيم على مراسم العلم الشرعي لما تصدى للتدريس في مسجده وفق منهجية محددة تخرج على يديه علماء أجياله، أُسندت إلى بعضهم مسؤوليات الجهات الدينية: الإفتاء، الجامعة الإسلامية، القضاء، تعليم البنات، الهيئات وكانت سيرتهم محمودة وطريقتهم مرضية رحم الله الأموات ومتّع بالأحياء متاعاً حسناً.

حافظ الشيخ محمد بن إبراهيم على مراسم العلم الشرعي لما افتح المعاهد والجامعات وأُسند مسؤوليتها إلى الأكفاء والأمناء من تلاميذه.

ولما أثار المغرضون في وقته زوبعة عن المعاهد العلمية فطالبوا بضمها إلى وزارة المعارف كان لهذا الإمام موقف حازم في وأد هذه الزوبعة والمحافظة على هذه المعاهد.

وعلى الرغم من انتشار المذاهب المترفة والتيارات الإلحادية وضعف الدين في زمانه إلا أنه رحمه الله رحمة واسعة استطاع أن يتجاوز بتوفيق الله وفضله

مراسم العلم الشرعي إلى بر الأمان وأن يحافظ عليه من الامتهان.

ولذا فاختراق مراسم العلم الشرعي ومناهجه ومعاهده بوابة الانحراف ونافذة لزلزلة الأمان الفكري والعقدي في المجتمع. ويكون ذلك بأن يقوم على المعاهد والجامعات من غير الأمان والأكفاء فيسيروا بها سيرة غير مرضية فتفقد هيبتها وتضعف مكانتها وتتصبح خاوية من المعاني وإن كانت عظيمة المباني !!

ويكون ذلك بمحاكمة علوم الطب والهندسة وغيرها لعلوم الشرعية بإنشاء كليات لها في الجامعات الشرعية فيكون الاهتمام بها ويعاقبه ضعف كليات الشرعية شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى ما وصلت إليه في دول سبقت إلى مثل هذا العمل.

لقد درست في الأزهر ما يقرب من عشر سنوات فعايشت ورأيت تأثير محاكمة علوم الطب والهندسة لعلوم الشرعية، إذ أصبحت كليات الشرعية وأصول الدين واللغة العربية ضعيفة في مبانيها وخرجانها وطلابها وأساتذتها.

وحذر الشيخ العلامة (عبد المحسن بن حمد العباد البدر) من إنشاء كليات دنيوية تزاحم الكليات الشرعية في الجامعة الإسلامية مما يؤدي إلى إضعافها، في بيان له بعنوان: (من ذكرياتي عن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بعد مرور نصف قرن على إنشائها)..

كما نشرت الصحف المحلية بتاريخ (٧/٧/١٤٢٩هـ) مقالاً لمعالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان) بعنوان: (لماذا يفتح في الجامعات الإسلامية كليات مدنية، ولا يفتح في الجامعات المدنية كليات شرعية) استنكر فيه إنشاء كليات للطب والهندسة في الجامعات الشرعية.

وإنني أناشد الغيورين على علوم الشريعة وأطالب حراس الأمن الفكري أن يبادروا إلى إيقاف هذه الخطوة غير السديدة حمايةً لبناء العلم الشرعي أن يقوّض وسياجه أن يهدم، فتنفذ حيئذ الأفكار والتيارات والمذاهب المحرفة.

ويكون اختراق مراسيم العلم الشرعي بإضعاف مناهجه ومواده بأن تصبح أوراقاً ومذكرة يحفظها الطالب ثم يرمي بها عند قاعة الامتحان.. ويبتعد عن الكتاب التأصيلي والمنهجي فيجهل لغة العلم وطريقة العلماء ويستوحش من القراءة فيها.

أو تقرر عليه مواد الكيمياء والفيزياء... وتخفض نسبة العلوم الشرعية أو يستبعد بعضها!! ولعلك تتساءل ما حاجة القاضي الشرعي أو مدرس العلوم الشرعية إلى دراسة الكيمياء والفيزياء؟!!

أو يُبعث طلابها للدراسة علوم الشريعة واللغة العربية في جامعات الغرب ومعاهده!!

إن الأمن الفكري لا يمكن أن يتحقق إلا إذا جرى المحافظة على مراسيم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه<sup>(١)</sup>.

فإن قلت: وهل للمحافظة على مراسيم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه علاقة بلجم الانحراف الفكري والعقدى؟

(١) كتبت عدة مقالات حول تراجع الجامعات والمعاهد الشرعية علمياً ودعوياً وإدارياً، منشورة على الشبكة العالمية منها:

- مقال بعنوان: (الأثار السيئة لخلع باب الجامعة الإسلامية بالمدينة في عهدها الجديد)، للشيخ العلامة عبد المحسن العباد البدر.

فأقول: إن من أعظم أسباب تحقيق الأمان الفكري والعقدي حفظ مراسيم العلم الشرعي ومعاهده ومناهجه.

وهل هذا الكلام مرسل من غير حجة، ومطلق من غير برهان؟ كلا بل دلّ عليه واقع العالم الإسلامي، لما أسندت الجهات الشرعية ومعاهدها وجماعاتها إلى غير الأكفاء في تلك البلاد.. زهد الناس فيها وأعرضوا عنها وذهبوا يبحثون عن مرجعيات يثقون بها ويرونها أهلاً فانتشرت المذاهب وفشت التيارات وغلبت التوجهات..

وإذا انتقضت عرى التعليم الشرعي وأضعفت جامعاته ومعاهده تحت دعاوى التطوير أو التحديث... فسيرى الناس بعد زمن لن يكون بعيداً كيف ستكون تلك الجامعات والمعاهد مسرحاً للأفكار والتوجهات المنحرفة.

رَفِعُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ  
أُسْكَنَهُ اللَّهُ الْفَزُورُ كَرَمٌ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## المخاتمة

### النتائج:

- ١- يعظم الانحراف، وتنشر البدعة، ويتشي المبتدة، إذا سكت علماء السنة عن بيان الحق ورد الباطل وتحذير المجتمع منه.
- ٢- إذا ضعف سلطان الشريعة سيظهر الإلحاد والجهر به وسيكون في الأمة من يدعى الألوهية أو النبوة أو المهدية أو دعوة مخلطة لا عنوان لها.
- ٣- من أعظم أسباب الضلال الإعراض عن الوحي والتولى عن سبيل المؤمنين.
- ٤- ضل من ضل في القديم والحديث بسبب الأخذ عن الفلاسفة والاطلاع على كتبهم.
- ٥- إحياء تراث الفلاسفة: درساً وقراءةً .. دعوة ضالة تستهدف التشكيك في العقيدة وصرف الناس عن الوحي.
- ٦- نأى السلف الصالح بأنفسهم عن الفتن وتباعدوا عن أهلهما ومواطنهما طليباً للسلامة.
- ٧- من أسباب الانحراف: ترك الصبر المأمور به عند فشو المنكر أو حصول

الاستئثار بالمال.

- ٨ عرّض أناس أنفسهم للفتنة بالعزل أو الحبس فلم يصبروا فارتدوا على أدبارهم ونكصوا على أعقابهم، ففيهم عبرة بأن السلامة لا يعدها شيء.
- ٩ يُفتن الصغار في الغالب إذا تصدوا للتدريس أو الفتيا أو الكلام في الشأن العام.
- ١٠ ضَعُفَ اليقين عند أقوام فانبهروا بالجديد من الكتب أو الشخصيات أو الأحوال عند السفر والترحال فاستنكروا ما كانوا عليه من العقائد القوية والسلوك والأحوال السقيمة.
- ١١ ظهر لي أن هناك توجهاً قوياً يسعى إلى تقويض الأصول التي قامت عليها الدعوة السلفية: تصديراً للمبتدعة، وتهويناً من شأن البدع، وتنقصاً من علماء أهل السنة، مستخدماً دعوى وجود الخلاف، والحرص على جمع كلمة المسلمين.
- ١٢ لا تغتر بها عليه المبتدعة والمنحرفون من الذكاء أو البلاغة أو التنسك والزهادة فإن رؤوس المبتدعة في القديم كانوا كذلك.
- ١٣ صارت الأمور في عصرنا أشد تعقيداً، وأكثر التباساً.. فكثرت الرaiات وتعددت الشعارات، فانخدع بها المغفلون، وانطلت على السدنج، وسار خلفها الدهماء فأوردتهم المهالك ومواطن الفتنة فجذوا على أنفسهم وعلى أديانهم أعظم جنائية.
- ١٤ تكتل مجموعة المتكتسين وسموا أنفسهم بالتنويرين وهم في الحقيقة ظلاميون، وهم يدورون حول قضيّاً معينة: دعوةً والتزاماً، هي: التحامل على العلماء بوصفهم تقليديين جامدين، البراءة من التيار السلفي،

الحديث عن قضايا المرأة بضعف وانهزامية، ملاينة أهل البدع، الانفتاح على المنافقين، رفع شعارات: (الحرية، احترام الرأي الآخر، الحوار...). وهؤلاء الظلاميون امتداد لمدرسة الإخوان في جوانب كثيرة تجدها واضحة في كتاباتهم ومقالاتهم ومقابلاتهم.

15 - ظهرت مصطلحات: التعددية، الوصاية، النهضة، الحرية، الإصلاح الدينية... وروج لها المنافقون والمتبدعة لأنها تمكنتهم من الدعوة لأنحرافهم وتحميهم من الاحتساب والانكار... وانجرف في الدعوة لهذه المصطلحات بعض المتسبين للدعوة جهلاً أو عمداً، فالجاهل لا يدرك حقيقته ومضمونه وأثاره، والعامد يرى فيه نافذة لنشر فكره الجديد الذي يشير به.

١٦- من صفات طالب العلم المحافظة على الفرائض والتزام العبادة والإقبال على العبادة.. وضعف التعبد علامة سوء وبواة انحراف وسبيل للخذلان.. وعرف المنحرفون في القديم والحديث بالتساهل في الفرائض وهجر المساجد وتعطيل الجماعات.

١٧ - من أسباب الانحراف: فساد النية وسوء القصد، وعلامته: طلب العلم للرياسة والمنصب وقصد العلو في الأرض. وغياب السمت والهدي الصالح وأخلاق النبوة عن أهله.

١٨- يكثر القراء في آخر الزمان لا كثراهم الله فتعظم فتنتهـم: دعوةً للباطل،  
وتلبيساً للحق، ومناصرةً لأهل الباطل، ونكـابةً بأهلـ العلم.

١٩- طالب العلم يكون متواضعاً متطاماً، مختبأً وجلاً، يبذل علمه وينشر دعوته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، صاحب عبادة وتألهه، ينفع

الناس ويحب الخير لهم، سليم الصدر مخوم القلب، ورعاً متغفلاً.

٢٠ - من طلب العلم للمدارس والإفتاء والفسر والخيلاء، تحامق، واحتال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقته الأنفس.

٢١ - كان السلف يتحرون السلامة وينشدون النجاة ويقفون عند حدود ما علموا، ولم يكن أحدهم يجد غضاضة في قول: لا أعلم، ولا أدرى. وتصدّر الفتيا والمسارعة إليها من صور طلب الشرف في الدنيا وهذا كره السلف الصالح الجرأة على الفتيا والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها.

٢٢ - المتسابقون إلى الفتوى والمسارعون إليها يحرمون التوفيق، ولذا صدرت من بعضهم فتاوى تخالف النصوص الصرحة أو الإجماع.

٢٣ - من أسباب وقوع بعض المفتين في الغلط دعوى أنهم مجتهدون وأن لهم النظر في الأدلة والترجيح بينها ولذا وقعوا في مخالفة المتقدمين. وقلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا من أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غلطاً أو مغالطة.

٢٤ - تقوم الفتوى عند بعض المتصدرين لها على تقديم الاستحسان أو المصلحة المتشوّه أو مسايرة الواقع على النص الشرعي. وهؤلاء امتداد للمدرسة المصرية (مدرسة العقل أو الرأي) التي تجد معالها واضحة في كتب وفتاوي محمد الغزالى ويوسف القرضاوى.

٢٥ - من أسباب الانحراف تطلب الرياسات والبحث عن المكانة والعلو في الأرض. وذلك أن الرياسات إن لم تحصل بقى القلب منشغلاً بها، فيندفع صاحبها إلى التملق والتزلف طلباً لها، وربما باع دينه لأجلها، فإن لم

يتحصل عليها مات كمداً وقضى غيظاً وحنقاً، وإن حصل عليها -بعد تطلب واستشراف- لم يعن عليها ووكل إلى نفسه فكانت سيرته فيها غير مرضية.

٢٦- يشهد التاريخ أن المتعلقين بالسياسات تتغير عليهم الأحوال وتتقلب بهم الأيام وتنزل بهم الدوائر خاصة إذا كانوا غير محمودي السيرة.. معهم ظلم وسوء وفساد.

٢٧- يدعى بعض طلاب العلم معرفة الله وطلبه والإعراض عن سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم وإحسان ظنهم بهم وكثرة أتباعهم، والتعاظم بذلك على الناس.. فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتکبرون على أحد.

٢٨- يشرع للعالم الدخول على السلطان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر أو واعظاً ومذكراً إن كان قادرًا على ذلك مع أمن الفتنة. أما الدخول لغير هذا المقصود فلم يكن من منهج السلف ولا عملهم. بل عظم تحذيرهم واشتد نكيرهم على من فعل ذلك.

٢٩- من علامات أهل البدعة والفرقة والنفاق أنهم يصنفون لأهل المال من الملوك والوزراء وغير ذلك، ويقتربون إليهم بالتصنيف فيما يوافقهم.

٣٠- من المراء المنهي عنه ما يجري في المنتديات والمطارحات من مناقشات للتغلب على الخصم وإظهار الحجة من غير قصد الحق وبيانه، ومن ضل في زماننا عُرف بكثرة المراء والجدال على هذا الوجه.

٣١- من أسباب الانحراف الغرور والإعجاب بالنفس، وعلامة النيل من

العلماء ولز الكبار، وهذا شأن المنحرفين في القديم كما هو شأنهم في الحديث.

٣٢- اتفق المنحرفون من المنافقين والظالمين وسائر أهل الأهواء على التعرض لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ودعوته التجديدية خاصة في السنوات الأخيرة في اجتماع مريب واتفاق مشبوه!!!

٣٣- من أسباب الانحراف مصاحبة أهل البدع والتلقي عنهم، وقد اغترت الناشئة ببعض هؤلاء فضلوا عن سوء السبيل.

٣٤- يعجب المرء كيف تفتح الجامعات والقنوات والصحف للمبتدعة وأهل الأهواء!! في حين أنه لا يمكن لأي سلفي أن يخترق حصنون المبتدعة وقلاعهم!!

٣٥- يأسف الموحد عندما يرى عدداً من الدعاة يزرون الرافضة والصوفية والمنافقين ويجالسونهم ويتخذونهم أصحاباً وأخذانا، ويداهونهم تقرباً وتودداً.

٣٦- تحمل قناة دليل توجهاً يوجب التنبيه والتحذير يتمثل في أن القناة نافذة لأهل الأهواء والبدع: ترويجاً لبدعتهم، وإزالة للوحشة منهم.

٣٧- يعمل الشيخ المدو من خلال برامجه وفتواه على تقويض قواعد أهل السنة في التعامل مع أهل الأهواء والبدع.

٣٨- إذا ظهر أهل البدع وجاهروا بدعوتهم وصاحب ذلك تقرب الخلفاء لهم ووقر لهم منهم انتشار الانحراف في الأمة وإذا كان أهل البدع أمراء ووزراء وقضاة.. عظمت فتتهم وامتد أثرهم في الناس.

٣٩- ثبت من خلال التتبع والاستقراء أن المبتدعة والمنحرفين لهم أثر وتأثير في

زرع المناهج الدعوية الوافية كمنهج الإخوان المسلمين وزرع المذاهب البدعية كالمذهب الأشعري الصوفي.

٤٠ - فتح الشيطان على المنحرفين الأخذ بالرخص شيئاً فشيئاً حتى تركوا الدين وانسلخوا منه. ولذا حذر السلف رحهم الله غاية التحذير من الأخذ بالرخص وتبعد زلات العلماء.

٤١ - من آثار الانحراف على الفرد: التخبط والقلق، الشك والارتياح، النكوص على العقدين، الخيبة والحرمان، الذل والهوان، التلون والتنقل، الإلحاد.

٤٢ - من آثار الانحراف على عموم الأمة: وقوع الفتنة والقلاقل، التفرق والاختلاف، سقوط الدول وزوال الملك، تسلط الأعداء، فساد الزمان وتغير الأحوال.

٤٣ - الانحراف بأنواعه يهدد الأمن الفكري ويقوض بناءه وينشر الفوضى العامة في المجتمع.

٤٤ - لا يصح التفريق بين أنواع الانحراف فيقبل منه نوع ويمرد منه أنواع، أو يواجه صنف ويترك صنف آخر، لأن الانحراف كل لا يتجزأ وبعضه يتولد من بعض ولذا لا يمكن تحقيق الأمن الفكري إلا بمواجهة الانحراف بأنواعه كلها.

٤٥ - موانع الانحراف عند الناس: الدين والعقل والسلطان. فمن الناس من يمنعه دينه، ومنهم من يمنعه عقله، ومنهم من لا دين ولا عقل، فلا بد من سوط السلطان لمنعه.

## التوصيات:

- ١ - يجب على من بسط الله يده القيام بالواجب في حماية الشريعة والذب عنها ومنع المنحرفين من الدعوة إلى انحرافهم ونشره في الناس.
- ٢ - يجب على الولايات الدينية تتبع نشاطات المنحرفين من المبتدعة وغيرهم والاحتساب عليهم.
- ٣ - يجب على الأغيار من حملة الشريعة بيان الحق، والرد على المخالفين، والتشنيع على المبتدعة: حمايةً للشريعة، وقياماً بالواجب، ونصيحةً للMuslimين.
- ٤ - يجب تقرير مادة في آداب طلب العلم وحلية طلابه في الجامعات والمعاهد الشرعية حتى لا يكون العلم عرياً عن الأخلاق مجردًا من الآداب.
- ٥ - يجب المحافظة على مراسيم العلم الشرعي ومعاهده وجامعاته وإسنادها إلى الأئمة من أهل العلم والدين وحمايتها من الضعف والإضعاف حتى لا تخترق من أهل الأهواء، أو يكون المتخرجون منها خواطئ لا يستفاد منهم في تثبيت السنة والذب عنها.
- ٦ - يجب على العلماء استشعار مسؤوليتهم والقيام بواجبهم بيان الحق وعدم تأخيره عن وقت الحاجة.
- ٧ - يجب على أهل العلم التصدي للتدرис والإفتاء وإعداد الطلاب المؤهلين لقطع الطريق على الأدعية.
- ٨ - توجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة الاتجاهات الفكرية المعاصرة تمثلها شخصيات في كتبها وبرامجها ومقالاتها.. وكذا دراسة اتجاهات

بعض القنوات الفضائية ليكون في ذلك مواجهةً للانحراف وتحذيرًا منه.

٩- توجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة تأثير المبتدعة والمنحرفين من الراشدين ونواخذ ذلك ومظاهره.

١٠- يجب على من يتولى التدريس والإفادة أن يكون قدوة لطلابه: تواعضاً وتنسقاً وجمعياً بين العلم والعمل.

١١- يتعين منع وسائل الإعلام من استكتاب المبتدعة أو استضافتهم أو تقديمهم حمايةً للمجتمع من شرهم.

١٢- إذا التبس الحق بالباطل، ولم يتبين الحق والصواب، وما جلت الفتنة بأهلها فأقبل على نفسك، والزم جادة الراغبين في السلامة: عزلةً وصمتاً.

١٣- إياك أن تنخدع بما يرفع من رايات، والزم الجماعة، واتبع أهل العلم الراسخين فيه، فإنه لا يتورط مع أصحاب تلك الرايات إلا الهمج والرعاع.

١٤- احذر من الانساب للجماعات والأحزاب التي تجعل نفسها محوراً لللوعاء والبراء وقاعدةً للانطلاق وقبلةً للقصد والتوجه فإن هذا يعارض أصل التكليف ويناقض مقتضيات الإيمان.

١٥- يتعين حماية البلاد من تأثير المبتدعة الراشدين ومنعهم من الدعوة إلى باطلهم والاستغناء عنهم في الجامعات خاصة.

والنصيحة لمن أراد النجاة أن يقبل على نفسه، فيزكيها بالعبادة، ويخلصها بالعلم، ويزينها بالعمل، ومحذر من التعلق بالمال أو الرئاسة، ويخلص القصد، ويحيرد النية، ويرتقي في كمالات التأله، مع اللهج بسؤال الله الثبات حتى الممات.

ولنعلم أن التاريخ لا يجامِل أحداً، فمن الناس من تدركه رحمة ربه فيسدل عليه ستّره، ويرفع له ذكره، ويكون له لسان صدق في الآخرين، وأخر يحرّم الرحمة فيهتك ستّره، وتذكّر معایيّه، وتشهّر مثالّه. فاللهم رحّمك.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومحاجنة الفرق المذمومة، ابن بطة العكوري، ت: غسان معطي، دار الراية، الرياض، ط ٢، ١٤١٥ هـ.
- ٢- ابن تيمية الذي افترى عليه الوهابيون، أحمد الساigh، دار الأشراف، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- ٣- أحاديث في ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المقرئ، ت: ناصر الجديع، دار أطلس، الرياض، ط ١٤١٧، ١ هـ.
- ٤- الاحتساب المدنى، الدكتور محمد العبدالكريم، الشبكة العربية للنشر، بيروت، ط ١٤١١ هـ.
- ٥- أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ت: يوسف البكري وشاكر العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط ١٤١٨، ١ هـ.
- ٦- الاختلاط بين الجنسين في الميزان، خالد السبت، دار المنهاج، الرياض، ط ١٤٣٢ هـ.
- ٧- الآداب الشرعية، ابن مفلح، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٢١ هـ.

-٨ آداب طالب العلم، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ.

-٩ أدب الطلب ومتنهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥ هـ.

-١٠ إرسال الشواطئ على من تبع الشواذ، صالح الشهري، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٨ هـ.

-١١ الإرهاب في جزيرة العرب، إسحاق يعقوب، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨ م.

-١٢ الإرهاب... مفهومه، أشکاله، صوره، عبدالحليم بلال وعبدالله البكري، ط١، ١٤٣٠ هـ.

-١٣ الإستقامة، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوى، مصر، ط١، ١٤٢٠ هـ.

-١٤ الاستيعاب فيما قيل في الحجاب، فريح البهلال، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٧ هـ.

-١٥ الأسطورة والتراث، سيد محمود القمني، سينا للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣ م.

-١٦ الإسلام والمرأة، أحمد زكي يهانى، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٤٢٥ هـ.

-١٧ الإسلاميون سجال الهوية والنهضة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٨ م.

-١٨ أسماء القائلين بوجوب ستر الوجه من غير النجدين، سليمان الخراشى،

دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٧ هـ.

١٩ - أشواق الحرية، نواف القديمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٩ م.

٢٠ - إصلاح الفكر الديني أولاً، يعقوب محمد إسحاق، من غير ناشر، ط١، ٢٠٠٦ م.

٢١ - الاعتصام، الشاطبي، ت: هشام الصيني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٩ هـ.

٢٢ - أعلام الحجاز، محمد علي المغربي، مطبعة المدنى، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠ هـ.

٢٣ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: مشهور سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٢٤ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: مشهور سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٢٥ - إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ت: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢ هـ.

٢٦ - اغتيال العقل، برهان غليون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٥، ٢٠٠٩ م.

٢٧ - اقتضاء الصراط المستقيم خالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، ت: ناصر العقل، دار العاصمة، الرياض، ط٦، ١٤١٩ هـ.

٢٨ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن الفراء، ت: محمد الشنقيطي، دار البخاري، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨ هـ.

- ٢٩ الانحرافات العقدية والعلمية، علي الزهراني، دار طيبة، مكة المكرمة، ط ١٤١٨، ٢٠١٤هـ.

- ٣٠ الانفتاح الفكري، عبدالرحيم السلمي، مركز التأصيل، جدة، ط ١، ١٤٣٢هـ.

- ٣١ أيام الإرهاب في السعودية، يحيى الأمير، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٧، ٢٠٠٧م.

- ٣٢ بداع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ت: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٥هـ.

- ٣٣ البداية والنهاية، ابن كثير، ت: عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ.

- ٣٤ البدع والنهي عنها، ابن وضاح، عمرو سليم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط ١٤١٦هـ.

- ٣٥ براءة أهل السنة من الواقعة في علماء الأمة، بكر أبو زيد، من غير ناشر، ط ١٤٠٨، ٢٠١٤هـ.

- ٣٦ البليهي في حوارات الفكر والثقافة، عبدالله المطيري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.

- ٣٧ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ت: كولان وليفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.

- ٣٨ بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، جمع: محمد بن قاسم، دار القاسم، الرياض، ط ٢، ١٤٢١هـ.

- ٣٩ بيت الخبرة للشباب والبنات، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع،

ط ١٤٣١ هـ.

٤٠ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ت: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.

٤١ - تاريخ الخلفاء، السيوطي، ت: يوسف البكري، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ٢٠١٠ م.

٤٢ - تاريخ الطبرى تاريخ الأمم والملوك، الطبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ.

٤٣ - تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، ت: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

٤٤ - تبع الشخص بين الفقه والواقع، عبد اللطيف التويجري، البيان، ط ١، ١٤٣٢ هـ.

٤٥ - التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه، فتاوى صدرت من اللجنة الدائمة للإفتاء، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢١ هـ.

٤٦ - تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٢ هـ.

٤٧ - تحرير الاختلاط والرد على من أباحه، عبدالعزيز البداح، من غير ناشر، ط ٢، ١٤٣٢ هـ.

٤٨ - تحرير النظر في كتب الكلام، ابن قدامة المقدسي، ت: عبد الرحمن دمشقية، عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٤١٠ هـ.

٤٩ - التحولات الفكرية، حسين الأسمري، مركز التأصيل، جدة، ط ١، ١٤٣٢ هـ.

٥٠ - تذكرة الحفاظ، الذهبي، ت: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥١ - التراث والتجديد، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط٥، ١٤٢٢هـ.

٥٢ - التراث والخداثة، محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٩١م.

٥٣ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٤ - الترغيب والترهيب، المنذري، ت: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

٥٥ - التعلم وأثره على الفكر والكتاب، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٦ - التعددية والحرية في الإسلام، حسن الصفار، دار المنهل، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ.

٥٧ - غطية العالم بدعوة الإلزام بتغطية الوجه، أحمد عطيف، مدارك، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥٨ - تفسير القرآن العظيم، إسحاق بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٩ - تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام، يعقوب إسحاق، بيسان للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٦٠ - تلبيس إيليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار القلم، بيروت،

٦١ - تنبیهات في الحج على الكتابة المسماه (افعل ولا حرج)، عبد المحسن البدر، دار التوحيد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٩ هـ.

٦٢ - التكيل بما في تأثيـب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمـي، ت: محمد ناصر الدين الألبـاني، مكتبة المـعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.

٦٣ - ثقافة التطرف والـبدـيل عنها، حـمـزة المـزـينـي، مؤسـسة الـانتـشـارـالـعـرـيـ، بـيـرـوـتـ، طـ ١ـ، ٢٠٠٨ـ مـ.

٦٤ - جـامـعـ التـرـمـذـيـ، التـرـمـذـيـ، مـراجـعـةـ: صـالـحـ آلـ الشـيـخـ، دـارـ السـلـامـ، الـرـيـاضـ، طـ ١ـ، ١٤٢٠ـ هـ.

٦٥ - جـامـعـ الرـسـائـلـ، أـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـحـلـيمـ بـنـ تـيـمـيـةـ، تـ: مـحـمـدـ رـشـادـ سـالـمـ، دـارـ الـعـطـاءـ، الـرـيـاضـ، طـ ١ـ، ١٤٢٢ـ هـ.

٦٦ - جـامـعـ الـعـلـومـ وـالـحـكـمـ فيـ شـرـحـ خـمـسـيـنـ حـدـيـثـاـ منـ جـوـامـعـ الـكـلـمـ، اـبـنـ رـجـبـ الـخـبـلـيـ، تـ: شـعـيـبـ الـأـرـنـاؤـوـطـ، مـنـ غـيـرـ نـاـشـرـ، طـ ١ـ، ١٤٢٤ـ هـ.

٦٧ - جـامـعـ بـيـانـ الـعـلـمـ وـفـضـلـهـ، اـبـنـ عـبـدـ الـبـرـ، تـ: أـبـيـ الـأـشـيـالـ الزـهـيـريـ، دـارـ اـبـنـ الجـوزـيـ، الدـمـامـ، طـ ١ـ، ١٤١٤ـ هـ.

٦٨ - الجـامـعـ لـأـحـكـامـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، الـقـرـطـبـيـ، دـارـ الـكـتـبـ الـمـصـرـيـةـ، الـقـاهـرـةـ، طـ ٢ـ، ١٣٨٤ـ هـ.

٦٩ - الجـامـعـ لـأـخـلـاقـ الرـاوـيـ وـآدـابـ السـامـعـ، الـخـطـيـبـ الـبـغـدـادـيـ، تـ: مـحـمـودـ الـطـحـانـ، مـكـتـبـةـ الـمـعـارـفـ، الـرـيـاضـ، طـ ١ـ، ١٤٠٣ـ هـ.

٧٠ - الجـدـيدـ فـيـ فـقـهـ الـجـهـادـ، عـلـيـ الـعـمـريـ، الـأـمـةـ لـلـنـشـرـ، طـ ١ـ، ١٤٣٢ـ هـ.

٧١- الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٧٢- جواز صلاة الرجل في بيته، خالد الغنامي، منشورات الجمل، بغداد، ط١، ٢٠٠٧ م.

٧٣- الحجۃ في بيان المحجۃ وشرح عقیدة أهل السنة، قوام السنة الأصفهانی، ت: محمد ریبع المدخلی، دار الرایة، الریاض، ط١، ١٤١٤ هـ.

٧٤- الحداثة والنصل والإصلاح الديني، بدر الراشد، المركز الثقافی العربی، المغرب، ط١، ٢٠٠٩ م.

٧٥- حركة التشیع في الخليج العربی، عبدالعزیز البداح، المركز العربی للدراسات الإنسانية، القاهرة، ط١، ١٤٣١ هـ.

٧٦- حركة التغیریب في السعودية.. تغیریب المرأة أنموذجا، عبدالعزیز البداح، مصر، ط١، ١٤٣١ هـ.

٧٧- حضون التخلف، إبراهیم البليهی، الجمل للنشر والتوزیع، بیروت، ط١، ٢٠١٠ م.

٧٨- حکم الانتهاء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بکر أبو زید، مطابع الدرعیة، ١٤١٠ هـ.

٧٩- حلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء، أبو نعیم الأصفهانی، ت: مصطفی عطا، دار الكتب العلمیة، بیروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٨٠- الحوادث والبدع، الطرطوشی، ت: عبدالمجید تركی، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٠ هـ.

٨١- خصائص جزیرة العرب، بکر أبو زید، وزارة الشؤون الإسلامية،

الرياض، ١٤٢٠ هـ.

-٨٢ داعية وليس نبيا، حسن فرحان المالكي، دار الرازى، مركز الدراسات التاريخية، الأردن.

-٨٣ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

-٨٤ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

-٨٥ الدرر السننية في الأجوية النجدية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، من غير ناشر، ط٥، ١٤١٣ هـ.

-٨٦ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد سيد جاد الحق، أم القرى للنشر، القاهرة.

-٨٧ دنيا الدين في حاضر العرب، عزيز العظمة، دار الطبيعة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م.

-٨٨ ذكريات شاب، علي العمري، الأمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ.

-٨٩ ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل المروي، ت: عبدالله الانصارى، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٩ هـ.

-٩٠ الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب، ت: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ.

-٩١ رؤية تطويرية للصحوة السعودية، علي العمري، الأمة للنشر، ط١، ١٤٢٩ هـ.

٩٢ - الرد الشافي على مفتريات القذافي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٢ هـ.

٩٣ - الرد على المخالف من أصول الإسلام، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤ هـ.

٩٤ - الرد على فكر التكفير عند الوهابية، أحمد الساigh، دار الأشراط الصوفية، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.

٩٥ - الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء، محمد الموسى و محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٨ هـ.

٩٦ - رسائل جهيمان العتيبي قائد المقتحمين للمسجد الحرام، رفعت السيد أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٤ م.

٩٧ - رسائل ودراسات في الأهواء والفرق والبدع، الدكتور ناصر العقل، دار الوطن للنشر، الرياض، ط٢، ١٤٢٣ هـ.

٩٨ - رسالة الحجاب، محمد بن عثيمين، دار المجتمع، جدة، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٩٩ - رهانات خطاب الاعتدال والواقع المعاصر، علي آل طالب، الطياف، القطيف، ط١، ١٤٢٩ هـ.

١٠٠ - الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

١٠١ - الريح القاصف على أهل الغناء والمعازف، ذياب بن سعد الغامدي، مكتبة المزياني، الطائف، ط٢، ١٤٣٠ هـ.

١٠٢ - زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء، جاسم الدوسري، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٩ هـ.

١٠٣ - السنة والإصلاح، عبدالله العروي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٨ م.

١٠٤ - سنن ابن ماجه، ابن ماجه، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.

١٠٥ - سنن أبي داود، أبي داود، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.

١٠٦ - سنن الدارمي، للدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، من غير تاريخ للنشر.

١٠٧ - سنن النسائي، النسائي، مراجعة: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.

١٠٨ - السياسة الشرعية، ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤١٩ هـ.

١٠٩ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٧ هـ.

١١٠ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ت: أحمد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤١٥ هـ.

١١١ - شرح السنة، البربهاري، ت: محمد القحطاني، دار ابن قيم، الدمام، ط١، ١٤٠٨ هـ.

١١٢ - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.

١١٣ - شرح وبيان لحديث ما ذهبنا جائعاً، ابن رجب، ت: محمد حلاق،

١١٤ - الشريعة، الآجري، ت: عبدالله الدميжи، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤١٧ هـ.

١١٥ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ.

١١٦ - صحيح البخاري، البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩ هـ.

١١٧ - صحيح مسلم، مسلم النسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩ هـ.

١١٨ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، ت: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٢ هـ.

١١٩ - ضد الحرية أنسنة الخطاب الديني والسياسي، سعود البلوي، طوى للنشر والتوزيع، لندن، ط١، ٢٠٠٩ م.

١٢٠ - طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ت: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، هجر للنشر، مصر، ط٢، ١٤١٣ هـ.

١٢١ - ظاهرة التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب، أنور الحضري، مركز التأصيل، جدة، ط١، ١٤٢٩ هـ.

١٢٢ - عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤ هـ.

١٢٣ - عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني، ت: بدر البدر، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط٢، ١٤١٥ هـ.

١٢٤ - عنابة الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها، محمد الخميس، الأمانة العامة للاحتفال بالمائوية، الرياض، ط١٤١٩ هـ.

١٢٥ - العنف والتنمية السياسية في المملكة العربية السعودية، حمزة الحسن وفؤاد إبراهيم، قضايا الخليج، لندن، ط١٢٠٠٢ م.

١٢٦ - عنوان الزمان بترجم الشيوخ والأقران، البقاعي، ت: حسن حبشي، دار الكتب القومية، مصر، ط١٤٢٢ هـ.

١٢٧ - عودة الحجاب، محمد المقدم، دار طيبة، الرياض، ط١٢٠١٤٢٠ هـ.

١٢٨ - الغثاء الأحوى في لم طرائف وغرائب الفتوى، أحمد العرفج، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١٢٠٠١ م.

١٢٩ - فتاوى ابن الصلاح، أبو عمر بن الصلاح، دار الطباعة المنيرية، مصر، ١٣٤٨ هـ.

١٣٠ - فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع: محمد بن قاسم، من غير ناشر، ط٢.

١٣١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: نظر الفارابي، دار طيبة، الرياض، ط١٤٢٦ هـ.

١٣٢ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن، ت: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة البيان، بيروت، ط٢١٤٠٨ هـ.

١٣٣ - الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، ت: حمد التويجري، دار الصميمي، الرياض، ط١٤١٩ هـ.

١٣٤ - الفروق، القرافي، ت: علي جمعة و محمد أحمد، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢١ هـ.

١٣٥ - فضل علم السلف على الخلف، ابن الجوزي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط٣، ١٤٠٤ هـ.

١٣٦ - الفكر الإسلامي... قراءات ومراجعات، زكي الميلاد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩ م.

١٣٧ - الفن المعاصر، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٣١ هـ.

١٣٨ - الفوائد، ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، من غير تاريخ للنشر.

١٣٩ - قضايا دعوية معاصرة، علي العمري، الأمة للنشر، الرياض، ط١، ١٤٣١ هـ.

١٤٠ - قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٨ م.

١٤١ - القول التهام بإثبات التفويض مذهب السلف الكرام، سيف العصري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٠ هـ.

١٤٢ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤ هـ.

١٤٣ - كتاب الأخلاق والسير، ابن حزم، ت: إيفار رياض، دار ابن حزم، بيروت، ط٣، ١٤٣٠ هـ.

١٤٤ - كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الخلال، ت: مشهور سلمان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٠ هـ.

١٤٥ - كتاب الأنساب، السمعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.

١٤٦ - كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، من غير تاريخ للنشر.

١٤٧ - كتاب السنة، ابن أبي عاصم، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١٤١٣، ٣ هـ.

١٤٨ - كتاب العلم، أبو خيثمة النسائي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٢١ هـ.

١٤٩ - كتاب الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ت: عادل عزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤١٧ هـ.

١٥٠ - كيف نفهم التيسير؟ وقفات مع كتاب (افعل ولا حرج)، فهد أبو حسين، دار المحدث، الرياض، ط ١، ١٤٢٨ هـ.

١٥١ - لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.

١٥٢ - لغة الاعتقاد الهادي لسبيل الرشاد، ابن قدامة، ت: بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط ١، ١٤١٦ هـ.

١٥٣ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤١١ هـ.

١٥٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو بكر الهيثمي، مكتبة القديسي، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.

١٥٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، توزيع شئون الحرمين الشريفين.

١٥٦ - مجموع فتاوى ورسائل، علوي المالكي الحسني، جمع: محمد بن علوي

الملكي، مطبع الرشيد، المدينة، ط١، ١٤١٣ هـ.

١٥٧ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبدالعزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.

١٥٨ - المحافظون والإصلاحيون، نواف القديمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠١١ م.

١٥٩ - المدارس الأجنبية في الخليج، عبدالعزيز البداح، من غير ناشر، ط١، ١٤٢٩ هـ.

١٦٠ - مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، أحمد القاضي، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦ هـ.

١٦١ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.

١٦٢ - المرأة المسلمة بين إنصاف الدين وفهم المغالين، محمد الرشيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١١ م.

١٦٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ت: محمد عبدالحميد، كتاب التحرير، ١٣٨٦ هـ.

١٦٤ - مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق، دار التأصيل، المنصورة، ط٣، ١٤٢٩ هـ.

١٦٥ - المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، من غير تاريخ للنشر.

١٦٦ - مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٦٧ - مشاهد من المقاصد، عبدالله بن يه، الإسلام اليوم، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

١٦٨ - مفتاح السعادة ونشر ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية،  
ت: عبدالرحمن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٦٩ - المفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبي العباس القرطبي،  
ت: محيي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٧٠ - المفهوم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، ت: محيي الدين مستو  
وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٧١ - مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ت: مجموعة من العلماء،  
مطبعة مصطفى محمد، مصر.

١٧٢ - الملل والنحل، الشهريستاني، ت: عبد الأمير مهنا و علي فاعور، دار  
المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٧٣ - من النقل إلى العقل، حسن حنفي، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت،  
ط١، ١٤٣٠هـ.

١٧٤ - مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البهقي، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة  
دار التراث، القاهرة.

١٧٥ - المنظم في تاريخ الأمم والملوک، ت: محمد عطا وآخرين، دار الكتب  
العلمية، بيروت، ط١، ١٣١٢هـ.

١٧٦ - منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد  
بن سعود الإسلامية، ٦١٤٠هـ.

١٧٧ - منهاج القاصدين ومفید الصادقين، ابن الجوزي، ت: كامل الخراط، دار

١٧٨ - التوفيق، سورية، ط١، ١٤٣٢ هـ.

١٧٩ - منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٣ هـ.

١٨٠ - المواقف، الشاطبي، ت: مشهور سليمان، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٧ هـ.

١٨١ - موقف التكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنّة، سليمان الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦ هـ.

١٨٢ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ت: علي البحاوي، دار المعرفة، بيروت.

١٨٣ - التجوم الراهن في ملوك مصر والقاهرة، ابنة تغري الأتابكي، ت: فهيم شلتوت، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ١٣٨٩ هـ.

١٨٤ - نحن والإرهاب، محمد محمود، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م.

١٨٥ - النشيد الإسلامي، علي العمري، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١ هـ.

١٨٦ - نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي، مكتبة التوحيد، الرياض، من غير تاريخ للنشر.

١٨٧ - النفاس، علي العمري، الأمة للنشر، الرياض، ط١، ١٤٣١ هـ.

١٨٨ - نفح الطيب من غصن الأندي الرطيب، التلمساني، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

١٨٩ - نقد الخطاب السلفي... ابن تيمية نموذجاً، رائد السمهوري، طوى،

لندن، ط١، ٢٠١٠ م.

١٨٩ - نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، دار الطليعة، بيروت، ط٩، ٢٠٠٣ م.

١٩٠ - نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط٤، ٢٠٠٥ م.

١٩١ - وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال باوي، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢ هـ.

١٩٢ - وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، ابن خلkan، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٤١٧ هـ.

## الصحف والمجلات

١ - صحيفة الرياض. ٢ - صحيفة الجزيرة. ٣ - صحيفة عكاظ.

٤ - صحيفة المدينة. ٥ - الوطن. ٦ - مجلة منارات.

٧ - مجلة نون.

## القنوات الفضائية

١ - إقرأ. ٢ - إم بي سي.

٤ - المجد. ٥ - العربية.

٧ - بي بي سي. ٨ - القناة الأولى.

٩ - القناة الثقافية. ١١ - الرسالة.

١٢ - إل بي سي. ١٤ - فور شباب.

١٣ - العالم.

رَفِعُ

جَمِيعُ الْأَرْجُونِ الْمُجَنِّيِّ  
الْمُسْكُ الْمُلَمَّ الْفَرْعَوْنِيِّ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الثانية .....	٥
المقدمة .....	٧
التمهيد: وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف .....	١٣
الفصل الأول: أسباب الانحراف .....	١٧
أولاً: الإعراض عن الوحي .....	١٩
ثانياً: التولى عن سبيل المؤمنين .....	٣٠
ثالثاً: الأخذ بالفلسفة وتعظيم الفلاسفة .....	٣٣
رابعاً: ترك الصبر المأمور به .....	٤٥
خامساً: الاغترار بالمنحرفين والانهار بالجديد .....	٥٧
سادساً: ظهور الشعارات وتعدد الرأيات .....	٦٧
سابعاً: ظهور المصطلحات والألفاظ المجملة .....	٧٩
ثامناً: ضعف التدين والبعد .....	٨٧
تاسعاً: فساد النية وسوء القصد .....	٩٤
عاشرأً: تفحم المسائل بغير علم .....	١٠٣

حادي عشر: حب الرئاسة والتطلع إليها.....	١١٧
ثاني عشر: الدخول على السلاطين لغير غرض شرعي .....	١٣٠
ثالث عشر: الجدال والخصومة في الدين .....	١٣٩
رابع عشر: الغرور والإعجاب بالنفس والاعتداد بالذات.....	١٤٤
خامس عشر: مجالسة أهل البدع والتلقى عنهم.....	١٥٦
سادس عشر: ظهور أهل البدع .....	١٨١
سابع عشر: نسخ العلم وذهب العلماء.....	١٨٥
ثامن عشر: تبع الرخص .....	١٩١
الفصل الثاني: آثار الانحراف على الفرد والمجتمع والأمة.....	١٩٧
أولاً: أثر الانحراف على الفرد .....	١٩٩
الأول: التخبط والقلق .....	٢٠١
الثاني: النكوص على العقبين.....	٢٠٦
الثالث: الخيبة والحرمان في الدنيا.....	٢٠٧
الرابع: الذل والهوان.....	٢١٠
الخامس: التلون والتنقل .....	٢١٢
السادس: الإلحاد.....	٢١٧
ثانياً: آثار الانحراف على المجتمع والأمة.....	٢٢١
الأول: التفرق والاختلاف .....	٢٢١
الثاني: سقوط الدول وزوال الملك.....	٢٢٣
الثالث: تسلیط الأعداء .....	٢٢٤
الرابع: فساد الزمان وتغير الأحوال.....	٢٢٦

الفصل الثالث: سبل مواجهة الانحراف ..... ٢٣١	
أولاً: الرجوع إلى الكتاب والسنة ..... ٢٣٣	
ثانياً: قيام العلماء بالواجب ..... ٢٣٤	
ثالثاً: جهود الولاية والسلطان ..... ٢٣٧	
رابعاً: ضبط الفتوى ومنع التلاعبين بها ..... ٢٤٤	
خامساً: المحافظة على مراسيم العلم الشرعي ..... ٢٤٦	
الخاتمة ..... ٢٥١	
التائج ..... ٢٥١	
الوصيات ..... ٢٥٨	
فهرس المصادر والمراجع ..... ٢٦١	
فهرس الموضوعات ..... ٢٨١	

رَفِعُ

جَمِيعُ الْأَرْجُونِ الْمُجَنِّيِّ  
الْمُسْكُ الْمُلْكُ الْفَرِودُوكِيِّ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رُفَعَ

جَسْرُ الرَّحْمَنِ لِلْجَنَّةِ  
لِلْمُسْكِنِ لِلنَّٰفِ لِلْفَرْوَانِ  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

الانحراف في الأمة

لِيُوسُفَ الْمَلِكِ - مُحَمَّدٌ عَوَادُ الدَّارِ

وَالْمُهَاجِرُ  
مُحَمَّدٌ عَوَادُ الدَّارِ